الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية

تأليف

سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري الحنبلي

ت ٧١٦ هـ

دراسة وتحقيق

د - سالم بن محمد القرني

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الله عوني وبه توفيقي[1]

أحمد الله الذي أرشدنا إلى الإسلام، وهدانا بفضله سبل السلام، وجنبنا عبادة الأوثان والأصنام، وسائر مذاهب الكفرة اللئام[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ترغم أنف الكافر أشد إرغام، وتوجب لقائلها النعيم[3] في دار المقام. وأصلى على رسوله محمد، الداعي إلى أفضل دين بأشرف كلام، الباقي معجزة على ممر السنين، وتعاقب الأيام، وسلم تسليما كثيرا.

وبعد:

[سبب تاليف الكتاب]

فإني رأيت كتابا صنفه بعض النصارى[4]، يطعن به في دين الإسلام ويقدح به في نبوة محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فرأيت مناقضته[5] إلى الله

---

(١) هكذا في أ، وفي م: "اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم: قال الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين سليمان بن عبدالقوي الطوفي. . . "، وفي ش: وما توفيقي إلا بالله.

(٢) اللئام: جمع لئيم، ومصدر لاءم الشيء: وافقه، واللؤم: الشح مع دناءة الأصل. واللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس (انظر إكمال الإعلام بتثليث الكلام ٢/ ٥٥٧، ولسان العرب ١٢/ ٥٣٠)

(٣) في ش: النعم.

(٤) لم يذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ اسم النصراني ولا عنوان كتابه. وقد أشرت إلى ذلك في ص١٦٤ ـ ١٦٥ من الدراسة.

(٥) المناقضة: مفاعلة. من ناقضه في الشيء مناقضة. أي خالفه. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يناقض معناه ويفسده بعد إحكامه (انظر لسان العرب ٧/ ٢٤٢، وإكمال الإعلام ٢/ ٧٢١).

ورسوله قربانا [1] ،ورجوت بها مغفرة من الله ورضوانا، حذرا من أن يستخف[2] ذلك بعض ضعفاء [3] المسلمين، فيورثه شكا في الدين، ولقد رأيت بعض ذلك عيانا وآنست [4] عليه دليلا وبرهانا. فأوردت مناقضته حرفا من كلامه فحرفا، وأبنت عن مقاصد السؤال والجواب على وجه لا يخفى، مع تلخيص العبارة خشية الضجر [5] والإملال [6]، وتخليص المعاني ونصوصيتها [7] خفية الإخلال

---

(١) لا يتقرب بالأعمال إلى الرسول ﷺ بل يتقرب بها إلى الله وحده على وفق سنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ـ.

(٢) يقال: استخفه فلان أي: استجهله فحمله على اتباعه في غيه. ومنه قوله تعالى في سورة الروم (آية ٦٠): «ولا يستخفنك الذين لايوقنون » (انظر لسان العرب ٩/ ٨٠).

(٣) في م، ش: ضعفى.

(٤) آنست: بهمز أوله مع المد وفتح النون الموحدة، أي: علمت وأبصرت. (انظر لسان العرب ٦/ ١٥).

(٥) الضجر من الشيء: التعب والقلق والغم. (انظر المصباح المنير ٢/ ٤٢١).

(٦) من الملل وهو الضجر والتعب يقال: أملت فلانا أتعبته وأسأمته (انظر المصباح المنير ٢/ ٧٠٧، لسان العرب ١١/ ٦٢٨، الإعلام بتثليث الكلام ٢/ ٦٧٩).

(٧) قال ابن الأثير في منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص٣٥٨: 'والتلخيص: التبين والإيضاح، وهو والتخليص متقاربان، قال القتبي: 'ولعلهما شيء واحد، من المقلوب'، وحقيقه التخليص: إفراد الخالص من الشيء، وهو الجيد منه'اهـ.

ونصص الحديث إذا أظهره ورفعه، ونص كل شيء منتهاه، ومبلغ أقصاه. كما في لسان العرب (٧/ ٩٧، ٩٨)، ومختار الصحاح ص ٦٦٢.

قلت: فمعنى العبارة على هذا: اختيار المعاني الظاهرة الواضحة،خيفة الإخلال بالمعنى، أو اختلاله. والله أعلم.

والاختلال. وقدمت على ذلك مقدمات كلية، تتضمن مباحث جلية، عليها ينبني معظم الجواب، وبها يتيسر ظهور الصواب. وعلى الله توكلي، وإليه المآب[1].

وتلك المقدمات ثلاث:

الأولى: أن هذا النصراني رأيته يعتمد في طعنه على الإسلام، على التوراة والإنجيل[2] التي بيد اليهود والنصارى، وعلى كتب الأنبياء الأوائل/ : كنبوة أشعياء [3]، وأرمياء[4]،

---

(١) في م، ش: مآب.

(٢) "...والأناجيل..." بالجمع، لأن عددها عند النصارى خمسة نتيجة التحريف والتبديل، منها: أربعة مشهورة هي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل يوحنا، أما الخامس فلا يعرفه إلا القليل منهم ويسمى إنجيل الصبوة، وفيه الأشياء التي صدرت عن المسيح في حال طفولته، ولذا سمي بالصبوة وينسب إلى بطرس عن مريم، ويذكر فيه مشاهير معجزات عيسى عليه السلام وقدومه وأمه ويوسف النجار إلى صعيد مصر ثم عودتهم إلى قرية ناصرة عند بيت المقدس (انظر الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ١٧٩ ١٨١) قلت: وقد وجد لهم من الأناجيل غير هذه الخمسة فأناجيلهم أكثر من ذلك ربما تصل إلى الأربعين أو أكثر اندثر أكثرها وفقد بعضها وأخفوا بعضها الآخر، ولا يعترف أكثرهم بمثل انجيل برنابا الموجود اليوم.

(٣) أشعياء بن أمصيا بهمز وبدونه وكان قبل زكريا ويحي، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وكان في زمانه ملك اسمه حزقيال على بني إسرائيل وكان سامعا مطيعا لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح...ولما مات حزقيال كثر شر بني إسرائيل وطلبوا شعيا ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوا ذلك جاءوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها...والله أعلم.

(انظر البداية والنهاية ٢/ ٣٢ ـ ٣٣).

(٤) أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب، وقيل من سبط هارون بن عمران كان في أيام آخر ملوك بني إسرائيل "صدقيا" روي أنه هو الذي نزل بشأنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...﴾ الآية. (سورة البقرة: ٢٥٩). (انظر تفسير الطبري ٣/ ٢٩، تفسير ابن كثير ١/ ٣١٤، الأنس الجليل ١/ ١٥٣ ـ ١٥٤، البداية والنهاية ٢/ ٣٣).

ودانيال[1] والأنبياء الإثني عشر[2]، ومزامير[3] داود، ونحوها.

واعلم أن هذه الكتب مما لاتقوم الحجة علينا بها. لأنها عندنا محرفة مبدلة[4]. نعم: التبديل لم يأت على جميعها، بل دخلها في الجملة. فلهذا قال

---

(١) أحد أنبياء بني إسرائيل كان في عهد بخت نصر يقال كان طول أنفه شبرا، ويقال بأن أرميا أمره الله أن يذهب إلى دانيال بطعام وهو في السجن ففعل مع أنهما ليسا في قرية واحدة، وروى ابن أبي الدنيا مرسلا أن النبي ﷺ قال: (إن دانيال دعا ربه عزوجل أن يدفنه مع أمة محمد) فلما فتح أبوموسى الأشعري تستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده قد كان رسول الله ﷺ قال من دل على دانيال فبشروه بالجنة فدل عليه رجل يقال له' حرقوص' فكتب أبوموسى إلى عمر يخبره فكتب إليه عمر أن ادفنه وابعث إلى حرقوص فإن النبي ﷺ بشره بالجنة' قال ابن كثير: وهذا مرسل من هذا الوجه، وفي كونه محفوظا نظر والله أعلم، روي أن أبا موسى أخفى قبره لئلا يفتتن به الناس، وأنه وجد معه مصحفا ومالا وخاتما.

(انظر البداية والنهاية ٢/ ٤٠ ـ ٤١).

(٢) لعل المقصود بالأنبياء الإثني عشر: الأسباط المشار إليهم في قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٣٦: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الآية، وقوله تعالى في سورة المائدة آية ١٢: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ الآية. والله أعلم.

(انظر تفسير الطبري ١/ ٥٦٨، وتفسير القرطبي ٢/ ١٤١).

(٣) مزامير: جمع مزمار وهو الصوت الحسن ومزامير داود عليه السلام ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء وفي الحديث: «قال رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود » أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب ٣١: حسن الصوت بالقراءة للقرآن، ومسلم في صلاة المسافرين حديث ٢٣٥ ـ ٢٣٦. وغيرهما وهذا لفظ مسلم. وإلى داود عليه السلام المنتهى في حسن الصوت بالقراءة (انظر لسان العرب ٤/ ٣٢٧).

(٤) من الأدلة على تحريف وتبديل تلك الكتب من القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة (٧٥ ـ ٧٩) في الكلام عن بني إسرائيل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ

نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، "وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون[1]». فمنع من تصديقهم خشية أن يكون ما

= اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٩] وفي سورة النساء ٤٦: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ الآية. وغيرها من الآيات الكريمات. وقد اعترف اليهود والنصارى بوقوع التبديل في التوراة، وكل طائفة تجعل مسئولية التحريف في عنق الأخرى ويعترف اليهود أيضا أن التوراة التي بأيديهم الآن إنما كتبها عزرا من محفوظاته ومحفوظات بعض الكهنة عندما كثر القتل في اللاويين أيام بختنصر أحد جبابرة بني إسرائيل، كما أن النصارى متفقون على تعدد الأناجيل التي بأيديهم وأنها ليست الإنجيل المنزل، وتعددها يشهد بذلك، ومن الأمثلة على وقوع التبديل في التوراة ما ذكر فيها: "أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا" فإن قولهم "كشبهنا" ليس له تأويل إلا أن آدم شبيه بالله تعالى علوا كبيرا، وهذا يعلم بطلانه ببداهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد، والله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى ١١) والأمثلة والبراهين على وقوع التحريف فيها كثيرة يضيق المقام بذكرها. ومما يدل على افتراء النصارى على عيسى عليه السلام في الأناجيل قول يوحنا: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة وغيري يشهد لي" ثم ذكر في موضع آخر: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب" فكيف تكون شهادة عيسى عليه السلام حقا وباطلا، مقبولة وغير مقبولة؟ وكيف ينسب هذا إلى المعصوم. وليس هذا وحده هو الذي يدلنا على تحريفهم الإنجيل وإفترائهم على عيسى عليه السلام بل الأمثلة كثيرة مع أن اليهود والنصارى يكذب بعضهم بعضًا فيما يدعيه من الكتب ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة: ١١٣] (البقرة: ١١٣).

(١) أخرج الحديث البخاري في تفسير سورة البقرة باب ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (٨/ ٧٠) وفي الاعتصام باب ٢٥ (١٣/ ٣٣٣)، وفي التوحيد باب ٥١ (١٣/ ٥١٦) موصولا عن أبي هريرة قال: "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا (آمنا بالله وما أنزل...) الآية وأخرجه أبوداود في العلم باب رواية حديث أهل الكتاب (٤/ ٥٩). بغير لفظ المؤلف وغير لفظ=

حدثونا [1] به مما حرف جزمـا، ومن تكذيبهم خشيـة أن يكون مما لم يحرف[2]. عدلا منه ﷺ ولو لم يكن للعاقل دليل على صدقه ـ عليه السلام ـ إلاهذا لكفاه، كما قررته في التعليق على بعض كتب الأوائل[3]، وفي آخر هذا التعليق[4].

ولهذا قال علمـاء الحديث من المسلمين: إن الراوي إذا عرف منه الكذب يرد حديثـه كله، ويصير غيـر موثوق به. وكذلك من اخـتلط ولم يتميز مـا رواه قبل اختلاطه مما رواه بعده، يترك/ الكل احتياطا، وحزما في الدين.

وأيضا: كما أنهم لا يعـدون كتابنا حجة عليهم، كذلك نحن لا نعـد كتبهم حجـة علينا وأولى، لأن كتـبهم تقادم عـهدها، وتعاورتهـا اللغات لفظا وكـتابة، بخلاف كتابنا. أما[5] التهمة فهي متجهة إلينا منهم، وإليهم منا.

= البخاري، وأحمد في ٤/ ١٣٦ بلفظ قريب من لفظ أبي داود كلهما عن أبي نملة عمار بن معاذ الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه والآية في سورة العنكبوت ٤٦.

(١) في ش: مما حدثوا.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية السابقة (٣/ ٤١٦) "يعني إذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قـد يكون حقا ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا، ولكن نؤمن به إيمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا "اهـ.

(٣) بين ـ رحمه الله ـ فـي كتابه المخطوط "تعاليق على الإنجـيل" (ص٢، ٣، ٦، ٧، وغيرها): أن هذه الأناجيل التي بيد النصارى ليس شيء منها هو الإنجـيل المنزل على عيسى عليه السلام. وإنما هي أخبار عن سيـرته كتبها من ذكرت أسـماؤهم في أوائل تلك الاناجيل فهو من كـلامهم وفيه يسير من كلام عيسى عليه السلام، ويعترفون أن هذه الأناجيل ليست منزلة، لأن عيسى هو الإله فهو المنزل علي الأنبياء لاغيره، أو ابن الله، فهو المطلع على سر أبيه ثم بين ـ رحمه الله ـ أن عيسى لو أطلع على ما كتبوا وماذكروا من إلهيته ونحو ذلك لدعا عليهم بأن يصيروا قردة وخنازير.

(٤) انظر الحجة الخامسة في خاتمة هذا الكتاب.

(٥) في أ، ش: "لنا بدل: "أما".

وأيضا: فإن هذا النصراني في استدلاله بما لا تقوم به الحجة علينا. إما أن يكون مع العلم بذلك فهو مغالطة ومخاتلة/ وتغابي[1]: إن قصد إقامة الحجة ٢ش علينا.

وتحصيل الحاصل.

إن قصد إقامة الحجة للنصارى إذ هم[2] في ثبوتهم على دينهم[3] غنيون عن ذلك، حتى لو أراد منهم خلافه لما أطاعوه. أو مع عدم العلم فهو جهالة/ بمذهب الخصم. والعلم بما يلزم الخصم وما لا يلزمه ينبغي أن يكون مقدما على مناظرته.

وفائدة هذه المقدمة: سد باب الاستدلال علينا بكتب الأوائل مطلقا.

المقدمة الثانية:

إنه من المعلوم عندنا وعندهم: أن الله ـ سبحانه ـ إنما خلق العباد ليعبدوه كما صرح بذلك في القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[4]. لكن لما كانت عبادة المعبود تستدعي تقدم معرفته، خلق لهم العقول ليعرفوه بها، ويوطدوا بها قواعد العبادة ومقدماتها.

فظهر من هذا التقرير ما قاله المحققون من أهل العلم بالأصول، وهو أن

---

(١) من تغابى عن الأمر: أي تغافل. (انظر لسان العرب ١٥/ ١١٥، ومختار الصحاح ص٤٦٩).

(٢) في ش: أنهم.

(٣) عبارة: "على دينهم"، ليست في: م.

(٤) سورة الذاريات: ٥٦.

العقل نائب الشرع يقرر له القواعد من إثبات الصانع وتوحيده[1]، الذي وافقنا عليه النصارى لفظا لا معنى[2]، وحدوث العالم وجواز إرسال الرسل والدليل على صدقهم، وهو المعجز الذي به تثبت النبوة [3]. فإذا ثبتت ثبت الشرع، ووجب قبول ما جاء به. ثم إن كان مما يدركه العقل فلله الحمد. وإن كان مما لا

---

(١) لا تستقل العقول بمعرفة الله على التفصيل لأنها عاجزة وقاصرة عن إدراك ما هو أقرب، فهي عاجزة عن إدراك أنفسها وكيفية عملها. . وعليه فإنه لابد من مصدر آخر ليعرف العقل به الله سبحانه، فاقتضت رحمته عز وجل أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين. . فكان ماجاءت به الرسل ونزلت به الكتب دالا للعقول السليمة إلى معرفة الله وكيفية عبادته، ونصوص الشرع مملوءة بالبراهين والأدلة على إثبات الصانع وقدرته، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (سورة الفرقان: ٣٣) والعقل السليم يشهد بصحة ذلك، غير أنه إذا لم يرد في الشريعة شيء مما للعقل فيه مجال فإنه يرجع إليه في معرفته، وليس في أصول الدين ـ الاعتقاد والأحكام ـ ما يستقل العقل بإثباته دون النص والحمد لله، وقول الطوفي ـ رحمه الله ـ: "العقل نائب الشرع. . ." أي فيما لم يرد فيه نص من مسائل الفروع. قلت : ومثاله غير مقبول. والله أعلم.

(٢) النصارى يقولون: إن خالق العالم واحد، لكنهم يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد. وهذا القول متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول والاتحاد أفسد منه، فلهذا كانوا موافقين لنا في إثبات الصانع لفظا لا معنى، وهم مضطربون في فهم مذهبهم والتعبير عنه، بل لا يكاد أحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد. ولهذا لم يقبل مذهبهم هذا عقل ولافطرة.

(انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨).

(٣) في ش: ثبتت. قلت: الله سبحانه أرسل الرسل وصدقهم، فهو لكمال عدله ورحمته وإحسانه وإقامة الحجة على عباده، لم يبعث نبينا إلا ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(الحديد ٢٥) ولا تثبت النبوة بالمعجزات وحدها.

يدركه ـ وهو المسمى في عرف فقهاء الإسلام: تعبدا ـ وجب تسليمه، وتقليد[1] الشارع فيه، وبثبوت الشرع ينعزل العقل كما ينعزل بقدوم السلطان من سفره من كان استنابه موضعه في بلده.

وسر هذه المقدمة: ماقررته في "القواعد الصغرى[2]" وهو: أن العبادات والتكاليف مستلزمة للمشقة على أهل التكليف. لكن المشقة تارة تكون عملية كما في الصلاة والصيام والحج والجهاد[3]، وتارة علمية كما في الإيمان بالغيب. وهو

---

(١) الأولى أن يقال: اتباع الشارع فيه.

(٢) لم أجد هذا المخطوط فيما بحثت فيه من فهارس المخطوطات.

(٣) المشقة هي ما يصحب العمل من صعوبة وشدة وثقل عند القيام به ولو لم يكن فيه إلا مخافة الهوى لكان كافيا. ومن المعلوم أن الشرع لم يأت بما يشق أو يعنت بل شرع من الأحكام الأصلية والرخص ما يتناسب مع أحوال المكلفين، ولذلك فالمشقة على نوعين:

الأول: معتادة مألوفة ليست مانعة من التكليف وهي داخلة في حدود الاستطاعة والوسع كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن ١٦) وقال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦) وهي متفاوتة بتفاوت الأعمال.

وأما الثاني: فغير معتادة وهي التي تؤدي إلى الانقطاع عن العمل أو الملل وحصول الخلل للمكلف فهذه شرعت لها الرخص. ولكن الذي ينبغي معرفته أن المشقة ليست مقصودة في التكليف لأنها تابعة من طبيعة الشيء المكلف به شرعا ملازمة له.. وإنما المقصود الاتيان بالمطلوب الشرعي المشتمل على المشقة لما يترتب عليه من الامتثال وتحقيق المصلحة أو درء المفسدة. (انظر رفع الحرج في الشريعة الإسلامية د. صالح بن عبد الله بن حميد ص ٣٠-٣٨، ٣٥٠-٣٥٩، الموافقات للشاطبي المجلد الأول ج٢ ص ٥٨، ٧٢، ٧٩-٨١، ٨٢-٨٦، ٨٩-٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦).

كلما غاب عن العيان كالله[1] ـ سبحانه ـ وملائكته وأحكام الآخرة. وهذا أشق التكليفين[2]. ولهذا بدأ الله ـ سبحانه وتعالى ـ به في وصف المؤمنين حيث قال/ : ٤
﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ... (٣)﴾ [3] فالأول: تكليف علمي. والثاني: عملي. وكذلك قوله: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ... (١٩)﴾ [4] ولذلك المسيح وغيره من الأنبياء/ إنما بدأوا بدعاء الناس إلى الإيمان بهم، ٣ وأنهم من عند الله.

ووجه المشقة في الإيمان بالغيب: هو أن النفس الناطقة مطبوعة مفطورة على حب إدراك الأمور بحقائقها، فإذا رأت ما لا تدرك حقيقته تألمت واضطربت، كما يشاهده كل عاقل من غيره، ويجده من نفسه، حتى في أيسر الأشياء. ولهذا يحدث[5] للنفس العجب، وهو عرض يلحقها لخفاء سبب الأمر الحادث، فإذا ظهر لها سبب الأمر [6] بطل العجب، واستراحت.

---

(١) في هامش (أ) تعليق يقول صاحبه: "هذه عبارة غير مستحبة عند أصحابنا" قلت: وهو كذلك، لأن كلما يتصوره العاقل من عظمة الله فالله أعظم من ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(سورة الشورى: ١١) فلا يمثل به احترازا من الوقوع فيما لا يليق بجلاله سبحانه.

(٢) هذه تسمى التكاليف الاعتقادية. (انظر الموافقات للشاطبي المجلد الأول جـ ٢ ص ٥٨).

(٣) سورة البقرة الآية: ٣.

(٤) سورة القتال "محمد" الآية: ١٩.

(٥) في ش: يورث.

(٦) في (ش)، (م): لها السبب بطل العجب.

فحاصل الأمر: أن الإنسان مركب من هيكل ونفس، وأن التكليف واقع على جزئيه كليهما، على هيكله عملا، وعلى نفسه اعتقادا وعلما. هذا كله مع اتفاق العقلاء [1] على أن الشرع لم يأت بما ينافي العقل، ولا يجوز فيه، بل بما قد لا يدركه العقل مع إمكانه في نفسه. ولهذا قال "أرسطو [2]" على ما حكى عنه هذا النصراني في كتابه هذا الذي نحن بصدد مناقضته في بيان ضرورة النبوة للخلق قال/: "إن الحال في عقولنا عند النظر إلى المبادىء الأولى[3]، كحال ٣ش
الخفاش[4] عند النظر إلى الشمس أعني أن الشمس في غاية الظهور في نفسها، وهي خفية عند الخفاش لضعف إبصاره".

---

(١) في (أ): مع اتفاق العلماء.

(٢) أرسطو، أو أرسطوطاليس المقدوني الإغريقي، فيلسوف الروم، ومعنى أرسطو في لغة قومه: الكامل الفاضل، ويقال بأنه أشهر فلاسفة اليونان، يلقب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية. يقال أنه ولد بمقدونية سنة ٣٨٤ ق.م. وتوفي سنة ٣٢٢ ق م، وقال ابن تيمية - رحمه الله -: "فإن أرسطو كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة" اهـ.

(انظر النبوات لابن تيمية ص ٢٢، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٢٥، ودائرة معارف القرن العشرين ١/ ١٦٤، ونزهة الأرواح في تاريخ الحكماء والفلاسفة للشهرزوري ١/ ١٨٨-٢٠٥).

(٣) مبدأ كل شيء أوله، والمراد بالمبادئ الأولى عند الفلاسفة: "القضايا الكلية التي يسلم بها العقل ومن استنباطها من التجربة أو من قضايا أخرى غيرها". (المعجم الفلسفي ٢/ ٣٢٢).

(٤) الخفاش طائر من عرض الطير شديد الطيران كثير التكفي والتقلب في الهواء، ضعيف البصر بحيث لا يتحمل من أجله الطيران في ضوء النهار، ولا يتحمل أيضا الطيران في الظلام الشديد، ولذلك فطيرانه ما بين غروب قرص الشمس إلى غياب الشفق، وسمي خفاشا لذلك لأن الخفش: ضعف البصر وضيق العين يقال للعين: خفشت، إذا قل بصرها. (انظر الحيوان للجاحظ ٣/ ٥٢٦-٥٢٩، لسان العرب ٦/ ٢٩٨-٢٩٩).

وحكى أيضا هذا النصراني عن "ابن رشد [1] المالكي من المسلمين أنه قال: "لم يقل أحد [2] في العلوم الإلهية قولا يعتد به، ولم يعصم أحد من الخطأ فيها، إلا من عصمه الله [3] بأمر إلهي خارج عن طبيعة الإنسان وهم الأنبياء[4]".

وحكى عن "أرسطو" أيضا أنه قال في كتابه "الأسباب" أنه قال: "العلة الأولى [5] أعلى من أن توصف، ولا تعجز الألسنة عن وصفها، إلا لأنها فوق كل علة[6]".

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد الحفيد يكنى بأبي الوليد، مالكي المذهب قرطبي الموطن أندلسي القطر، عني بكلام أرسطوطاليس وزاد عليه، ولد سنة عشرين وخمسمائة للهجرة قبل وفاة جده ابن رشد بشهر وتوفي في صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة.

(انظر ترجمته في الديباج المذهب ٢/٢٥٧-٢٥٩، وشذرات الذهب ٤/ ٣٢٠، والأعلام ٥/ ٣١٨).

(٢) في تهافت التهافت: لم يقل أحد من الناس.

(٣) في تهافت التهافت: وليس يعصم أحد من الخطأ إلا من عصمه الله تعالى.

(٤) النص في تهافت التهافت ص ٥٤٧ ط ٣، ن: دار المعارف بمصر. تحقيق سليمان دنيا.

(٥) العلة الأولى: هي العلة التي لا علة لها، أو علة العلل، أو العلة النهائية، وعرفها ابن سينا في الإشارات والتنبيهات ص ١٤٠ بقوله: "علة لكل وجود، والعلة حقيقة كل وجود في الوجود" [نقلا عن المعجم الفلسفي ٢/ ٩٧]، والفلاسفة القائلون بقدم الأفلاك لهم قولان فيها: منها من يقول إنها فاعلة بالاختيار، ومنهم من يقول إنها موجبة بلا اختيار. وناقش الرأيين وبين بطلان قول الفلاسفة في ذلك الشيخ أحمد بن عبدالسلام بن تيمية ـ رحمه الله ـ في درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٠١ ومابعدها.

(٦) النص: لم أجده فيما اطلعت عليه من المراجع.

وحكى عن أبي حامـد/ = هو الغزالي[1] ـ شيـئا في معـنى ذلك عزاه إلى "كيمياء السعادة" وإلى" المقصد السني[2].

قلت: فالحاصل من هذا أن إدراك الشيء (قد يمتنع تارة لضعف المدرك كبصر الخفاش، وتارة لخفـاء المدرك كالسهى[3] عند بعض الناس، كمـا أن التأثير[4]) قد يمتنع في الأمور الـفعلية والانفـعالية تارة لضـعف الفاعل. كالـسيف الكال وتارة لصعوبة القابل[5] أو ملابسة مانع له كالجسم الصلب إذا ضرب بسيف[6] ونحوه.

---

(١) تقدمت ترجمته في الدراسة ص: ١٤١.

(٢) لم أجد في كـيميـاء السعادة ما في مـعنى هذا، وأقرب ما وجـدت في المقصد الأسنى مـا قاله الغزالي في المقدمة: "فقد سألني الأخ في الله شرح معاني أسماء الله الحسنى... فلم أزل أقدم رجلا وأؤخر أخـرى أخذا بسبيل الحذر وعـدولا عن ركوب متن الغرر [الخطر] واستقـصارا بثوة البشر عن درك هذا الوطر. وكيف لا! وللبـصير عن خوض مثل هذه الغمرة صـارفان أحدهما: أن هذا الأمـر في نفسـه عزيز المرام صـعب المنال، غامض المـدرك فإنه في العلو والذروة العليـا والمقصـد الأقصى الذي تتحيـر الألباب فيـه، وتنخفض أبصار العـقول دون مبادية، فـضلا عن أقـاصيـه. ومن أين للقوى البـشـرية أن تسلك في صفـات الربوبيـة سبـيل البحث والفـحص والتفتيش؟!!. وأنى تطيق نور الشمس أبصار الخفافيش؟!".

(٣) في أ = كالسـها. والسّـهى: بالضم والقصـر: نجم خفي في بنات نعش الصـغرى. وفـيه المثل العربي: "أريها السّهى وتريني القـمر" والجمع بين السـهى والقمر لما بينهمـا من المقابلة بالتضاد، لأن السهى في غاية الخفاء والقمر في غاية الظهور.

(انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي ٣/ ٢٩، والمستقصي في أمثال العرب ١/ ١٤٧).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (م).

(٥) في (أ): للقابل.

(٦) في (أ): إذا ضرب السيف...

وفائدة هـذه المقدمة: أن نحـيل عليهـا بالجواب عن كل حـديث أورده هذا السائل من السنـة الإسلامية ممـا يقصر العـقل عن إدراك مضمـونه أو يدركه على تعسف، أو بتأويل بعيد.

وقد ساعدنا هو على ذلك بما ذكره عن الحكيم "أرسطوا" فكان هذا الخصم كالجادع مارن أنفه بكفه [1]، والباحث عن حتفه بظلفه [2].

وأيضا: فإن من الطرق العامة التي لايستغنى عنها في كل شريعة، أو غالب الشرائع: أن يقال فيـما اشتملت عليه من التعبدات العـملية أو العلمية: هذا ممكن أخبـر به الصادق، وكل ممكن أخبـر به الصادق فهـو حق واقع. فهذا المشـار إليه ٤
حق/ واقع.

---

(١) مارن الأنف مـالان من الأنف، وقيل: مالان من الأنف منحـدرا عن العظم وفضل عن القصـبة [لسان العرب ١٣/ ٤٠٤] وهذا من المثل المشـهور: "لأمر ما جدع قصيـر أنفه" وفي ذلك يقول المتلمس:

ومن حذر الأيام ما حز أنفه

قصير ورام الموت بالسيف بيهس

[انظر المستـقصي في أمثال العـرب للزمخشري ٢/ ٢٤٠، ومـجمع الأمثال للمـيداني ١/ ٢٣٥، ٢/ ١٩٦].

(٢) هذا من المثل العـربي: "حـتفـهـا تحمل ضـأن بأظلافـهـا" وهذا يضرب لمن يوقـع نفسـه في هلكة. وأصله أن رجلا وجد شاة، ولم يكن معه ما يذبحـها به، فضربت بأظلافها الأرض فظهر سكين فذبحهـا به، تمثل به حريث بن حسان الشيـباني بين يدي الرسول ﷺ لقيلة التميـمية في قصة اقطاعه الدهناء له.

[انظر مـجـمع الأمـثـال ١/ ١٩٢، وسنن أبـي داود "كـتـاب الإمـارة، باب إقطاع الأرضين" والترمذي: "كتاب الأدب، باب ما جاء في الثوب الأصفر].

والنزاع في هذا الدليل يقع في أمرين:

أحدهما: كون الأمر المشار إليه ممكنا، وقد بينا: أن الشرع لم يأت بما ليس ممكنا.

والثاني: في كون المخبر به صادقا. وعلى أهل كل ملة بيانه بالدليل.

ونحن سنبين صدق محمد ـ عليه السلام ـ في أثناء هذا الكتاب، حيث يناسب ذكره،ـ إن شاء الله تعالى ـ على وجه يقبله كل منصف عاقل.

المقدمة الثالثة:

إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية. ولهذا إذا أشكل على العقلاء أمر عقلي، ضربوا له مثالا حسيا ليتصور لهم. وصور ذلك كثيرة جدا في سائر العلوم، يعرف ذلك من له أدنى نظر في العلم.

وإذا عرفت/ ذلك فاعلم أن الأدلة الشرعية لها مراتب مختلفة بحسب اختلاف مدلولاتها. ٦أ

فيثبت ببعضها فروع الشريعة دون أصولها، كالخبر المستفيض [١]، وخبر الواحد [٢]، والقياس الظني[٣]،

---

(١) انظر الكلام عنه في ص: ٥٧٠.

(٢) سيأتي الحديث عن خبر الواحد ـ إن شاء الله ـ ص: ٥٦٩.

(٣) القياس: لغة التقدير نحو قست الثوب بالذراع والجراحة بالمسبار وشرعا: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما. وينقسم إلى قطعي وظني، فالقطعي: ما كان الإثبات فيه ـ أي الادراك ـ علي وجه الجزم واليقين ويتوقف هذا النوع على العلم بعلة حكم الأصل والعلم بحصولها في=

والاستحسان [1]، والاستصحاب [2]، وقول الصحابي [3] ونحوه. ولاتثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والنظريات[4] والمتواترات[5] ونحوها.

=الفرع. وأما الظني فهو: ما كان الإثبات ـ أي الادراك ـ على وجه الرجحان وغلبة الظن. أي إذا ظن في علة حكم الأصل أو حصولها في الفرع، أو ظن في أحدهما.

(انظر المختصر في أصول الفقة لابن اللحام ص١٤٢، ودراسات في أصول الفقة للدكتور عبدالفتاح الشيخ ص١٩٧).

(١) الاستحسان: في اللغة: عد الشيء واعتقاده حسنا. تقول استحسنت كذا، أي اعتقدته حسنا، أو طلب الأحسن للاتباع الذي هو مأمور به كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر١٧ ـ ١٨) وفي الاصطلاح: هو العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل شرعي خاص. وقال به الحنفية، وأنكره غيرهم، وقال المنكرون: "من استحسن فقد شرع"(انظر مقدمة: ابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور عبد العزيز السعيد، والمختصر في أصول الفقه لابن اللحام ص ١٦٢، وأدلة التشريع للربيعة ص١٥٥ وما بعدها).

(٢) الاستصحاب: لغة: طلب المصاحبة. واصطلاحا: له عدة تعاريف عند العلماء منها: هو البقاء على الأصل فيما لم يعلم ثبوته وانتفاؤه بالشرع، ويسمى العدم الأصلي عند عدم الدليل الشرعي. وهو دليل مختلف في الاحتجاج به (انظر فتاوى ابن تيمية ١١/ ٣٤٢، المختصر في أصول الفقه لابن اللحام ص ١٦٠، ابن قدامة وآثاره الأصولية متن الروضة ص١٥٥ وما بعدها، التعليقات على الورقات ص٨٩، أدلة التشريع للربيعة ص٢٧٥ وما بعدها).

(٣) الراجح من أقوال العلماء أن قول الصحابي إذا اشتهر ولم يخالفه أحد من الصحابة، ولاعرف نص يخالفه: أنه حجة.

(انظر فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ١٤, ٥٧٣).

(٤) هكذا في النسخ الثلاث ولعل صحيح العبارة: "كالبديهيات والفطريات نسبة إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها. والله أعلم.

(٥) سيأتي الكلام عن المتواتر في ص:٥٦٩.

ووزانه من المحسوسات البناء. فإنه يحتاط لأسه بتخير الآلة الجيدة القوية الثابتة ما لا يحتاط لحشوه وأعلاه، لأن ثبوت أعلاه بأسّه.

وفائدة هذه المقدمة: أن يستند إليها في أن كل ماأورده علينا من الأخبار التي حقها أن لاتثبت بمثلها الأصول، لاترد علينا، ولاتلزمنا لأن تلك أخبار توجب العمل دون العلم، لكونها مظنونة الثبوت. وإن كانت في البخاري[1] ومسلم[2]، لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها، فلا تقوى على إثبات أصل، ولا على أن يقدح بها في أصل، خصوصا وقد دخلها تصرف الرواة في الرواية بالمعنى. وقد أورث ذلك إشكالا عظيما في أحكام الفروع، واختلافا جمّا بين أهل العلم.

فنقول في مثل تلك الأحاديث: هذه لانثبت بها أصلا، ولاترد علينا نقصًا[3]. وإنما المعتمد على ما يثبت به ذلك[4].

---

(١) تقدمت ترجمته ص: ٦١ من القسم الدراسي.

(٢) تقدمت ترجمته ص: ١٧٥ من القسم الدراسي.

(٣) في (م): نقصا.

(٤) تقدمت الإشارة إلى أن الخبر عند بعض المحدثين والفقهاء إما متواتر أو آحاد، والآحاد إما مشهور مستفيض أو خبر واحد، وسيأتي تعريف المتواتر وتعريف المشهور المستفيض، وأنه على الرأي الراجح حجة مادامت روايته صحيحة وتلقته الأمة بالقبول. وكذا خبر الواحد حجة للعمل به في الدين والدنيا كما سبق أن أوضحت هذا في قسم الدراسة ورددت على الطوفي وغيره من الأصوليين فيما ذهبوا إليه في حجية خبر الواحد.

وإذا فهمت مقاصد هذه المقدمات، تيسر عليك الجواب، فإن ما أراده هذا الخصم، إن كان من كتبهم كالتوراة والإنجيل ونحوها: منعنا كون ذلك حجة، بما قررناه في المقدمة الأولى. ثم قد نسلمه على جهة التنزل ونجيب عنه بالتزام أو فساد [1] بوجه ما. وإن كان من كتبنا، فإن كان (مما يقصر العقل عن فهمه أجبنا عنه بما حكى هو عن "أرسطو" كما تقرر في المقدمة الثانية، وإن كان [2]) مما يصل العقل إلى فهمه أجبنا عنه: إما بأنه مما لا يثبت/ بمثله أصل. بناء على ماقرر في المقدمة الثالثة، أو بتوجيهه وهو يسير بطريق من طرق الأجوبة الجدلية./

أ٧

م٥

والذكي الفطن إذا اقتصر في جواب كتاب هذا النصراني كله على هذه المقدمات كفاه ذلك. مع أني لا أقتصر عليه، بل سأجيب عن كل منه بما أمكن مفصلا -إن شاء الله تعالى- وما كان في عبارته من تطويل لخصته مع الإتيان بكمال المعنى، وأعرضت عن مكافأته على سوء [3] أدبه على النبي ﷺ بمثله، لا إكراما له، بل هوانا [4] بقدره ومحله.

[التنبيه على الكذبة والتحذير منهم]

فأقول: أول ما افتتح به كتابه أن قال: "احذروا من الأنبياء الكذابين، الذين يأتونكم في لباس الضأن، وهم في الباطن ذئاب مغيرة، من ثمراتهم

---

(١) في «م»: أو آفساد...

(٢) مابين القوسين ساقط من (م). وقد أشار المراجع بسهم إلى الهامش عند بداية النقص، ولم يكتب النقص فيه.

(٣) في (م): عن

(٤) في (م): أهوانا.

يعرفون" قال: "وهذه الآية قول الله عزوجل في الإنجيل الطاهر"، وذكر عليها كلاما لا ضرورة لنا إلى ذكره فيما نحن بصدده.

قلت: هذا من كلام المسيح ابن مريم [1]، ذكر في الفصل الخامس [2] من إنجيل متى [3]. وقول هذا المصنف: "هذه الآية قول الله تعالى [4] في الإنجيل الطاهر" هو بناء على معتقده: أن المسيح هو الله [5]. ويكفيه

---

(١) يقول الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ص ٣٣٠: "... إن ألفاظ عيسى عليه السلام بعينها ليست بمحفوظة في إنجيل من الأناجيل، بل في كل إنجيل توجد ترجمة أقوال باليوناني على ما فهم الرواة..." اهـ، وهو كذلك.

(٢) قلت هذا النص في الفصل السابع من متى حسب ترجمة ١٩٧٩م ـ دار الكتاب المقدس في العالم العربي ولفظه فيها: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم" اهـ.

(٣) متى: يقال إنه أحد الحواريين الاثني عشر الذين آمنوا بعيسى وتتلمذوا عليه بإجماع النصارى، وليس كذلك. كان من جباة الضرائب للحاكم الروماني في ذلك الوقت ولذلك سمي: متى العشار. يقال: إنه كتب إنجيلا بين فيه حياة المسيح مما كان قد شاهده ورآه. وألفه بالعبرية. ثم فقد هذا الإنجيل وترجم بعد ذلك باللغة اليونانية على زعم النصارى، ولم يعلم متى ترجم ومن ترجمه، وبذلك تسقط قيمة هذا الإنجيل. (انظر الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩ ـ ٢٠، وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٠ـ٣٤، والفصل ٢/ ٨٩).

(٤) كلمة: "تعالى" ليست في (م).

(٥) قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ﴾ الآية. المائدة: ١٧). =

ذلك [1] شناعة وبشاعة على ما قررته [2] بحسب الإمكان في التعليق على الأناجيل الأربعة [3].

قلت: وغرضه بتصدير كتابه بهذه الآية [4]: القدح في محمد عليه السلام

= وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ...﴾ الآية (سورة المائدة: ٧٢).

(١) في (أ): (ويكفيه من ذلك شفاعة).

(٢) في م: على ماقد قررته.

(٣) عندما تعرض في كتابه" تعاليق على الأناجيل" لبيان أنها ليست منزلة من عند الله ذكر أن من أدلة ذلك اتفاقهم في أوائل كتبهم وأناجيلهم على أن يقولوا: " بسم الأب والابن والروح القدس إله واحد" وبين أنه لو سمعهم المسيح في ذلك لدعا عليهم بأن يصيروا قردة وخنازير. وأنه لا يرضى منهم هذا الادعاء، ثم أفسد قولهم بالأقانيم الثلاثة، وقياسهم إياها على النفس والنطق والعقل للإنسان، ورد ادعاءهم بأنها صفات للإله وبين فساد مذهبهم على العموم في الإلهية وأثبت نبوته.

(انظر مخطوطة الكتاب المذكور من ص٣ـ٨).

(٤) الآية في اللغة على عدة معاني فهي بمعنى المعجزة، والعلامة والعبرة، والأمر العجيب، والجماعة والبرهان والدليل، وكل ذلك وارد في القرآن الكريم إلا بمعنى جماعة. وهي في اصطلاح المسلمين: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن. والآية في القرآن تجمع بين المعاني اللغوية كلها. (انظر مناهل العرفان ١/ ٣٣١ـ٣٣٢) ولكن هل يطلق على ماورد في كتب أهل الكتاب التي بأيديهم آية؟ لم أجد في ذلك شيئا ولكن أرى أنه لايطلق عليها لعدم الوثوق بأنها من عند الله بل هي محرفة مبدلة وليست المنزلة واطلاق المؤلف هنا تجوزا والله أعلم.

ونسبته إلى الكذب. ولا حجة له [1] فيها على ذلك، فإنها كلام صحيح، ونحن نقول به / ومحمد ﷺ قد حذرنا من الأنبياء الكذابين [2] أيضا [3]، والمسيح عليه السلام لم ينص على أحد بعينه أنه كاذب، بل حذر ممن [4] صفته الكذب، ممن يدعي النبوة. ٥ش

وقد كان في بني إسرائيل متنبئون/ كذبة كثير. كما قد صرح به في نبوة أرمياء في الأصحاح الرابع [5] والخامس [6] والسادس [7] منها. كما ذكر هذا ٨أ

---

(١) في (م): ولا حجة فيها.

(٢) في (ش)، (م): الكذبة.

(٣) من ذلك على وجه الاختصار ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» (البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦١٦، ومسلم في الفتن ح٨٤، والترمذي في الفتن باب ماجاء لاتقوم الساعة حتى يخرج كذابون، وأحمد٢/٢٣٧). وأخرج مسلم أيضا وغيره عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين» وفي رواية ابن ماجه: « إن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي». (مسلم في الإمارة حديث ١٠ وفي الفتن حديث٨٣، وابن ماجه في الفتن باب ما يكون من الفتن، وأحمد في المسند ٢/٤٢٩).

(٤) في النسخ الثلاث: "من صفته" والصحيح ما أثبته.

(٥) لم أجد في هذا الفصل في التراجم الحديثة نص واضح في هذا.

(٦) مما قال فيه: "صار في الأرض دهش وقشعريرة، الأنبياء يتنبئون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم".

(٧) قال: " لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب".

النصراني بعينه بعد ذكر هذه الآية بأسطر: أن نحو أربعمائة من بني إسرائيل ادعوا النبوة في[1] زمن "آخاب [2]" ملك بني إسرائيل، وكانوا كذبة وأنهم وعدوه بالنصرة على بعض أعدائه فاغتر بهم فخذل وقتل [3]. فالمسيح إنما حذر من مثل هؤلاء، لا من مثل محمد، الذي جاء بأتم [4] أخلاق وآداب ودين لايتمارى في صدقه بعده إلا جاهل أو مجنون وبمعجزات جمة [5]، بأيسرها تثبت النبوة. على ما سيأتي، بل المسيح بشر بمحمد ـ عليه السلام ـ كما سيأتي في موضعه من هذا الكتاب [6]، وكما قررته في [7] فصل "البار قليط [8]" في

---

(١) في (ش): وفي.

(٢) "آخاب": أحد ملوك بني إسرائيل، يقال إنه كان في زمن الرسول إلياس ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وكان يسمع من إلياس ويصدقه، ثم كذبه وعبد الأوثان مثل بني إسرائيل.

(انظر الكامل في التاريخ ١/ ١١٨ـ١١٩).

(٣) لم أجد هذا النص في التراجم الحديثة من الأناجيل الأربعة.

(٤) كلمة: "بأتم" ساقطة من (م) و (ش).

(٥) في (م): جمعة.

(٦) انظر: ٤١١ـ٤٢٤.

(٧) في: ليست في(أ).

(٨) البارقليط، وتكتب: البرقليط، وتكتب أيضا: القارقليط: وهو عند بعض النصارى من ألفاظ الحمد إما أحمد أو محمد أو محمود. وقيل: الحامد، وجمهورهم أنه المخلص الناس من الكفر، والمعلم لكل شيء. قلت: وكل هذه الأوصاف تنطبق على محمد ﷺ (انظر الأجوبة الفاخرة للقرافي ط الباز ص١٦٦، وهداية الحيارى لابن القيم ط مكتبة المعارف بالرياض ص٥٥) وفي التراجم الحديثة: المعزي ومعناه: الجاد في أمره، يقال: رجل معز وماعز ومستمعز: جاد في أمره لله (انظر لسان العرب ٥/ ٤١١، وإنجيل يوحنا الأصحاح ١٤).

التعليق[1] على بشارة يوحنا بن زيدي[2]. والله أعلم.

ثم قال: "وهذا يعني تعريف الأنبياء الكذابين [3] وتعرفهم، والتحذير منهم ضروري، بيّن الضرورة، نافع، ظاهر المنفعة، والعمل به واضح النجح بيّن الصلاح لأنه لارتبة أعلى ولاخطة أرفع في بني آدم من النبوة. فكم ملتمس رامها بالحيل، فأظهر/ من دقائق[4] الحيل، وخفي المكائد ما اغتر به كثير من ضعفاء العقول، فألقى الشيطان الضلال في الناس، وأدخل بينهم الفساد بواسطة هذا الصنف من الأنبياء الكذابين، كما جاء في قصة "آخاب" ملك إسرائيل، وذكر ٦م

---

(١) ذكر ذلك المؤلف في كتابه: "تعاليق على الأناجيل..." ص ٧٠-٧٢ خ وذلك عند ذكره لنص انجيل يوحنا: "والفارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي وهو يعلمكم كل شيء... وإذا جاء ذلك يوبخ العالم على الخطيئة... ثم إذا جاء روح الحق ذلك فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يكلم كلاما يسمع ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لأنه يأخذ بما هو فيّ ويخبركم" وقد بين الطوفي أن هذا النص بشارة من عيسى بمحمد لأنه لم يأت بعد المسيح من ادعى النبوة، وعلم الناس ونهاهم عن الكفر والمعاصي، وأرشدهم إلى الحق وبالغ في تمجيد عيسى وصدقه في نبوته وقاتل اليهود على تكذيب عيسى وقاتل عباد الأوثان إلا محمد ﷺ وقد قال ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم إنه لم يكن بيني وبينه نبي» [أخرجه مسلم في الفضائل حديث ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ بألفاظ متقاربة].

(٢) يوحنا بن زيدي الصياد لم يكن من الحواريين الاثني عشر ولد بصيدا يقال إن المسيح ـ عليه السلام ـ كان يحبه حتى أنه استودعه أمه مريم وهو فوق الصليب ـ على زعمهم ـ وهذا كذب ويقال إنه نفي أيام الاضطهادات الأولى نفاه القيصر إلى جزيرة من جزر بحر ايجة وهناك تلقى مناظر الرؤيا، ثم عاد إلى أفسس ولبث بها يبشر بانجيله حتى توفي شيخا. [انظر الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٠-٣٤٢، وتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند النصارى ص ٣٨، والفصل ٢/ ٨٩].

(٣) في (ش)، (م): الأنبياء الكذبة.

(٤) في (ش): دفاتر.

قصته مع أربع المائة الذين تنبئوا في زمانه، وقد سبق ذكرهم.

قلت: هذا [1] كلام صحيح، لاغبار عليه. ونحن نقول به، لكن غرض هذا الخصم، لايتم منه بحسب ماهو بصدده إلا ببيان: أن محمدا عليه السلام من هذا الصنف من الأنبياء الكذابين/ .

وذلك صعب المرام عليه، لوجهين:

أحدهما: أنا ما رأينا ولا سمعنا منذ أهبط آدم [2] إلى الآن: أن نبيا كذابا[3] أستوسق[4] له ناموسه، كما استوسق دين الإسلام نحو ألف

---

(١) في (م): وهذا.

(٢) ذكر الله اهباطه لآدم في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (سورة البقرة من ٣٥-٣٦) وقال تعالى في سورة طه [١٢٣]: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾الآية.

وثبت خبر اهباط الله لآدم في صحيح مسلم في [القدر، حديث ١٥ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام] وسنن أبي داود في (الصلاة فضل يوم الجمعة، وليلة الجمعة ١/ ٦٣٤) والترمذي في (تفسير سورة بني إسرائيل ـ الإسراء ـ ٥/ ٣٠٨) وفي (فضل الجمعة ٢/ ٣٥٩) وأحمد في المسند ٢/ ١٣٤، ٣/ ٤٣٠، ٤/ ٤٥٠ كلهم بألفاظ مختلفة.

(٣) لو قال: أن متنبئا كذابا لكانت العبارة أصح وأدل على المقصود، لأن النبي لا يكذب. ومن يكذب لا يسمى نبيا.

(٤) استوسق له الأمر: اجتمع له الأمر واستقر [انظر لسان العرب ١٠/ ٣٨٠] ومنه ما رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢١٣) من حديث جعفر بن أبي طالب في الهجرة إلى الحبشة عن أم سلمة: (... قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. واستوسق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ ...).

سنة[1]، وهو كلما جاء [2] في زيادة وتمكن.

بل كان المتنبىء لايلبث إلا يسيرا، حتى يفضحه الله، ويهتك ستره، لأن عادة الله في خلقه: أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويجعل العاقبة للمتقين [3].

الوجه الثاني: أن تأييد الكذاب بالمعجز، وإظهار أمره، وانقياد الناس له قبيح. لأن فيه التباس النبي بالمتنبيء، والقبيح لايجوز على الله فعله خصوصا على رأي هذا الخصم [4]، في انكار القدر[5]. فإن هذا من جملة أدلة القدرية[6]

---

(١) قوله: "الف سنة" هكذا في النسخ الثلاث. ولعل هذا تحريف من النساخ لأن الوحي نزل على رسول الله ﷺ وعمره أربعون سنة على الأرجح... وبقي في مكة يدعو الناس إلى دين الله ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة وتكونت دولة الإسلام. وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة فيكون الزمن من ابتداء ظهور الإسلام إلى سنة تاليف هذا الكتاب في أواخر سنة سبع وسبعمائة من الهجرة: ثمانمائة سنة تقريبا وليس ألف سنة كما ذكر إلا أن يكون ذكر ذلك للتكثير، فالله أعلم.

(٢) هكذا في النسخ الثلاث ولعل صحيح العبارة: "وهو كلما جاء زمن ـ أو عام أو وقت ـ في زيادة وتمكن".

(٣) قال الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة الأعراف ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص ٨٣).

(٤) سيأتي بيان مذهب الطوفي في التحسين والتقبيح العقليين ـ إن شاء الله ـ في ص ٤٦٨.

(٥) في (ش): القدرة.

(٦) القدر: ما يقدره الله ويحكم به من الأمور. [لسان العرب ٥/ ٧٤] والإيمان به أحد أركان الإيمان الستة، وأول من قال فيه قولا شاذا منحرفا عن الحق معبد الجهني المتوفي سنة ثمانين من الهجرة، فأنكر القدر، ثم كثر الخوض فيه بعد ذلك، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد، فزعمت طائفة منهم المعتزلة أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر، فخلق العبد فعله وغلبت إرادته إرادة الله، وقالت طائفة بعكس ما قال هؤلاء: أي أن العبد ليس له إرادة ولا اختيار بل هو مجبور على فعله فإذا أراد الله عليه الكفر فهو مجبور على ذلك. فسمي هؤلاء جميعا "قدرية" والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. [انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٥، وفتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٦-٣٧].

على نفيه، وسيأتي ذلك في أثناء هذا الكتاب إن شاء الله تعالى [1] وسنذكر من معجزات محمد ـ عليه السلام ـ ما يخزى له كل معاند.

[حقيقة النبوة وحاجة الخلق إليها] ٦ ش

ثم قال: "فينبغي للعاقل أن يعرف أولا: ماالنبوة؟ وما فائدتها؟ وما النبي؟ وما شروطه؟ وما مراد الله تعالى بإرساله لعبيده؟ لأنه لابد من تصور الشيء [2] قبل / التصديق به، ليكون الإنسان [3] قادرا على التفرقة بين كذب النبوة وصدقها، وعلى الفصل بين الصادق والكاذب من الأنبياء".

قلت: هذا كلام صحيح، لا اعتراض لنا، ولا لغيرنا عليه.

ثم قال: "ولابد عند الخوض في هذا من معرفة الكلام في أربعة أمور: حقيقة النبوة، ووجودها، ووقوعها، وضرورة الخلق إليها. ومنفعتها".

قلت: هذا أيضا كلام صحيح مسلم.

ثم قال: "أما حقيقة النبوة: فإنها وحي صادق نافع للناس إلهي [4]، يكشف عن الغيب الذي لا يمكن انكشافه بحسب مجرى الطبيعة" وذكر ما في هذه القيود من/ الاحترازات، وهي ظاهرة.

قلت: وهذا تعريف صحيح لامطعن عليه.

ثم قال: "وأما وقوع النبوة فغير منازع فيه، عند أهل الملل الثلاث [5].

---

(١) انظر ص: ٤٥٤ وما بعدها.

(٢) في (أ): النبي.

(٣) في (أ): الارسال.

(٤) في (أ): إلهي به يكشف.

(٥) أهل الملل الثلاث: اليهود، والنصارى، والمسلمون.

وبيانه لمن نازع فيه بحجتين:

إحداهما [1]: أن عناية الباري سبحانه / بخلقه* قد تثبت في اليسير، من مصالح المعاش، كوضع الحواس والأعضاء، متهيئة لما وضعت له ونحو ذلك من نعم الله التي لا تحصى [2]. ٧م

فالعناية بهم في أمر المعاد بإرسال من يهديهم إلى طريق السعادة الأبدية والحياة الدائمة[3]، ويكف شر بعض العالم عن بعض[4]، لينتظم أمرهم أولى[5].

---

(١) في (أ): أحدهما.

(٢) قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٤ - ٩] (سورة السجدة ٤-٩).

(٣) في (ش): الدائمة السرمدية.

(٤) العالم عن بعض: مكررة في (أ).

(٥) قلت: حاجة البشرية إلى بعثة الرسل فوق كل حاجة، وضرورتهم إلى الرسالة فوق كل ضرورة، لأنه لا حياة للقلوب ولا طمأنينة إلا بمعرفة الله وكيفية عبادته وما الطريق الموصل إلى ذلك، وما لهم في الدار الآخرة من الثواب والجزاء، وأنها هي الحياة الدائمة التي يعمل الإنسان في الدنيا من أجلها، كما أن الحياة الدنيا ستكون جحيما بغير الرسالات التي تنظم الحياة والعلاقات وتوفر الأمن على النفس والعرض والمال وغير ذلك مما لابد للإنسان منه.

الثانية: مادل عليه التواتر الكامل الشروط من أن جماعة من الرجال، ادّعوا أنهم رسل الله، وظهرت المعجزات على أيديهم، كمعجزات موسى وعيسى، ورد الشمس ليوشع [1]. ثم ذهبوا على أوضح سنن من الطهارة والفضيلة والزهد في الدنيا، ودعوا الناس إلى مثل ذلك: فإن هذا يدل على صدقهم في دعواهم وذلك يفيد وقوع النبوة قطعا، هذا حاصل ما ذكره من الحجتين، لخصته أنا، وهو في عبارته طويل جدا.

قلت: وهاتان الحجتان مسلمتان. لكن الأولى مبنية على رعاية الأصلح ونحن لا نقول به وجوبا على الله، بل جوازا [2] على جهة

---

(١) يوشع بن نون أفرائيم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ (البداية والنهاية ١/ ٣١٩) أحد أنبياء بني إسرائيل. أخرج البخاري في [كتاب الخمس باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم...» ٦/ ٢٢٠] عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولادها. فغزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليهم...» الحديث، وقد أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة حديث ٣٢، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٨ بألفاظ متقاربة، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٥) عن أبي هريرة بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس». وقد ذكر ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١) أن هذا الطريق مرفوعة صحيحة.

(٢) رعاية الأصلح من المسائل المتفرعة عن الخوض في القدر، وقد خاض فيها المعتزلة وغيرهم فقال المعتزلة يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح للعباد في دينهم ودنياهم، وكان ممن نازعهم في ذلك الأشاعرة حيث قالوا إن الله يفعل الأصلح لعباده ولكن ليس هذا بواجب عليه بل=

التفضل [1]، خلافا للمعتزلة.

وبهاتين الحجتين بعينهما ثبتت نبوة محمد ـ عليه السلام ـ.

أما الأولى: فلأنه بعث على فترة من الرسل طويلة[2]، وقد أكل العالم بعضه بعضا خصوصا العرب في جاهليتها وغاراتها. وكانوا يعبدون الأوثان. والنصارى الصلبان. والفرس: النيران. وغير ذلك من المنكرات فأزال الله به ذلك وأبدل الناس به خير ما ينبغي[3].

= جائز ـ وهذا ما يدل عليه كلام الطوفي هنا ـ والحق أن الله يخلق ويفعل لحكمة ومصلحة يريدها سبحانه وهذا من عدله ورحمته التي وسعت كل شيء، فإرسال الرسل مثلا مصلحة عامة للناس وإن تضمن شرا لبعضهم لمعصيتهم إياهم. وهكذا سائر ما يفعله ويقدره سبحانه تغلب فيه المصلحة والرحمة والمنفعة [انظر منهاج السنة ١/ ١٧١-١٧٢، الغنية في أصول الدين للمتولي النيسابوري ص ١٣٩-١٤١].

(١) في (ش)، (أ): التفصيل.

(٢) أخبر الله تعالى أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى اليهود والنصارى وغيرهم من العرب والعجم فكان خاتم النبيين المعقب لهم فقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٩] ومعنى "على فترة" أي بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى بن مريم، وقد اختلفوا في مقدار هذه المدة، وأشهر الأقوال أنها ستمائة سنة. والله أعلم.

[انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٥ ٣].

(٣) أي خير ما يصلح الناس. قال ابن الأعرابي: "وما ينبغي له: وما يصلح له". (لسان العرب ١٤/ ٧٧).

ولا نعلم زمنا قط، كان أحوج إلى/ النبوة من زمن نبوة محمد ـ عليه ١١١أ
السلام[1] ـ.

وأما الثانية: فلأنه ثبت بالتواتر الكامل الشروط. أنه عليه السلام ادعى النبوة وظهرت على يديه [2] معجزات خارقة سيأتي بيانها وإثباتها على من أنكرها في موضعه إن شاء الله تعالى ثم توفي ﷺ [3] على أوضح سنن، وأظهر طريقة، وأزكاها وأزهدها في الدنيا، ودعى الناس إلى ذلك، والخصم ينازع من هذه الجملة في ظهور المعجز على يده، وفي طهارته. وسيأتي إثباتهما.

---

(١) طال الزمن الذي لم يبعث فيه نبي، وساد الظلام في العالم. وخفتت أصوات الأنبياء والمرسلين بالتوحيد النقي والدين الخالص، حل محلها صيحات الجهل والضلالة التي صاح بها المحترفون والدجالون، وأصبحت الديانات ـ وآخرها المسيحية ـ فريسة العابثين، والمتلاعبين، ولعبة للمنحرفين، حتى فقدت روحها وشكلها. وعكف المجوس على عبادة النار وبناء الهياكل لها. وتحولت البوذية في الهند وآسيا الوسطى، تحمل معها الأصنام حيث سارت، وتنصب تماثيل "بوذا" حيث حلت، وساءت أخلاق العرب فأولعوا بالخمر والقمار، وسقوط منزلة المرأة، وجعلها من سقط المتاع، ووأدوا البنات، وأغرموا بالحرب، وهانت عليهم إراقة الدماء فاختار الله من العرب من ينقذ البشرية من هذا الظلام الدامس، والشقوة الطويلة محمدا ﷺ فسعدت البشرية حتى النصارى وغيرهم من أصحاب الديانات الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة الإسلامية، وإن كانوا من أعداء ماجاء به محمد ﷺ، وهذا من أعظم ما يدل على أنه بعث رحمة للعالمين، وأنه رسول رب العالمين.

(٢) في (ش)، (أ): على يده.

(٣) سقطت كلمة "وسلم" من (أ) و(ش).

ومن معجزاته: انشـقاق القمر له [1]، ورد الشمس لابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه [2] فكان ردها معجزا للنبي عليه السلام/ وكرامة لعلي رضي الله عنه[3] وقد صـحح الحديث بذلك [4]: "الطحاوي [5]" و"القاضي عـياض[6] وحسبـك بهما إمامين في العلم ولا التـفات مع ذلك إلى من جعله مـوضوعا. إذ

٧ش

---

(١) قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وأخرج البخاري في أكثر من موضع منها في تفسير سورة اقتربت الساعة (٥٤) ومسلم في كتاب صفات المنافقين حديث ٤٣، وأحمد في مواضع منها: (١/ ٣٧٧) عن ابن مسعود قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين، فقال لنا: (اشهدوا، اشهدوا).

(٢) تقدمت ترجمته ص ٨٩ من الدراسة.

(٣) عنه: سقطت من (م).

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ٢٠/٨-٩) من طريقين صححهما عن أسماء بنت عميس، والقاضي عياض في الشفاء (١/ ١٨٥) وتبع الطحاوي في تصحيح الحديث. وتبعهما بعض أهل العلم كعلي القاري وأحمد الخفاجي في شرحيهما للشفاء (٣/ ١٠-١٣) وابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١-٢٢٢) وقال: " وهذا أبلغ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه والله أعلم "اهـ. وقد خالف هؤلاء ابن الجوزي كما تقدم وابن تيمية في منهاج السنة (٤/ ١٨٦ - ١٩٥) وبين وجاهة وضعه من حيث المتن، وتبع ابن تيمية تلاميذه ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٢٣)وابن القيم في المنار المنيف ص ٦٨، والذهبي في تلخيص الموضوعات. [انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ٢/ ٤٠٠] وتبعهم الألباني في المرجع السابق (٢/ ٣٩٥-٤٠١].

قلت: وعدم الحاجة إليه في إقرار معجزة النبي محمد ﷺ أو كرامة علي لوجود ما هو أقوى منه وأظهر في معجزته ﷺ، وفضل علي - رضي الله عنه - يجعلنا نميل إلى ضعفه وعدم الاحتجاج به لا انكاره وتكذيبه، والله أعلم بالصواب.

(٥) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٧٧.

(٦) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٧٨.

الإثبات مقدم، وردها ليوشع إنما ثبت عندنا بخبر من أخبار الآحاد، إذ لاوثوق لنا بما يخبر به أهل الكتاب.

فحينئذ الذي ثبت ليوشع النبي، قد ثبت مثله لواحد من أصحاب محمد ـ عليه السلام ـ.

قال: "وأما ضرورة الخلق إليها، فلأنه لايمكن التوصل إلى معرفة كثير من الأمور [1] الإلهية بمجرد العقل ضرورة، ولا نظرا. بدون الاطلاع الإلهي على ذلك تكميلا لقصور العقل الإنساني ـ إذ الموجودات بالنسبة إليه إما معلوم[2] ضرورة، كالعلم بأن/ الجزء أصغر من الكل، أو نظرا كالعلم بوجود الإله، واستحالة الخلاء [3]، أو ما يعجز عن إدراكه، كالعلم بعدد أنواع الحيوانات والنبات فضلا عن عدد أشخاصها، وكالعلم بفصول أكثر الأنواع وبكثير من الطبائع والحقائق على الجملة، لا نشك في أن المجهول عندنا غالب على المعلوم منها. فما ظنك بالأمور الإلهية/ . ٢

---

(١) كلمة: "الأمور" ساقطة من (أ).

(٢) هكذا في النسخ الثلاث ولعل "معلومة" أصح.

(٣) الاستحالة من استحال الشيء: أي تغير عن طبعه ووصفه، والمحال: الباطل غير الممكن الوقوع وهي عند الفلاسفة عبارة عن استبدال حال الشيء في ذاته أو صفة من صفاته لا دفعة واحدة بل يسيرا يسيرا.

وأما الخلاء فهو من خلا المنزل من أهله يخلو خلوا، وخلا فهو خال، أي لا شيء فيه ولا أحد. وهو في اصطلاح الفلاسفة: عبارة عن بعد قائم لا في مادة من شأنه أن يملأه الجرم. ويمكن أن يعرف بأنه أبعاد ليس فيها جسم. وهو عند المتكلمين: الفضاء الموهوم.

[انظر مختار الصحاح ص ١٨٨، والمصباح المنير ١/ ١٩٠، ٢١٦، ولسان العرب ١٤/ ٢٣٧، ودرء تعارض العقل والنقل ٦/ ٢١٥، والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص ١٠٠، ٩٦، والمعجم الفلسفي ١/ ٦٥، ٥٣٧].

ثم ذكر كلام "أرسطو" و"ابن رشد" و"أبي حامد" الذي قدمنا ذكره في المقدمة الثانية.

قلت: هذا كلام صحيح، لا نزاع فيه. لكن قوله: "كالعلم باستحالة الخلاء" رأي فلسفي، والمتكلمون يخالفونهم فيه، ونبهت[1] على هذا. وإن لم يتعلق بما نحن بصدده.

[فوائد النبوات ومنفعتها]:

وقد ذكر المتكلمون فوائد النبوات[2]:

منها: تعريف أوضاع العبادات ومقاديرها ومواقيتها وكيفياتها ومقوماتها من شرط وركن ونحو ذلك.

ومنها: إقامة الحجة على الخلق. إذ بدونها لا تقوم حجة الله على خلقه، كما صرح به في غير موضع من القرآن، كقوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ... (١٦٥)﴾[3] وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ ... (١٣٤)﴾[4] الآية، وغيرها.

ومنها: تعريف الأحكام الفلكية كتفاصيل علم الهيئة[5]، وأدوار الفلك،

---

(١) في (أ): وشهد.

(٢) في (أ): فوائد النبوة.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (سورة طه، آية: ١٣٤).

(٥) هو علم ينظر به في حركات الكواكب الثابتة، والمتحركة، والمتميزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. [مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٧، وانظر دائرة معارف القرن العشرين ٦/ ٦٢٨].

ويسمى أيضا علم المجريات وعند الفلاسفة الحدسيات. واطلاق لفظ العلم عليه فيه نظر [انظر الرد على المنطقيين ص ٣٨٨].

وحركات الكواكب. فإن ذلك مما لا تستقل [1] به عقول البشر، ولا تفي أعمارهم بادراكه بالتجربة لو اشتغلت به عقولهم[2].

ومنها: تعريف الأحكام البطية كقوى الأدوية والأغذية وخواصها، ومنافعها، ومضارها [3]، إذ الأعمار لا تفي بمعرفة ذلك بالتجربة [4]، كما قال "أبقراط[5]":

---

(١) في (أ): يستقل.

(٢) كان دور الأنبياء فيما يتصل بذلك: الاستدلال ـ بالكواكب والأفلاك وعظيم خلقها وحركتها العجيبة واتقان صنعها ونظامها العجيب ـ على وحدانية الله وعظيم قدرته وبيان الحكمة من خلق هذه الأفلاك والكواكب ومنفعتها للخلق، كالاستضاءة والاهتداء بها وحساب الوقت والزمن، وكونها مواقيت للناس في معاملاتهم وعباداتهم كالصوم والحج والفطر ومدة الحمل وغير ذلك. والآيات القرآنية في ذلك كثيرة لا يمكن إيرادها في هذا المكان منها قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**﴾ الآية (سورة البقرة ١٨٩) وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة يونس ٥) وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [**الأنعام**: ٩٧] ﴿سورة الأنعام ٩٧) وغيرها.

(٣) كلمة: "مضارها" ليست في (م)، (ش)، وهي من هامش (أ).

(٤) عرف نبينا محمد ﷺ أن كل داء له دواء، قد يهتدي إليه البشر أو لا يهتدون، كما في قوله ﷺ فيما أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨): «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» [وبعضه في البخاري ومسلم].

وأعظم الأدوية للمؤمنين القرآن الكريم: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الاسراء ٨٢)، ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ (فصلت ٤٤). وقد ذكر النبي ﷺ كثيرا من الأغذية والأدوية كالعسل والحجامة وغيرهما وبين ما فيهما من منافع، ولكن تجارب الأطباء في الأدوية وخواصها ومنافعها ومضارها كثيرة جدا، فليس معرفة الأحكام الطبية مقصورة على النبوات.

(٥) أبقراط بن راقيلسر الطبيب الحكيم اليوناني، وهو من نسل اسقلينوس الذي كان بداية صناعة الطب منه، والذي كان الملوك يختارون الملك من نسله، وكان أبقراط يلبس السواد، وهو شعاره، برع في علم الطب. (انظر نزهة الأرواح... في تاريخ الحكماء والفلاسفة ١/ ٢١٧-٢٢٦).

"العمر قصير، والصناعة طويلة، . . . والتجربة[1] خطر، والقضاء عسر[2]".

قلت: ومنها: ما أجرى الله سبحانه على أيديهم من البركات من جلب المصالح، ودرء المفاسد، والدعاء لهم، كابراء المرضى[3]، ودعاء موسى لقومه، برفع العذاب عنهم مرارا[4]، ورد النبي - عليه السلام - عين قتادة بن النعمان عليه[5]، وأشباه ذلك.

---

(١) في (م): وللتجربة.

(٢) العبارة في الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ١١١): "العمر قصير، والصناعة طويلة، والوقت ضيق، والزمان جديد، والتجربة خطر، والقضاء عسر". اهـ.

(٣) كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(سورة آل عمران آية ٤٩).

(٤) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٤٦-٥٠)، ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ (سورة الأعراف ١٣٤-١٣٥).

(٥) الصحابي قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها. قيل: إنه أول من دخل المدينة بسورة من القرآن هي سورة مريم. كانت معه يوم الفتح راية بني ظفر، توفي - رضي الله عنه - في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ونزل قبره أخوه لأمه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنهما -. وقصة رد عينه في غزوة أحد أو في غزوة بدر ذكرها الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٩٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٩٩-١٠٠، ٢٥١-٢٥٣) بخمسة أسانيد وأورد منها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٩١) طريقين قال في أحدهما: "وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده جيد ولم يخرجوه" وذكر القصة ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٨٧-١٨٨).

قال: "وأما منفعة النبوة: فكما قال "أبو حامد" في رسالة التوفيق[1] في ثلاثة أشياء.

أحدها: إصلاح الأخلاق النفسية كالعدل والعفة والصدق والنجدة والحلم والصبر/ والرحمة في مواضعها، والتزام / حسنها، واجتناب سيئها كأضداد ذلك، فإنه لا غنى للعاقل في معاشه عن ذلك. أ١١٣ ظ٨ شر

الثاني: حفظ حقوق الناس من دم ومال وعرض ونحوه، ورفع المظالم[2] من بينهم، وإلا هلك العالم/، واختل نظامه. ٩

الثالث: نجاة النفس من الهلكة في الدار الآخرة بمعرفة الخالق ـ سبحانه ـ وطاعته، ولا سبيل إلى معرفة ذلك بمجرد الفلسفة[3] بدون النبوة.

ومن ادعى ذلك فدعواه مجردة عن دليل الحق[4]، إذ الفلاسفة مختلفون في الآراء كغيرهم، فمتابعة بعضهم دون بعض ترجيح بلا مرجح".

قلت: هذا كلام صحيح، وهو من جملة فوائد النبوة، وضرورة الناس إليها، المذكورة في الفصل قبله. وقد جاء محمد ﷺ من ذلك بأفضل مما جاء به كل من سبقه. يعرف ذلك بالنظر الانصافي[5] في دين الإسلام، وقوانينه[6] الأصلية والفرعية.

---

(١) في (ش): الرفيق، قلت: لم أعثر على هذه الرسالة.

(٢) في (ش): التظالم.

(٣) في (أ): الفلاسفة.

(٤) كلمة "الحق" ليست في (م) و (ش).

(٥) "في": ليست في (أ). وفي هامشها: بنظر الأنصاف.

(٦) قوانين: جمع قانون، وقانون كل شيء: طريقه ومقياسه. ويقال إنها دخيلة على العربية. (انظر لسان العرب ١٣/ ٣٤٩، مختار الصحاح ص٥٥٣).

قال: "وإذ قد فرغنا مما ذكرناه. فنبين: ما النبي؟ وما شروطه؟ فنقول: النبي: هو الذي يعطى الوحي من عند الله على الصفة المذكورة في حد النبوة"[1]. [النبي وشروط صدقه]

قلت: هذا مسلم.

قال: "وأما شروطه فأربعة نسوقها بعد توطئة وتمهيد لذلك".

وحاصل التمهيد الذي ذكره: "أن من تردد في شيء فإنه لا يقف على حقيقته إلا بالنظر. فكذلك النبي إنما يعرف صدقه من كذبه بوجود الشروط الأربعة فيه[2].

أولها: الصدق.

وثانيها: طهارة النفس ونزاهتها عن الفواحش، لأن النبي

---

(١) النبي مشتق من النبأ بمعنى الخبر، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحي إليه فهو فعيل بمعنى فاعل، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(سورة الحجر: ٤٩) وإن كان لم يؤمر بتبليغ أمته ما أوحي إليه فهو بمعنى مفعول. قال تعالى: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣) ويصح أن يكون مأخوذ من النبئ، أو النبوة ـ وهو ما ارتفع من الأرض ـ والنباوة، وكلها بمعنى الارتفاع والظهور، وذلك لرفعة قدر النبي وظهور شأنه وعلو منزلته. والنبي هو: من أنبأه الله بخبر السماء. (انظر الرسل والرسالات، للأشقر ص١٣، ولسان العرب ٣/ ٥٦١ ـ ٥٧٣، وبصائر ذوي التمييز ٥/ ١٤، مذكرة التوحيد للشيخ عبدالرزاق عفيفي ص٤٤، ولوامع الأنوار ١/ ٤٩، ٢/ ٢٦٥).

(٢) لم أجد فيما أطلعت عليه من كتب السلف تحديد هذه الشروط الأربعة إلا الماوردي في أعلام النبوة ص٢٥ قال: "فإذا أثبت أن النبوة لا تصح إلا ممن أرسله الله تعالى بوحيه إليه فصحتها فيه معتبرة بثلاث شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته: أحدها: أن يكون مدعي النبوة على =

من عند الله، فوجب أن يكون على صفته[1] في الصدق

= صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله. . .

والشرط الثاني: إظهار معجز يدل على صدقه. . .

والشرط الثالث: أن يقرن بالمعجز دعوى النبوة. . . ' اهـ.

والظاهر أن هذا التقسيم وهذه الشروط استنتاجا من حال الأنبياء وإلا فإن الصادق المدعي للنبوة ومعه من الله برهان لا يشك العقلاء في نبوته.

(١) اختار الله في كل أمة رسولا أوحى إليه وأمره بدعوة الناس إلي عبادة الله، وكلهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، مؤيدون من ربهم بالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة قد بلغوا جميع ما أرسلهم به الله، لم يكتموا شيئا، ولم يغيروا ولم يزيدوا فيه شيئا من عند أنفسهم ولم ينقصوا حرفا فكانوا غاية في الصدق وطهارة النفس معصومين من الفواحش والكبائر، ولكنهم مع ذلك بشر حكمهم حكم البشر ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (آخر سورة الكهف). إلا أن الله حفظهم ويحفظهم من كبائر الذنوب وحتى الصغائر فيما يوحي إليهم ويبلغونه للناس، ولكنهم بشر لا يماثلون الله لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، كما هو مذهب النصارى الذين يقولون إن عيسى عليه السلام هو الله أو ابن الله: ' ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة ١٧، ٧٢)، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة ٣٠) والنصراني في هذه العبارة يرى بناء على مذهبه أن النبي يجب أن يكون على صفة من أرسله في الصدق والطهارة والنزاهة، ونحن لا نقبل هذا لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا. . .﴾ (النساء٨٧) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾(النساء ١٢٢) فهو سبحانه متصف بصفات الكمال. والرسل متصفون بالصدق وغيره من الصفات الحميدة والخلق الرفيعة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [(القلم: ٤) ولكن ليسوا على صفة الله لأنهم لو ساووا الله فيما يتصفون به لكانوا آلهة مشاركين لله في ربوبيته ولعلا بعضهم على بعض وهذا لا يقبله عقل سليم ولا فطرة، ولم يرد بذلك نص. والطوفي لم يفطن لهذا ـ والله أعلم ـ وإلا لرده كما رد على النصارى هذا المذهب في تعاليقه على الأناجيل (٦٣ خ).

والطهارة والنزاهة"[1].

قلت: هذا كلام صحيح. بل طهارة النفس وتزكيتها واجب على كل أحد لكن منهم من يحصل/ له ذلك، ومنهم من يحرمه. أما الأنبياء فهو لازم فيهم ١١٤أ لأنهم أمناء الله على خلقه ووحيه، صيانة له.

[الشرط الثاني: الطهارة]

قال: "وقد تكلم في هذا الموطن - يعني موطن الطهارة، وهي الشرط الثاني - "موسى بن عبيدالله [2]" الفيلسوف. في فصل "النبوة" في كتابه المسمى: "دلالة الحائرين [3]" فقال: "امتحان النبي الصادق، هو اعتبار كماله، وتعقب أفعاله، وتأمل سيرته. وأكبر علاماته: اطراح اللذات البدنية، والتهاون بها، فإن ذلك شأن [4] أهل العلم، فضلا عن الأنبياء. وخاصة الحاسة التي هي عار علينا، كما ذكر "أرسطو" ولا سيما قذارة النكاح منها. ولذلك فضح الله بها كل مدع،

---

(١) في أ: وللنزاهة.

(٢) تقدمت ترجمته في الدراسة ص ١٦٥.

(٣) هو كتاب في الفلسفة سماه بالدلالة، وبعضهم يذمه ويسميه الضلالة، ترجم إلى اللاتينية، وطبع أيضا ونشر قسم منه سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة في القاهرة باسم: "المقدمات الخمس والعشرون... من دلالة الحائرين" بالحروف العربية. قدم له محمد زاهد الكوثري. [انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٣٣٠، هامش رقم (٥) الجزء الأول من كتاب درء تعارض العقل والنقل بتحقيق د. محمد رشاد سالم ص ١٣١].

(٤) في أ: من شأن.

ليتبين الحق، ولا يضلوا، ولا يغلطوا[1]*.

ثم ذكر قصة رجلين ادعيا النبوة، وانهمكا في حساسة لذة الجماع، حتى زنيا، فافتضحا، وأحرقهما ملك بابل[2]. كما ذكر ارمياء النبي أو قال برميا النبي[3] في الباب التاسع والعشرين[4].

قلت: شرع العلج[5] يدس الدسائس، ويقدم/ المقدمات الردية، ليستنتج ١٠

---

(١) قلت: هذه المغالطة كرر ترويجها في الترجيح بين المسيح ومحمد ـ عليهما السلام ـ القس الإنجليزي الذي اختاره الإنجليز ليكون مندوبا لهم في الخليج لبسط نفوذهم فيه.. وقد اشتهر بدهائه وعدائه للإسلام فكتب كتابا سماه: "مفتاح الخزائن ومصباح الدفائن" وضمنه الرد على المسلمين والاعتراض على نبوة سيد المرسلين ووزع منه نسخا كثيرة في الخليج للتلبيس على ضعفاء العلم والإيمان من المسلمين ومما وضع في هذا الكتاب هذه المغالطة. وقد تولى الشيخ عبدالعزيز آل معمر ـ رحمه الله ـ الرد على هذا النصراني ـ كما بينت في الدراسة ـ. [انظر منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ١٠٨ - ١٢٦].

(٢) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، وقيل: أرض العراق كلها هي بابل. [انظر مراصد الاطلاع ١/ ١٤٥، وهامش رقم ٨ من نفس الصفحة].

(٣) في (ش) و(م): ترميا، وفي الكامل (١/ ١٥٣، ٢/ ٢١ "برخيا بن حنانيا" ولم أجد له ترجمة يتضح منها صحة اسمه.

(٤) هذا النص لم أجده في التراجم الحديثة، وسيأتي قول المؤلف أنه لم يجده أيضا في نبوة ارمياء في تراجم القرن السابع الهجري [انظر ص ٢٧٨ من هذا الكتاب].

(٥) العلج: الرجل من الكفار العجم ويقال أيضا لحمار الوحش لاستعلاج خلقه وغلظه، وكذا إذا سمن وقوي قيل له: علج، والأنثى علجة وجمعه علجة وأعلاج وعلوج، أخرج البخاري في فضائل الصحابة باب الاتفاق على عثمان وقصة مقتل عمر: "فطار العلج بسكين ذات حرفين... فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه..." الحديث. ويجمع على أعلاج، كما روى أبو داود في الجهاد باب في قتل الأسير بالنبل: "غزونا مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فأتى بأربعة أعلاج من العدو فأمر بهم فقتلوا صبرا" أي في غير المعركة وفي حديث البخاري السابق أن عمر قال لابن عباس: "قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة" [انظر بالإضافة إلى ما سبق لسان العرب ٢/ ٣٢٦، والمصباح المنير ١/ ٥٠٧].

منها النتائج الخبيثة، "ومثلي لا يغالط في الحساب"[1].

فأقول: أما قول الفيلسوف: "امتحان النبي الصادق باعتبار كماله، وتعقب أفعاله. وتأمل سيرته "فهذا صحيح. ومن تأمل ذلك من نبينا محمد ـ عليه السلام ـ تأمل منصف، لم يجد مقالا، فإنه كان على الغاية في العدل والزهد والورع والتواضع. يعرف ذلك بالنظر في سيرته المنقولة عنه، ولسنا بصدد بيان ذلك مفصلا، إذ فيه كتب مصنفة/ من جيدها كتاب "رياض الصالحين" للنووي[2].

وأما اطراحه اللذات البدنية سوى النكاح ـ فكان في الغاية منه، فإنه لم ينقل عنه أنه أكل مرققا[3]، ولا على

---

(١) مثل تقوله العرب لمن يريد مغالطة آخر. [انظر لسان العرب ٧/ ٣٦٣]. قلت: أخرج البخاري في المواقيت باب الصلاة كفارة، ومسلم في الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا، حديث (٢٣١) عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: "وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثا ليس بالأغاليط" وهذا لفظ مسلم: والأغاليط جمع أغلوطة وهي اعتراض العلماء بصعاب المسائل التي يكثر فيها الغلط ليستزلوا بها ويستسقط رأيهم فيها. [انظر معالم السنن بهامش سنن أبي داود ٤/ ٦٦، وفتح الباري ٦/ ٦٠٦].

(٢) في نسخة (أ): للنواوي، وفي فوات الوفيات، والذيل عليها للكتبي (٤/ ٢٦٤-٢٦٥)، ويقول ابن العماد: "بحذف الألف ويجوز إثباتها"، وترجمته تقدمت في الدراسة ص ١٧٥.

(٣) مرققا: أي خبزا مليئا محسنا كخبز الجواري وشبهه، والترقيق: التليين ولم يكن عندهم مناخل. وقد يكون المرقق: الرقيق الموسع. قال ابن حجر بعد أن نقل هذا الكلام عن القاضي عياض: "وهذا هو المتعارف وبه جزم ابن الأثير، قال: الرقاق الرقيق، مثل طوال وطويل، وهو الرغيف الواسع الرقيق". [فتح الباري ٩/ ٥٣٠].

قلت: قد أخرج البخاري في الأطعمة، باب الخبز المرقق... عن قتادة قال: "كنا عند أنس وعنده خباز له فقال: ما أكل النبي ﷺ خبزا مرققا ولا شاة مسموطة حتى لقي الله" اهـ.

أسكرجة[1]، ولا نام على فراش وطيء[2]. وكان يقول: "مالي وللدنيا/. إنما أنا والدنيا كراكب نام تحت شجرة ثم قام وتركها[3]". ١٥

وأما قوله: "الحاسة التي هي عار علينا، كما ذكر "أرسطو" ولا سميا قذارة [مـــوة النصـــا من النكا النكاح منها".

فنقـول أولا لهذا المصنف النصـراني: أنت قد قـدمت في فوائد النـبوة: أن مقـاصدها لا تحصل بمجـرد الفلسفة. فكـيف جعلت قول الفـلاسفة كـموسى بن عبيدالله، وأرسطو: حجة في تقبيح حاسة النكاح؟ هذا تهافت لا يسمع.

---

(١) أسكرجة: أوله همزة، وهو قول بعض أهل اللغة، وفي لسان العرب: سكرجة بدون همز، بضم السين والكاف والراء والتشديد بعـد جيم مفتوحة. وهو لفظ الحديث الذي أخـرجه البخاري في الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصـحابه يأكلون، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: " ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في سكرجَة، ولا خـبز له مرقق. فقلت لقتـادة: على ما يأكلون؟ قال على السفر" وأخرج الحديث أيضا الترمذي في أول الأطعمة، وابن ماجه في الأطعمة باب الأكل على الخوان والسفرة. وأحمد في المسند (٣/ ١٣٠) والسكرجـة: فارسية معربة، وهي إناء يؤكل فيه، منه الصغير ومنه الكبير [انظر لسان العرب ٢/ ٢٩٩، وفتح الباري ٩/ ٥٣٢].

(٢) الوطيء السهل اللين. [انظر إكمال الإعلام بتثليث الكلام ٢/ ٧٥٤].

(٣) أخرجه الترمذي بسند عن عبدالله قال: "نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا يا رسـول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: مـالي ومال الدنيا، ما أنا في الدنـيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركـها" قال الترمذي: "وفي الباب عن عمـر وابن عباس، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح" اهـ. وقد أخرجه ابن ماجه عن عبدالله في الزهد، باب مثل الدينا، وأحمد في المسند (١/ ٣٠١) عن ابن عباس ولفظهما نحو لفظ الترمذي.

ثم نقول لهذا الفيلسوف: حاسة النكاح عار على من[1]؟ عليك؟ أو على الأنبياء ومن تابعهم؟ إن قلت: عليك. قلنا: عندك أو عندهم؟ إن قلت: عندك فأنت لا عند لك: بل أنت من أعداء أهل الشرائع. ومن أول عداوتك لهم، وطعنك عليهم، تقبيحك عليهم شيئا أجمعوا على جوازه منذ أهبط آدم إلى الآن، وأنت قد اعترفت بصحة نبوتهم وعقولهم، فأحد الأمرين لازم: إما فساد عقلك في إنكارك عليهم التشاغل بالنكاح، أو فساد عقلك في اعترافك بصحة نبوتهم، وكمال عقولهم.

ويقال لأرسطو: ألست القائل آنفا: إن حال عقولنا عند النظر إلى المبادئ[2] كحالة الخفاش عند النظر إلى الشمس. فمن أين لك أن عقلك لم يقصر عن إدراك حكمة الباري ـ سبحانه ـ في إباحة النكاح للأنبياء ـ عليهم السلام[3] ـ؟ وهل هذا إلا تهافت؟

وإن قلت: عند الأنبياء. فهذا كذب عليهم. فإن الأنبياء أجمعوا على حسنه وحكمة الله فيه، من تكثير العباد والعبّاد، وعمارة الأرض، ودوام العالم، وبقاء النوع الإنساني الذي أجمعت الحكماء على أنه خلاصة الوجود، وتنوع[4] أنواعه.

١١م

وإن قلت على الأنبياء ـ عليهم السلام[5] ـ فأنت قد اعترفت بكمالهم!/ والاقدام على العار ينافي الكمال. فهذا تهافت منك بكل حال.

---

(١) على من: ليست في (ش).

(٢) في (أ): المتاذى.

(٣) "عليهم السلام": ليست في (م).

(٤) في ش، م: ونوع أنواعه.

(٥) "عليهم السلام": ليست في (م)، (ش).

وأما ما ذكر من قذارة/ النكاح، فنقول:

لا نسلم أن فيه قذارة، بل فيه مصالح:

منها: سرور النفس به، وانشراحها للعبادة، ولعل بدونه لا تنشرح لذلك.

ومنها: تحصين الفرج عن الزنا المحرم[١] بإجماع أهل الملل والعقول.

ومنها: تحليل فضلات البدن المحتقنة فيه، وانعاش الحار الغريزي[٢] به، فيخف بذلك البدن وينشط. ولهذا بعض الناس يمرض بتركه وتكثر في بدنه الجراحات[٣] والدماميل ونحوها[٤].

---

(١) وقد دعا محمد ﷺ إلى ذلك فقال: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...» الحديث. أخرجه البخاري في عدة مواضع منها "كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة" ومسلم في النكاح الحديث الثالث، وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي كل منهم في أول كتاب النكاح، وأحمد في المسند (١/ ٣٧٨، ٣٢٤، ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٤٧).

(٢) الحار: الساخن. والحرارة حرقة في الفم من طعم الشيء أو حرقة في القلب من التوجع. والغريزي: هو المنسوب إلى الغريزة، وهي صورة من صور النشاط النفسي، فيقال: الحرارة الغريزية، أو الميول الغريزي.

ويقال إن الحرارة الغريزية تزيد من الصباح إلى بعد الظهر زيادة بطيئة تصل إلى الكمال وتبقى كذلك إلى الثلث الأول من الليل ثم تأخذ بعد ذلك في النقص ثانيا وهكذا ـ والله أعلم ـ [انظر المعجم الوسيط ١/ ١٦٥، المعجم الفلسفي ٢/ ١٢٧-١٢٨، ودائرة معارف القرن العشرين ٣/ ٤٠٧].

(٣) في (ش): الحرارات.

(٤) ومما يسببه المني إذا دام احتقانه: الوسواس، والجنون والصرع.

ومنها: أنه يحسن الخلق، ويبسط بشرة الوجه[1].

وقد نص "جالينوس"[2] على أن سبب سوء خلق الخصيان، وتعبيس وجوههم وانتهارهم لمن كلمهم: ترك[3] الجماع، لاحتباس الماء، وتعفنه في أبدانهم.

ولئن سلمنا أن فيه قذارة فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن قذارته شرعية أو طبيعة؟ إن قلت: شرعية. فهو ممنوع فإن الذي[4] يصلح أن يضاف إليه الاستقذار في الجماع /هو: المنيّ[5]، ١٠ش

---

(١) ومن مصالح النكاح ومقاصده الحسنة: حفظ النسل، ودوام النوع الإنساني، إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها إلى هذا العالم، وهذه مصلحة عظيمة دالة على فضيلة النكاح، والشرائع جاءت لتحصيل المصالح.

(٢) هو أشهر الأطباء اليونانيين القدماء بعد أبقراط، قيل كان من حكماء اليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصرية بعد بنيان رومية، ومولده ومنشؤه بفرغا مس مدينة صغيرة من مدن آسيا شرقي قسطنطينية. وكان عالما بالتشريح. [انظر طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٤١، ودائرة معارف القرن العشرين ٣/ ٣-١٣، نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة ١/ ٣٤٠-٣٥٩].

(٣) في (أ): بترك.

(٤) في (م): فالذي.

(٥) اختلف العلماء في طهارة مني الآدمي فذهب مالك وأبوحنيفة إلى نجاسته إلا أن أبا حنيفة قال يكفي في تطهيره فركه إذا كان يابسا وهو رواية عن أحمد وقال مالك لابد من غسله يابسا أو رطبا. ودليلهم حديث عائشة عن مسلم في الطهارة باب حكم المني: "أن رسول الله ﷺ كان يغسل المني ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوب وأنا أنظر إلى أثر الغسل فيه" وذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى أنه طاهر، ودليلهم الرواية الثانية عن عائشة عند مسلم في الموضع السابق في المني قالت "وكنت أفركه من ثوب رسول الله ﷺ فركا فيصلي فيه" وحملوا رواية الغسل على الاستحباب والتنزه والنظافة كما هو شأن النجاسة والبصاق ونحوهما. وهذا هو الراجح ـ والله أعلم ـ . [انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣/ ١٩٧-١٩٨، مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١/ ٥٨٧ ومابعدها].

والمذي[1]، ورطوبة فرج المرأة[2]. وهذه الأشياء طاهرة عند كثير من أهل الشرع.

---

(١) مذي فيه لغات: بفتح الميم وإسكان الذال وبفتح الميم وكسر الذال مع تشديد الياء، وبفتح الميم وكسر الذال مع تخفيف الياء والأوليان مشهورتان كما قال الإمام النووي: "وأولهما أفصحهما وأشهرهما. "وهو ماء رقيق لزج يخرج عند ملاعبة المرأة. [انظر المصباح المنير ٢/٦٨٩، وشرح النووي على صحيح مسلم ٣/٢١٣]، واختلف العلماء في نجاسته فقال جمهورهم: إنه نجس، واستدلوا بحديث علي عند مسلم (كتاب الحيض، باب المذي) وعند غيره: "كنت رجلا مذاء، وكنت استحي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود فساله فقال: (يغسل ذكره ويتوضأ) فأمر النبي ﷺ له بالغسل دليل على نجاسته. وقال بعض الإمامية: المذي طاهر. ويفهم من كلام الطوفي هنا أن معهم في هذا القول غيرهم. والراجح أنه نجس لورود الدليل بالأمر بغسله ولم يرد ما يدل على طهارته ـ والله أعلم ـ .

[انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٢١٣، وفتح الباري ١/٣٨١، ومعالم السنن بهامش سنن أبي داود ١/١٤٣، ونيل الأوطار ١/٦٤].

(٢) اختلف في طهارة رطوبة فرج المرأة على نحو الخلاف في المني فقال بعض العلماء: إنه طاهر عملا برواية حك المني. وأن الاحتلام مستحيل في حق النبي ﷺ لأنه من تلاعب الشيطان بالنائم، فلا يكون المني في ثوبه إلا من جماع ويلزم منه مرور المني على موضع أصاب رطوبة الفرج فلو كانت نجسة لتنجس بها المني ولما تركه في ثوبه ولما اكتفى بالفرك. وأجاب من قال بنجاسته عن هذا بأن الاحتلام منه ﷺ جائز وليس من تلاعب الشيطان بل هو فيض زيادة المني، ويجوز أن يكون حصل بمقدمات جماع فسقط منه شيء على الثوب، أما المتلطخ بالرطوبة فلم يكن على الثوب. قلت: والأرجح طهارته لأنه يشق الاحتراز عنه كالمخاط والنخامة والبصاق وإلحاقا له بالمني، ولأنه لم يرد دليل صريح على نجاسته ـ والله أعلم ـ .

[انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٩٨].

ومن قال بنجاستها منهم عفا [1] عن يسيرها دفعا للحرج والمشقة فأما مخرج البول والغائط فلا وطء [2] فيه [3]، والحيض يحرم الوطء [4] في زمنه. فأين القذارة إذن في الجماع؟.

وإن قلت: طبعيّة لم يلزم من ذلك وجوب اجتنابها عقلا، ولا شرعا، لأن هذه الأشياء كالبصاق، وبلغم المعدة والرأس والمخاط وعرق الحمى. بل مطلق العرق. فإن هذه كلها فضلات تحللها الحرارة من البدن، وهي تورثه خفة ونشاطا وصحة، ومعتمد العلاج الطبي تنقية [5] البدن من المواد التي ليس من شأنها أن تكون فيه.

الثاني: سلمنا أن فيه قذارة بكل حال. لكن مفسدة تلك القذارة مغمورة بما فيه من المصالح العظيمة الدنيوية والأخروية [6]. والعقول/ الصحيحة لا ترجح إعدام مفسدة واحدة خفيفة خصوصا وقد باشرها الأنبياء والصديقون أجمعون، ـ إلا من شذ منهم ـ على وجود مصالح كثيرة جمة النفع. ١١٧

---

(١) في النسخ الثلاث: عفى.

(٢) في (أ): فلا وطى.

(٣) أما مخرج البول فلعدم إمكان ذلك، وأما مخرج الغائط فلحرمته وقذارته.

(٤) في (أ): الوطى.

(٥) في (أ) بتنقية.

(٦) من ذلك ما تقدم، وغض البصر، وكف النفس، والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة، فهو نفع لهما في الدنيا والآخرة، وشيء هذه مصالحه ومشروع للأنبياء ويحبونه يحمل المقتدي بهم على تحصيله ليترتب عليه ما ذكر من المصالح.

ثم أين قذارة الجماع من قذارة الغائط؟ الذي يتعبد مخاييس [1] النصارى ببقائه على أبدانهم، حتى تغالي فيه النصارى، فجعلوا يتهادونه يتبركون ويستشفون به من الأمراض، بناء منهم [2] على فهمهم الفاسد لكلام المسيح في الفصل الثامن والعشرين/ من إنجيل متى [3] حيث يقول: "ليس النجس ما دخل الفم ثم خرج مستحيلا من المخرج. إنما النجس ما خرج من الفم من الكلام السيء، لأنه يدل على نجاسة القلب" هذا معنى كلامه [4]. ١٢م

ومن أنكر من النصارى أنهم يتعبدون ببقاء العذرة على أبدانهم فهو مستخف منكر لما يعلم ـ كما ينكر بعض فقهاء المسلمين تجويز الوطء [5] في الدبر - وهو

---

(١) مخاييس: هكذا جمعه المؤلف والخيس مصدر خاس الشيء يخيس خيسا. أي تغير وفسد وأنتن وخاست الجيفة: أي أروحت... قال الليث: يقال للشيء يبقى في موضع فيفسد ويتغير.. [انظر لسان العرب ٦/ ٧٤، المشوف المعلم في ترتيب الاصلاح على حروف المعجم ١/ ٤٢٦].

(٢) في (أ): "بنا أمنهم منهم على فهمهم الفاسد".

(٣) النص في الأصحاح الخامس عشر منه حسب ترجمة سنة ١٩٧٩م ولفظه "ثم دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان".

(٤) كان المسيح ـ عليه السلام ـ يتدين بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب الغسل على الحائض، وطوائف النصارى عندهم ذلك كله غير واجب، فالإنسان منهم يقوم من على بطن المرأة، ويبول ويتغوط ولا يمس ماء، ولا يستجمر، والبول والغائط ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة ـ على زعمهم ـ ولو تغوط أو بال وهو يصلي فضلا عن أن يفسو أو يضرط، ويقولون: إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل منها بالطهارة... [انظر هداية الحيارى ص ١٤١، والأجوبة الفاخرة ص ١٣٣].

(٥) في (أ): الوطي.

منصوص في كتبهم وعن أئمتهم [1].

[الأنبياء والنكاح]

وأما قوله: "ولذلك فضح الله بها كل مدع" فنقول في جوابه: لا نسلم أن الله فضح المدعين بحاسة النكاح، وإنما فضحهم بدعواهم الكاذبة ولو كانت حاسة النكاح تقتضي الفضيحة لافتضح بها الأنبياء كلهم، بل جميع الخلق كآدم ونوح وإبراهيم، وخصوصا إسرائيل، وداود، وسليمان فإنهم كانوا كثيري النساء والسراري [2]، وكثرة تشاغل إبراهيم وبنيه بالجماع هو الذي أوجب كثرة نسلهم وانتشار الشعوب منهم، لأن الجماع سبب النسل، وكثرة المسبب يدل على كثرة السبب.

---

(١) ذكر الطوفي الخلاف في مسألة الوطء في الدبر في كتابه الإشارات (ص ٤٩/ خ/ ح) عند تفسير ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) وقال بأن القائلين بالجواز هم الشيعة وطائفة من أهل الحجاز، وأنه يعزى إلى مالك ـ رحمه الله ـ ثم ذكر أدلة المجوزين ومن قال بحرمته وهم الجمهور. قلت: وهذه المسألة مبسوطة في كتب الفقه والتفسير وليس هذا موضع بسطها، ولكن الراجح هو ما ذهب إليه الجمهور وهو تحريم الوطء في الدبر للأدلة القوية في ذلك.

[انظر المغني لابن قدامة ٧/ ٢٢-٢٣، وتفسير القرطبي ٣/ ٩١-٩٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٦٠-٢٦٤] ولا وجه لمناظرته قول النصارى المتقدم بقول من شذ من المسلمين في مسألة الوطء في الدبر فإن التعبد ببقاء العذرة على أجسادهم أصبح كأنه الأصل عندهم وجحوده اخفاء لما يعلم أما الوطء في الدبر فليس كذلك بل الأصح عدم جوازه ومن أجازه لا يخفي كما فعلت النصارى.

(٢) يقال : إن داود عليه السلام مع زهده وأكله من عمل يده، كان عنده تسع وتسعون امرأة، فأحب امرأة وتزوج بها فأكمل المائة. وابنه سليمان ـ عليه السلام ـ كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة. وقال ابن عباس: "كان في ظهر سليمان ماء مائة رجل، وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية". [انظر منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ١٢٣].

وبالجملة: فمن جعل حاسة النكاح عارا. فقد ألحق العار بسائر الأنبياء والصديقين والصالحين وعباد الله أجميعن. وإن عارا يتلبس[1] به هؤلاء كلهم ليس بعار: / ١٨

وعيروني بذلي في محبتها ... وبالذي عيروني تم لي الشرف[2]

[وإذ لولا هذه الحاسة لما وجد الأنبياء وشرائعهم، وإنما هي عار على معتقدها عارا، إذ لولا هذا العار لما صار إلى النار] [3].

وأما ما ذكر من قصة الرجلين الذين أحرقهما ملك [4] بابل، فلم أجده في الباب المذكور من كتاب ارمياء النبي، فإن كان المشار إليه برميا [5] النبي، وأنه غير ارمياء، وإلا فلا أعلم صحة هذا النقل، على أنه بتقدير الصحة إنما افتضح هذان الرجلان بدعواهما الكاذبة وزناهما، / لا بتعاطي شهوة النكاح. ١١ظ

على أني أحسب أن النقل اشتبه عليه، وأن المراد بالرجلين هاروت وماروت [6]. ولهما قصة عجيبة وردت بها السنة وذكرها أهل السير.

---

(١) في (أ): "وان عارا يتلبس ابليس هؤلاء كلهم ليس بعار".

(٢) لم أعرف قائل هذا البيت بعد البحث الكثير.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ).

(٤) في (أ): مالك بابل.

(٥) وفي (ش)، (م) ترميا، وفي الكامل برخيا كما سبق ص: ٢٦٦.

(٦) هاروت وماروت: قيل المراد بهما جبريل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ وقيل رجلان اسم أحدهما هاروت والآخر ماروت كانا يعلمان السحر. وقيل: إنهما ملكان أنزلهما الله إلى الأرض وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا... وقيل: هما قبيلان من الجن. وقيل: علجان من أهل بابل. وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان. وهو الراجح. وستأتي قصتهما ـ إن شاء الله ـ بعد قليل.

[انظر تفسير الطبري ١/ ٤٥٢-٤٥٩، وتفسير ابن كثير ١/ ١٣٧، وتفسير الشوكاني ١/ ١٢٢-١٢٣].

منهم: "وثيمة بن موسى بن الفرات[1]" في "قصص الأنبياء":

وكان افتضاحهما بتقدير الله، وسببه طعن الملائكة على بني آدم، واستقلالهم أعمالهم وتعييرهم بخطاياهم وعصيانهم. فلما ابتلى الملائكة بما ابتلى به بنو آدم ساعة من نهار، استقالوا فأقيلو، إلا هاروت وماروت ثبتا فجرى لهما ما جرى[2]،

---

(١) تقدمت ترجمته في الدراسة ص: ١٨٠.

(٢) أخرج أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ في المسند (٢/ ١٣٤) عن عبدالله بن عمر أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: إن آدم لما أهبطه الله تعالى إلى الأرض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون. قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان، قالوا ربنا: هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها قالت: لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك، فقالا: والله لا نشرك بالله أبدا. فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها قالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا والله لا نقتله أبدا. فذهبت ثم رجعت بقدح خمر، فسألاها نفسها قالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا، فسكرا، فوقعا عليها، وقتلا الصبي، فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا أبيتماه عليّ إلا قد فعلتماه حين سكرتما. فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا" اهـ. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في التفسير (١/ ١٣٨): "وهكذا رواه أبوحاتم ابن حبان في صحيحه... وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير... فهو مستور الحال، وتفرد به عن نافع... وروي له متابع من وجه آخر عن نافع... كما قال ابن مردويه حدثنا... فذكره بطوله" اهـ. وقصة هاروت وماروت وزناهما عند الحاكم وصححه عن ابن عمر أيضا في (٣/ ٦٠٧) كتاب الأهوال، وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وأصحاب كتب التفسير بطرق أغلبها غير مرفوعة.

وقد ذكرت بعض قصتهما في "الفوائد"[1].

قلت: والذي أوجب لهذا النصراني تقديم هذا الكلام، وتقبيح حاسة النكاح هو كونه رأى المسيح لا داعي له إليها، ورأى محمدا ـ عليه السلام ـ شديد الداعي إلى ذلك. كما نقل عنه حيث يقول: «حبب إليَّ من الدنيا ثلاث: الطيب، والنساء، وجعلت قرة/ عيني في الصلاة»[2] وأنه تزوج كثيرا وتسرى، فأراد ١٣
العلج أن يجعل هذا مطعنا عليه.

ولقد تاه عن الصواب. فإن نكاح النساء هو عين الطهارة، لما فيه من تحصين الدين، والإعانة على تقوى رب العالمين. ولهذا كان محمد ﷺ إذا رأى امرأة أعجبته دخل على بعض نسائه فقضى حاجته منها، ثم خرج. وفعل ذلك يوما ثم

=[انظر تفسير الطبري (١/ ٤٥٢-٤٥٨)، وتفسير القرطبي ٢/ ٥١-٥٢، وتفسير ابن كثير (١/ ١٣٤-١٤١) ويرى ابن كثير أنها كلها من الإسرائيليات وعدم رفعها إلى النبي ﷺ، وتبعه في ذلك الشيخ رشيد رضا (انظر الفتح الرباني ١٨/ ٧٢-٧٣) والقاسمي في تفسيره (١/ ٢١١-٢١٣)، ونقل رأي الرازي في ذلك].

(١) لم أجد كتاب المؤلف هذا رغم البحث عنه، ولعله من الكتب التي فقدت من المكتبات الإسلامية.

(٢) أخرجه النسائي في أول عشرة النساء عن أنس من طريق ثابت بلفظ: «حبب إليّ من الدنيا: النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»، وأخرجه في نفس الموضع من طريق آخر عنه بنحوه، وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٢٨) من طريقين عن أنس بلفظ النسائي السابق، وأخرجه في (٣/ ٢٨٥) عنه بلفظ النسائي الآخر، وفي (٣/ ١٩٩) بنحوهما، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠) وقال: "صحيح على شرط مسلم"، وتكلم العلماء في زيادة لفظ "ثلاث" فمنهم من يثبتها ومنهم من ينكرها. [انظر المقاصد الحسنة ص ١٨٠، وكشف الخفاء ١/ ٤٠٥-٤٠٦].

خرج على أصحابه، فقال: «إن المرأة إذا أقبلت أقبل معها/ شيطان يزينها فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها»[(١)].

وقال: «إذا كانت لأحدكم إلى امرأته حاجة فليأتها، وإن كانت على التنور»[(٢)]. كل ذلك محافظة على حفظ الدين، لئلا يغلب الإنسان عليه بداعي الشيطان والهوى.

---

(١) أخرج مسلم في (النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته. حديث (٩) عن جابر أن رسول الله ﷺ رأى امرأة. فأتى زينب، وهي تمعس منيئة لها ـ تدلك وتدبغ جلدا ـ فقضى حاجته. ثم خرج إلى أصحابه فقال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه» وأخرج الترمذي في الرضاع باب ما جاء في الرجل يرى المرأة الأجنبية، عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ رأى امرأة، فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج. وقال: «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان. فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها» قال الترمذي: "وفي الباب عن ابن مسعود، قال أبوعيسى: "حديث جابر صحيح حسن غريب" وأخرجه أبوداود في النكاح باب ما يؤمر به من عف البصر بنحو لفظ مسلم، والدارمي عن ابن مسعود في النكاح باب الرجل يرى المرأة فيخاف على نفسه، بلفظ: (رأى رسول الله ﷺ امرأة فأعجبته فأتى سودة، وهي تصنع طيبا وعندها نساء فأخلينه فقضى حاجته ثم قال: «أيما رجل رأى امرأة تعجبه فليقم إلى أهله فإن معها مثل الذي معها» وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٣٠) بلفظ مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي في الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، عن طلق بن علي ـ بن طلق بن عمرو السحيمي اليمامي الصحابي ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور» قال أبوعيسى: "هذا حديث حسن غريب" وهو حسن كما قال. وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٣) عنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم امرأته حاجة فليأتها ولو كانت على تنور» وسند أحمد ضعيف لأن فيه محمد بن جابر بن سيار قال عنه ابن حجر في التقريب: "صدوق ذهبت كتبه فساء حفظه وخلط كثيرا، وعمي فصار يلقن" اهـ.

كما حكي في التوراة [1]: أن "يهوذا بن يعقوب" تعرضت له كنّته [2] ـ زوجة ابنه ـ في الطريق في صورة زانية، فواقعها على أن يعطيها جديا ورهنها عليه عمامته وقضيبا كان بيده".

وأن "روبيل [3]" وطئ" [4] سرية أبيه يعقوب ونجس فراشه، ونحن لا نقول بصحة هذا ولكنه حجة على النصارى واليهود، وتحقيق ذلك [5] وتلخيصه: أن شهوة النكاح في الإنسان طبيعية كشهوة الأكل والشرب، وحب الغلبة والرياسة، بل هي أشد الشهوات. ولذلك كان أكثر افتتان العالم بها، فقضاؤها وأمن غائلتها بالطريق الحلال المصطلح عليه في النواميس الإلهية أولى في العقل من التعرض بتركها [6] لمعصية الرحمن وطاعة الشيطان.

وقول محمد ـ عليه السلام ـ : «حبب اليّ من دنياكم النساء» ليس ذلك لغلبة شهوته عقله، كيف ذلك وسيرته: سيرته. لمن تأملها، وثباته: ثباته. بل إنما

---

(١) في سفر التكوين الأصحاح الثامن والثلاثين.

(٢) كنته: هي زوجه ابنه كما ذكر المؤلف أو زوجة أخيه. [انظر لسان العرب ١٣/ ٣٦٢] واسمها في التراجم الحديثة لكتب العهدين: "ثامار".

(٣) في التراجم الحديثة: "رؤوبين" والنص في سفر التكوين "بدء الخليقة" الأصحاح الخامس والثلاثين والأصحاح التاسع والثلاثين.

(٤) في (م): وطء.

(٥) في (م): وتحقيق هذا.

(٦) في (أ): من التعرض وتركها.

المقصود بذلك: أن يتفرغ خاطره التفرغ الكلي لأداء الرسالة [1]، والقيام بأعبائها ـ كما يتفرغ الجائع بالأكل ـ لأداء العبادات.

وقد ورد في السنة النبوية الصحيحة عن يوشع بن نون. أنه لما توجه إلى بعض مغازيه ـ أحسبها: غزاة أريحا [2]، مدينة الجبارين ـ قال لقومه: "لايتبعني [3] رجل قد / ملك بضع امرأة، يريد أن يبني بها ولما يبن. ولا آخر قد ١٢ش بنى بيوتا، ولم يرفع سقفها [4]. ولا آخر قد اشترى غنما، أو خلفات [5]، وهو

---

(١) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذا المعنى: "وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل في كونها موجودة، ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله ـ عزوجل ـ كيحيى ـ عليه السلام ـ ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه: درجة عليا، وهي درجة نبينا ﷺ الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن وقيامه عليهن واكسابه لهن وهدايته إياهن، بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال: "وحبب إليّ من دنياكم" اهـ. [تفسير ابن كثير ١/ ٣٦١-٣٦٢].

(٢) أريحا: بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة، وياء ساكنة والحاء مهملة بعدها ألف وقد رويت بالخاء المعجمة، لغة عبرانية: مدينة الجبارين في الغور بفلسطين بينها وبين بيت المقدس مسيرة يوم. [انظر مراصد الاطلاع ١/ ٦٣] وقد صرح بأن المدينة هي أريحا: الحاكم في مستدركه [١/ ٣١٩ - ٣٢٠] في رواية كعب الأحبار، ولكن أحمد في إحدى روايتيه لغزو يوشع بن نون أخرج عن أبي هريرة أن الغزوة كانت إلى بيت المقدس [المسند ٢/ ٣٢٥]، ورواية أحمد قال عنها ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١): "مرفوعة صحيحة" اهـ.

(٣) في (أ): لا ينبغي.

(٤) في (أ): راسغها.

(٥) خلفات: بفتح المعجمة وكسر اللام بعدها فاء خفيفة جمع خلفة وهي الحامل من النوق. وقد يطلق على غير النوق. [فتح الباري ٦/ ٢٢٢، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٥١].

ينتظر أولادها" . . . الحديث رواه أحمد [1]، وأخرجاه في الصحيحين [2].

كل ذلك مراعاة لاجتماع [3] / الخواطر في طاعة الله، وحذرا من تفرق الهمم فيها [4] ، ونظائر هذا في شريعتنا مطلوب كالنهي عن الصلاة مع مدافعة الأخبثين[5] وكذلك الشبق[6]، وكل ما يلهي.

وبالجملة: فكل عبادة الله ـ سبحانه ـ ينبغي للإنسان أن لا يدخل فيها، حتى يحسم مواد اشتغال قلبه عنها ما أمكن، ومن هذا،/ أو قريبا منه قوله ـ عليه

---

(١) في المسند (٢/٣١٨).

(٢) البخاري في كتاب الخمس باب قول النبي ﷺ: «أحلت لكم الغنائم. . .»، ومسلم في الجهاد حديث ٣٢ باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة. [انظر ص: ٢٥٨ من هذا البحث].

(٣) في (م): لاجماع.

(٤) كلمة: "فيها" ليست في (م).

(٥) الأخبثان: البول والغائط. أخرج مسلم في (المساجد باب كراهة الصلاة بحضرة طعام مع مدافعة الأخبثين) عن عائشة قالت: . . . أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا يدافعه الأخبثان» وأخرجه بنحوه أبوداود في الطهارة باب أيصلي الرجل وهو حاقن؟، وأحمد في المسند في مواضع منها (٦/٤٣).

(٦) الشبق: شدة الغلمة وطلب النكاح، يقال: رجل شبق، وامرأة شبقة [انظر لسان العرب ١٠/١٧١]، ولم أجد على ذلك دليلا ولعل الطوفي ـ رحمه الله ـ ذكره قياسا على حضرة الطعام ومدافعة الأخبثين لأن العلماء ألحقوا بهما كل ما كان في معناهما مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، ـ والله أعلم ـ .

السلام ـ: «لا يقضي القاضي وهو غضبان» [1] لأن القضاء عبادة، والغضب يشغل عنه. وكذلك كلما في معنى الغضب من مرض أو حر أو برد أو شبق ونحو ذلك. ولهذا كان ـ عليه السلام ـ يحب الطيب لا ليلتذ به في نفسه [2]، بل إكراما للملائكة الذين معه خصوصا جبريل صاحب الوحي. ولهذا كان يبغض الثوم والبصل، وكل ذي ريح كريهة، وقال لأصحابه: «إني أناجي من لا تناجون» [3].

---

(١) أخرجه البخاري في (الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان؟) بلفظ: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان» ومسلم في (الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان بلفظ «لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان» وأبوداود في الأقضية، باب القاضي يقضي وهو غضبان بلفظ: «لايقضي الحكم بين اثنين وهو غضبان» والترمذي في (الأحكام باب ما جاء لا يقضي القاضي وهو غضبان) بلفظ: « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان» والنسائي في آداب القضاة باب ذكر ما ينبغي للحاكم أن يجتنبه بلفظ مسلم، وأخرجه ابن ماجه في الأحكام باب لا يحكم الحاكم وهو غضبان، بلفظ: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» وأحمد في المسند (٥/ ٣٨) بنحو لفظ أبي داود.

(٢) كان ﷺ يحب الطيب ويمتنع عن أكل بعض الأطعمة التي فيها رائحة خوفا من إيذاء الملائكة ومنهم جبريل عليه السلام كما وردت السنة الصحيحة بذلك ولكنه بشر يحب أن يتلذذ بما أحله الله من الطيبات، ولا أعلم دليلا يؤيد رأي الطوفي أنه يحب الطيب لا ليلتذ به في نفسه، غير أنه كان زاهدا فيما لا حاجة له به ـ والله أعلم ـ .

(٣) أخرج البخاري في كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث وفي (الاعتصام، باب الأحكام التي تعرف بالدلائل) ومسلم في المساجد، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها) وأبو داود في (الأطعمة، باب في أكل الثوم) عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ـ أو قال: فليعتزل مسجدنا ـ وليقعد في بيته» وأن النبي ﷺ أتي بقدر فيه خضروات من بقول فوجد لها ريحا، فسأل، فأخبر بما فيها من البقول فقال: «قربوها ـ إلى بعض أصحابه كان معه ـ فلما رآه كره أكلها قال: كل فإني أناجي من لا تناجي» وهذا لفظ البخاري في الأذان.

«وإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم» [1].

وأما المسيح فلعله في ترك النكاح كان عنينا [2]، أو لكونه لا من ذكر، أو لكونه كان ملكا ظهر في صورة آدمي، فغلبت عليه صفة الملائكة [3].

كما قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا .. ﴿٩﴾﴾ [4] الآية.

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها حديث ٧٤، ٧٢، والنسائي في المساجد باب من يمنع من المسجد، وابن ماجه في الأطعمة باب أكل الثوم والبصل والكراث، وأحمد في المسند (٣/ ٣٧٤، ٣٨٧). بألفاظ متقاربة.

(٢) في هامش نسخة (م):

"قوله في حق المسيح ـ عليه السلام ـ: لعله كان عنينا ليس بجيد لأن العنة صفة نقص والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في غاية الكمال ولم يكن نبي قط عنينا، وإنما تركه للنكاح فلخاصية قامت لا يضرنا خفاها عنا، وفي الجملة فلا يجوز أن نقتدي به في ترك النكاح إلا إذا قال أمركم الله أن لا تناكحوا، وهذا غير موجود، والله أعلم، قاله النابلسي ولله الحمد" اهـ. قلت: وهذا ما رآه ابن كثير ـ رحمه الله ـ. [انظر تفسير ابن كثير ١/ ٣٦١]. وهذا هو الحق.

(٣) لم يرد ما يبرر هذه الافتراضات في كتب النصارى أو المسلمين أو غيرهم ولا داعي لها ولا نسلمها للطوفي فالمسيح ـ عليه السلام ـ لم يرد عنه أنه تزوج أو لم يتزوج، وكونه لم يتزوج لايدل على فضله على سائر النبيين، ولا يرفعه إلى درجة الإلهية كما لا يلزم منه عدم فضله، أو عدم كونه من ألو العزم من الرسل الذين فضلهم الله على سائر البشر، وكل من لم يتزوج من البشر ليس عنينا، ولا أنه يلزم من عدم زواجه أنه من غير ذلك، فآدم من غير ذكر وتزوج، أو ملك، فالرسل لم تكن من الملائكة، وما كان ينبغي للطوفي عفا الله عنا وعنه أن يأتي بهذا، ولو قال: لعله ترك الزواج للتفرغ للعبادة ـ هذا إن صح أنه ترك الزواج ـ لكان أقرب إلى المعقول.

(٤) سورة الأنعام الآية التاسعة، ومعناها: أن الله ـ عز وجل ـ لو بعث إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر، فلا يستطيعوا أن يتحققوا من كونه ملكا... ولكن الله سبحانه جعل الرسل عليهم السلام جميعا=

أو لكونه كان هو الله أو ابنه على رأي النصارى الساقط ـ تعالى الله عما يقولون ـ ونحن نقول: إن المسيح لو تأسى بسائر الأنبياء في النكاح والنسل، وتكثير العباد والعبّاد لكان ذلك أكمل له [1]. فالذي يحتج علينا في [حاسة] [2] النكاح بترك المسيح له، نحتج عليه في فضيلته بفعل جميع الأنبياء له. وليس المسيح ـ عليه السلام ـ بخير من جميع الأنبياء، إلا على هذيان النصارى في أنه: الله، أو ابن الله. وذلك ممنوع عند كل عاقل، بل هو عبدالله ورسوله. وسيأتي تمام الكلام على هذا الشرط عند ذكر تفاصيله.

[الشرط الثالث: ظهور المعجز على يد النبي] ١٢١أ

قال: "الشرط الثالث/ ـ يعني من شروط النبي ـ: اظهار المعجز للناس ليرتفع اللبس ويقع الفرق بين الصادق والكاذب".

= من البشر، واعترف بذلك جميع بني آدم. ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (سورة إبراهيم، آية: ١٠، ١١)، ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ (سورة المائدة، آية: ٧٥) ولا وجه لما افترضه الطوفي هنا ـ كما سبق ـ ولم أعلم أن هذا الافتراض هو رأي لأحد من الناس حتى النصارى، فإن المعروف عنهم أنهم قالوا: إن عيسى هو الله أو ابن الله، ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ .

(١) ذكرت فيما سبق أنه ليس لدينا دليل صحيح صريح على أن عيسى لم يتزوج لا عند النصارى ولا عند المسلمين بل في آية الرعد ٣٨ ما يدل على تزوج كل الرسل والله أعلم ـ .

(٢) في النسخ: "في النكاح"، وما أثبته أصح.

قلت: هذا كلام صحيح.

قال: "والمعجز فعل ما ليس في قوة الإنسان أن يفعله بحسب المجرى الطبيعي"[1].

قلت: هذا جيد في تعريف المعجز، لكن للمتكلمين فيه عبارة أخرى أحق من هذه وهو قولهم: المعجز هو الأمر الممكن الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، الخالي عن المعارض. فالأمر: جنس للمعجز وغيره. والممكن: فصل له عن الممتنع، إذ الممتنع لا يوجد. والخارق للعادة يفصله عن الأمور العادية كطلوع الشمس ووقوع المطر وركوب الفرس ونحوها. فإن المستند في دعوى النبوة إليها لا يثبت له شيء والمقرون بالتحدي: احتراز ممن يدعي أن معجز من قبله، دليل على صدقه هو، كما يقول إنسان اليوم: إن قلب موسى عصاه حية، دليل على صدقي في دعوى النبوة. فإن ذلك لا ينفعه، لأن معجزه ليس مقارنا لتحديه، والخالي عن المعارض: احتراز من الشعبذة [2] والنيرنجات/ [3] فإنها تعارض بمثلها، فإذا ظهر على يد شخص هذا الأمر بهذه الشروط كان معجزا وكان الشخص نبيا./ ١٣

---

(١) قلت: يوحي تعريف النصراني بأن صاحب المعجز ليس في منزلة البشر، وهذا بناء على مذهبه في المسيح ـ عليه السلام ـ.

(٢) شعبذ شعبذة بالذال المعجمة، وليس من كلام أهل البادية وهي الشعوذة وهي لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر، أو خفة في اليد وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله من رأي العين. [انظر المصباح المنير ١/ ٣٧٢، ولسان العرب ٣/ ٤٩٥].

(٣) النيرنجات جمع نيرج: أُخُذُ تشبه السحر، وليست بحقيقة، ولا كالسحر، إنما هو تشبيه وتلبيس. [انظر لسان العرب ٢/ ٣٧٦].

[الشرط الرابع: موافقة ما يأتي به النبي للفطرة]

قال: "الشرط الرابع: أن يكون الدين الذي [1] يشرعه موافقا للدين الطبيعي، وهو نوعان:

أحدهما: عام لجميع الأمم، لا يختص بأمة دون أمة، كبر الوالدين، وصلة الرحم والإحسان إلى المحسن، والتجاوز عن المسيء. وبالجملة. جلب المصالح ودرء المفاسد، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

والثاني: خاص [2] يختص أمة دون أمة كتحريم لحم الخنزير عند غير النصارى وتحريم ذبح الحيوان عند البراهمة".

هذا حاصل ما ذكره في هذا الشرط.

قلت: هذا شرط متفق على حسنه عقلا وشرعا، وهو عام الوجود في دين الإسلام على ما ذكرنا جملة منه/ في شرح "الآداب الشرعية" [3] لكن لا يلزم أ١٢٢
أن يأتي النبي به على هذه الصفة، واشتراطه فلسفة صرفة بل لله سبحانه أن يتعبد خلقه بما شاء، سواء كان ذلك مصلحة لهم أو لا. بناء على أصلنا في أن رعاية الأصلح للخلق لا تجب على الله سبحانه وإنما فعل ذلك حيث فعله بهم، تفضلا، لا وجوبا [4].

---

(١) الذي: ليست في (أ).

(٢) "خاص": ليست في (أ)، وبقية العبارة هكذا في النسخ الثلاث والأصح: خاص تختص به أمة دون أمة. أو يختص بأمة دون أمة.

(٣) لم أعثر على هذا الكتاب حتى الآن.

(٤) انظر التعليق السابق ص: ٢٥٨.

[موقف عناة النصارى من نبوة محمد ﷺ]

قال: "وإذ قد فرغنا من الكلام في النبوة والنبي، وشروطه التي يجب امتحانه بها بحيث إن وجدت فيه صدّق، وإن اختلت فيه أو بعضها كذّب. فإنا وجدنا الرجل المسمى: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ادعى النبوة في أمة من العرب[1] فالتمس منه الشرط الأول وهو الصدق. فوجدنا ما جاء به يشتمل على صنفين: صادق وكاذب ـ كما سنبين ـ".

قلت: هذه دعوى مجردة عن حجة، فإذا ذكر الحجة قوبلت بحسب ما ينبغي[2].

قال: "وليس كون الصدق بحال كذب[3] المتكلم موجبا لحسن الظن به، بل

---

(١) قلت: هو بهذا القول يخالف قول جمهور النصارى: أن محمدا ﷺ رسول إلى العرب خاصة. مستدلين ببعض آيات القرآن الكريم كقوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ...﴾ الآية وغيرها مما ظنوه دليلا لهم على أنهم غير مكلفين بالإيمان به واتباعه وليس كذلك. كما ورد في رسالة بولص الراهب التي وردت من قبرص إلى ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فرد عليها بكتابه النفيس: "الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح" والأخرى التي وردت إلى الإمام القرافي ـ رحمه الله ـ فرد عليها بكتابه الجليل: "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة" فجمهور النصارى لا ينكرون نبوة محمد ﷺ لكن يرون أنه رسول في العرب فقط. أما هذا النصراني فهو ينكر نبوته ﷺ ويقول انه مدع للنبوة وليس نبيا وهذا دليل على خبثه وعناده.

(٢) قلت: لم يجب الطوفي عن هذا. والأولى أن نقول للنصراني: كيف يكون محمد ﷺ صادقا وكاذبا في آن واحد؟ هذا لا يعقل. وأنت أيها الخصم إذا قلت إن بعض كلامه صدق فيلزمك الإيمان به. وعند ذلك فلا حجة لك على ما تدعيه فيما تراه في نظرك أنه كذب لعدم اجتماع الأمرين معا في وقت واحد، واستدلالك بالقرآن الذي أتى به وتراه صدقا يلزمك أن تصدقه في الباقي.

(٣) في (أ): الصدق بحال كذب.

خلط الصدق مع الكذب أبلغ في الحيلة، وأنفذ في المكيدة. ولهذا يقال: ما من[1] تعليم كاذب إلا ويمازجه شيء من الحق ليلتبس الباطل به، وتكون الخدعة أخفى فيه، والحيلة في التصديق أقوى.

قلت: هذا كلام صحيح[2]. وهو من محاسن الحكم لا ينازع فيه عاقل بل النزاع في أن ما أتى به محمد ـ عليه السلام ـ يشتمل على الكذب.

[امتحان شرط الصدق]

قال: "فلنورد أقاويل هذا الإنسان من صدق وغيره:

فقسم الصدق: قوله في سورة الصمد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾.

قلت: لا شك أن هذا الكلام حق في نفسه، لكن اخبار هذا المصنف بصدق هذا الكلام عنده[3]: إما جهل بحقيقة التوحيد، أو ستر لعوار دينه الثالوثي، وتحلية لجيده العاطل منه به، وإلا فأين قوله: ﴿ الله أحد ﴾ من قولهم: "الآب، والابن، وروح القدس، إله واحد"، ودعواهم التوحيد/ مع هذا التصريح كلام في الريح، لا يعقل ولا يتحصل، كما قد حققت بطلانه في: "التعليق على الإنجيل"[4].

---

(١) في (م): ما في تعليم...

(٢) هذا في غير الأنبياء من الكهان والمشعوذين كابن صياد وغيره الذي يقول للنبي ﷺ يأتيني صادق وكاذب، أما اشتمال ما يأتي به الأنبياء على الكذب فهذا موضع النزاع كما قال الطوفي ـ رحمه الله ـ ولا يمكن أن يؤيد الله الكاذب كما سيأتي في كلام الطوفي ـ إن شاء الله ـ.

(٣) كلمة: "عنده" ليست في (م).

(٤) أبطل الطوفي ـ رحمه الله ـ قولهم بالتثليث في كتابه المذكور ص ٣، ٤ من مخطوط الكتاب.

قال: "وقوله في سورة يونس [1]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..﴾ وفي سورة آل عمران [2]: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ١٤ش وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [3] الآية. وقوله في سورة الأنعام [4]: ﴿لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يعني كلمات الله، وهي التوراة والإنجيل - وفي سورة الحجر [5]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ والذكر: هو التوراة والإنجيل. ويشهد لذلك قوله في سورة الأنبياء [6]: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾.

فبين بهذا: أن كلمات الله غير مبدلة".

قلت: هذه الآيات كلها حق وصدق. ولكن أخطأ هذا الخصم في إيرادها في مواضع:

منها: أنه حصر ما جاء به محمد من الصدق فيها، والقرآن مملوء من الحكم والأخبار التي يعلم بالضرورة صدقها. وإنما هذا رجل معاند يريد أن ينفي التهمة عن نفسه، بإيهام العدل في إيراد ما يعتقده صدقا وكذبا. وعناده: يأبى عليه إلا إظهار التعصب والجور. فذكر خمس آيات حصر الصدق فيها، وهي مما يعتمد

---

(١) آية رقم: ٣.

(٢) آية رقم: ٤٢.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ليست في (م).

(٤) آية رقم: ١١٥. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

(٥) آية رقم: ٩.

(٦) آية رقم: ٧.

عليها. وتنفعه في عناده [1]. شرع في ذكر ما يعتقده كذبا، فملأ منه الكتاب. ويأبى الله إلا ظهور الحق واستعلاءه [2]، وخمول الباطل واذعانه.

[المقصود بكلمات الله في القرآن]

ومنها: قوله: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ووهم منها في موضعين:

أحدهما: أنه ذكر الكلمات المضافة إلى الضمير، فاحتاج أن يفسره بالله تعالى، وقد كان يستغنى عن ذلك بإيراد الآية التي في أول السورة المذكورة وهي قوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ [3].

فإن الكلمات فيها مضافة إلى الله - سبحانه - لا إلى ضميره المحتاج إلى تفسير [4]، وهذا لا يقدح في صحة ما احتج به، لكن/ احتجاجه [5] بما ذكرناه ١٢٤ أظهر، فعدوله عنه مشعر بالضعف وقصور النظر.

الموضع الثاني:

أنه فسر كلمات الله بالتوراة والإنجيل ليثبت علينا بكتابنا أنها حجة لازمة

---

(١) هذه الآيات الخمس الكريمات يجب الاعتماد عليها فيما دلت عليه من معنى صحيح لا على المعنى الذي يريده أهل الكتاب فإنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه، واخضاعهم إياها لما تهواه أنفسهم عناد وجهل، وذلك لا ينفعهم في عنادهم، وقول الطوفي: "وتنفعه في عناده" أي على زعمه أنها نافعة له، والأولى أن يقال: "ويظن أنها تنفعه في عناده".

(٢) في (أ)، (م): واستعلائه.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

(٤) في (أ): المحتاج إلى نفسين.

(٥) "احتجاجه" ليست في (أ).

لنا، "وهيهات من دون المراد موانع" (١).

والذي يدل على أنه ليس المراد بالكلمات هنا (٢) التوراة والإنجيل: هو أن هذه الآية في سورة الأنعام. وسورة الأنعام كلها جدال ومناظرة لعباد الأوثان الذين ينكرون البعث. ولا تعرض فيها لأهل الكتاب إلا بطريق الاستشهاد بهم. كقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (٣) وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ (٤)، وليس المراد بأهل الكتاب: الموجودين الآن بل المعاصرين لزمن النبوة، أو بطريق عموم خطاب غيرهم لهم لابالقصد، وإذا عرف هذا فالله سبحانه يقول قبل هذه الآية: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ (٥). ١٧م

والخطاب لكفار العرب (٦)، والكتاب الذي أنزل إليهم هو القرآن وهو المراد بالكلمات. قاله قتادة (٧)

---

(١) لم أجد هذا المثل فيما رجعت إليه من المراجع من كتب الأمثال والأشعار. وهو يضرب لمن أراد الوصول إلى أمر لايستطيع إدراكه للموانع التي تحول دونه.

(٢) في(م): هاهنا.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١١٤.

(٥) هذا أول الآية المذكورة، آية: ١١٤.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٦٧، وتفسير الطبرى ٨/٨، وغيرهما.

(٧) انظر زاد المسير ٣/١١١، وقتادة هو: أبوطالب قتادة بن دعامة السدوسي الأكمه، كان يسكن البصرة. روى عن أنس بن مالك وأبي الطفيل وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين،=

والطبري [1] . قال الله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وهذا استشهاد بأهل الكتاب الموجودين حينئذ من أسلم منهم كعبد الله بن سلام [2] وغيره، أو جميع أهل الكتاب، ولكن يكتم ذلك منهم من يكتمه عنادا [3].

= كان قوي الحافظة واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيرا بأيام العرب، عالما بأنسابهم، متضلعا في العربية ومن هنا جاءت شهرته في التفسير، أكثر السؤال على سعيد بن المسيب رحمه الله أياما فقال سعيد: ماكنت أظن أن الله خلق مثلك. قال أبوعمرو بن العلاء: حسبك قتادة ولولا كلامه في القدر. . .ما عدلت به أحدا من أهل دهره، توفي قتادة رحمه الله سنة سبع عشرة ومائة من الهجرة وعمره إذ ذاك ست وخمسون سنة على المشهور.

[انظر التفسير والمفسرون لمحمد الذهبي ١/ ١٢٥ـ١٢٦].

(١) انظر تفسير الطبري ٨/ ٨، وقاله ابن عطية أيضا في تفسيره ٦/ ١٣٥، وقد تقدمت ترجمة الطبري في قسم الدراسة ص: ١٧٣.

(٢) أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي الأنصاري حليف بني عوف من الخزرج. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وذكر البخاري في مناقب الأنصار، باب مسائل عبد الله بن سلام قصة إسلامه التي كان فيها شهادة من أنفسهم على صدق محمد ﷺ وأنه مرسل من ربه، دافع عن عثمان رضي الله عنه ضد المتألبين عليه، وخذّل الثائرين عليه حتى قالوا: اقتلوا اليهودي يعنون عبدالله. (انظر مع صحيح البخاري: التفسير والمفسرون١/ ١٨٤ـ١٨٥).

(٣) اعترف عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من أحبار اليهود قبل أن يسلم برسالة محمد ﷺ وأن ماينزل عليه هو الحق من الله، كما روى عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: قد أنزل الله على نبيه: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ [البقرة: ١٤٦] فكيف يا عبد الله هذه المعرفة؟ فقال عبدالله بن سلام: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذا لقيته مع الصبيان، وأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني!! فقال عمر: كيف ذلك؟ قال: إنه رسول الله ﷺ حق من الله، وقد نعته الله في كتابنا: ولا أدري ما تصنع النساء*.

[الدر المنثور للسيوطي ١/ ٣٥٧]، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا لا يتسع المكان لذكرها.

ولو كان الكلمات هي التوراة والإنجيل لكان الكتاب المذكور هو التوراة والإنجيل، ولم يكن به حاجة إلى أن يستشهد بأهل [1] الكتاب على صحته، لأن التوراة والإنجيل المنزلين على موسى وعيسى، لم ينازع فيهما أحد حتى يستشهد لهما. وأيضا: /لو كان كذلك لم تصح شهادة أهل الكتاب لكتابهم لموضع ١٥ش
التهمة. ثم قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ .. (١١٥)﴾ وهي
الكتاب الذي أنزل/ مفصلا، وهو القرآن إذ لامعنى لقول القائل: "وهو الذي أنزل ١٢٥أ
إليكم القرآن مفصلاً، وتمت التوراة والإنجيل، ولا مبدل للتوراة والإنجيل" لأن المخاطبين بهذا الخطاب هم كفار العرب، ومحمد ـ عليه السلام ـ لم يكن يدعوهم إلى التوراة والإنجيل حتى يثني لهم عليهما، وإنما كان يدعوهم إلى القرآن فثبت بهذا أن المراد بقوله: ﴿لا مبدل لكلماته﴾ هو القرآن.

وفيما [2] يرجع إليه نفي التبديل قولان:

أحدهما" معناه ومتعلقه من أخبار وحكم ووعد ووعيد، أي أن ما أخبر الله في القرآن من خبر، أو حكم به من حكم، أو وعد من ثواب، أو أوعد من عقاب لا يستطيع أحد تبديله ولا بيان فساده.

والثاني: أنه لفظه: أي لا يقدر أحد أن يزيد فيه ولا ينقص، لأن الله سبحانه ألهم المسلمين حفظه حرفا فحرفا، فلا تدخله الزيادة والنقص كما دخل التوراة والإنجيل على ما قد شاهدته أنا بنفسي في الكتابين من التناقض والاختلاف وأثبته في تعليقي على الكتابين [3].

---

(١) في (ش)، (أ): أهل.

(٢) في (أ): وفي ما.

(٣) يقصد في كتابه: "تعاليق على الأناجيل".

ثم إن هذا المصنف جعل عمدته في كتابه: تفسير ابن عطية[1]. فما باله لم يذكر ما قاله ابن عطية في تفسير قوله [2]: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ؟ لكنه رآه عليه [3] فحاد عنه. ولعمري أنه معذور في/ ذلك فإن ١٨م
كتب المسلمين ليست عنده حجة. وإنما يذكر منها ما يذكر احتجاجا عليهم وإلزاما لهم ورميا [4] لهم بسهامهم كما نحتج نحن عليهم بالتوراة والإنجيل على هذا الوجه، ولا نعتقد صحة ما فيها.

---

(١) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٦٥.

وتفسيره هو: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. يقول عنه ابن خلدون رحمه الله: "وجاء أبومحمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ماهو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى" [مقدمة ابن خلدون ص٤٤٠] وقال ابن تيمية رحمه الله بعد ذكر كتب التفسير: "وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه كلها".

[مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٨٨].

(٢) انظر تفسيره ٦/ ١٣٥-١٣٦، وخلاصة قول ابن عطية: "وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً" استمرت وصحت في الأزل صدقا وعدلاً وليس بتمام من نقص، والكلمات ما نزل على عباده، وذهب الطبري إلى أنه القرآن، وهذا بعيد، بل المراد القرآن وغيره" هذا خلاصة قول ابن عطية والله أعلم -.

(٣) عليه: ليست في (أ).

(٤) ورميا لهم: ليست في (ش).

[المقصود بلفظ الذكر في القرآن]

ومنها: قوله: إن "الذكر" في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [1] هو التوراة والإنجيل".

وليس كذلك بل هو القرآن بإجماع مفسري القرآن [2]. ذكر عبدالرزاق [3] في تفسيره عن معمر [4]، عن قتادة وثابت البناني [5] في قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) انظر تفسير الإمام ابن جرير الطبري (١٤/ ٧)، وتفسير الإمام القرطبي (١٠/ ٥)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/ ٣٨٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٧) والفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٢/ ٥٣٩)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٢) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/ ١٥٨) وغيرها من كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة.

(٣) عالم اليمن الحافظ الكبير الثقة أبوبكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم الصنعاني.

تقدمت ترجمته في ص ١٧٤ من قسم الدراسة. كما تقدمت الإشارة إلى تفسيره أيضا.

(٤) الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة معمر بن راشد الأزدي مولاهم نزيل اليمن ثم البصري. ولد سنة خمس أوست وتسعين من الهجرة، وطلب العلم وهو صغير، حدث عن قتادة والزهري وغيرهما من مشاهير المحدثين والعلماء وهو أول من ارتحل في طلب الحديث وله جامع في السير أقدم من موطأ الإمام مالك رحمه الله توفي معمر رحمه الله سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة النبوية.

[انظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٥-١٨، شذرات الذهب ١/ ٢٣٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٣-٢٤٦].

(٥) الإمام التابعي أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، مولاهم وبنانة من قريش هم بنو سعد بن لؤي ابن غالب البصري، ولد في خلافة معاوية رضي الله عنه وحدث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم ، وكان من خواص أنس بن مالك، اختلف في وفاته فقيل توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة، وقيل سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة، وعمره حين وفاته ست وثمانون سنة.

[انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠-٢٢٥، وشذرات الذهب ١/ ١٦١، تهذيب التهذيب ٢/ ٢].

قال: "حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلا أو يبطل [1] منه حقا [2]".

قلت: ونظيره قوله تعالى / : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[3]، والمعنى واحد.

أما [4] احتجاجه على ذلك بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [5] فلا حجة فيه، لأن قبل ذلك قوله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [6] يعني القرآن بلا خلاف ولا شك﴿ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ يعني كفار العرب﴿ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم الكفار "هل هذا ـ يعني محمدا ـ إلا بشر مثلكم" أي فليس بأولى بالرسالة منكم. كما قال قوم نوح له: ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا﴾ [7] وقول قوم صالح: ﴿أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ﴾ [8]؟ ثم قالوا: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؟ فأجابهم الله تعالى عن هذا بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً

---

(١) في (م): "ويبطل" بدون همزة، وفي سائر المراجع: "أوينقص منه حقا".

(٢) قد نقله القرطبي في تفسيره (١٠/ ٥) عن قتادة وثابت البناني، وابن جرير في تفسيره (١٤/ ٨) من طرقين عن قتادة. وألفاظهم متقاربة.

(٣) في سورة فصلت: ٤٢.

(٤) في (م): وأما.

(٥) سورة الأنبياء: ٧.

(٦) أول سورة الأنبياء.

(٧) سورة هود، آية رقم: ٢٧.

(٨) سورة القمر، آية رقم: ٢٤.

نُوحِي إِلَيْهِمْ أي أن الرسل الذين كانوا قبلك كانوا بشرا كانوا [1] وقد اعترف هؤلاء الكفار برسالتهم. فما وجه انكارهم لرسالتك مع كونك بشرا؟ ثم قال ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ يعني أهل التوراة [2]، هل كان المرسلون إلا رجالا يوحى إليهم؟.

فالذكر المراد / ههنا [3] غير الذكر المراد في سورة الحجر، وهو الذكر المحفوظ. فإن لفظ الذكر ورد في القرآن على وجوه: ١٦ش

منها: القرآن والتوراة كالموضوعين المذكورين.

ومنها: الرسول، كقوله [4]: ﴿ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا ﴾ على ما قيل فيه [5].

---

(١) هكذا في النسخ الثلاث: "كانوا قبلك بشرا كانوا" والأولى: "... كانوا قبلك كانوا بشرا".

(٢) وقيل أهل القرآن، وروي عن علي أنه قال عند نزول هذه الآية: نحن أهل الذكر، وقيل أهل العلم من اليهود والنصارى والطوائف الأخرى.

[انظر تفسير الطبري ١٧/ ٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٧٤].

(٣) في (أ): "فالذكر أصح لمراد هاهنا".

(٤) في سورة الطلاق الآية رقم: ١٠، ١١.

(٥) قيل المراد بالذكر في الآية: القرآن، وهو مروي عن السدي وغيره، وقيل: المراد به الرسول: أي ترجمة عن الرسول محمد ﷺ أي تفسيرا له. قال ابن جرير رحمه الله: " والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمة عن الذكر، وذلك نصب لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة. فتأويل الكلام إذن: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكرا من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولا يتلو عليكم آيات الله التي أنزلها عليه "اهـ. وقيل انزال الذكر دليل على اضمار" أرسل" أي أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا. وقيل: المعنى: أن ذكر رسولا، وقيل الذكر هنا الشرف.

[انظر تفسير الطبري ٢٨/ ١٥٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٧٣-١٧٤، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٧٤].

ومنها: الشرف، كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1] أي: شرف[2].

فلفظ "الذكر" مطلق على هذه المعاني بالاشتراك أو التواطىء[3]. أو بالحقيقة والمجاز. وبكل تقدير فلا يصح استدلاله على أن الذكر المحفوظ هو الذكر المسئول أهله.

ونبين ذلك بتقرير استدلاله على وجه صناعي هكذا: الله سبحانه حفظ الذكر، والذكر هو التوراة. فالله حفظ التوراة، لكن المقدمة الأولى مهملة، وشرطها في الإنتاج أن تكون كلية، هكذا: الله حفظ كل ذكر. والتوراة ذكر/ لكن ليس التقدير هذا، وحينئذ يدخل/ التفصيل في المقدمة الأولى. فيقال: ما

١٩م

١٢٧ظ

---

(١) سورة الزخرف، آية رقم: ٤٤.

(٢) هذا مروي عن ابن عباس ومجاهد، والسدي وغيرهم. ولكن الضمير في قوله: "وأنه" راجع للقرآن الكريم.

[انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٧٦ـ٧٧، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٢٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ٩٣].

(٣) الاشتراك قسمان: معنوي ولفظي، فاللفظي هو كونه موضوعا لمعان مختلفة كلفظ العين. مشترك بين عين الماء وعين الإنسان والجاسوس، وشرف القوم، وغير ذلك وكذلك لفظ اليد لله واليد للإنسان، فاليد ليست كاليد.

أما المعنوي فهو كون اللفظ موضوعا لمفهوم عام مشترك بين الأفراد مثل لفظ الوجود فإنه عام يطلق على وجود الله عزوجل وعلى وجود المخلوق لكن ليس الوجود كالوجود.

أما التواطؤ: من واطأ على الأمر بمعنى وافقه عليه. ومنه الخاص والعام فالخاص هو المتماثل، مثل السواد فهو يصدق على جميع من اتصف به. وأما العام فهو ما يسمى مشككا مثل لفظ الموجود، والحيوان ونحوهما فقد يشترك الأفراد في مطلق الوجود، أو الحيوانية، غير أن كل منهما متميز في الخارج عن الآخر من كل وجه (انظر درء تعارض العقل والنقل ٤/ ٢٥٤ـ ٢٥٥، والمعجم الفلسفي ١/ ٨٧، ولسان العرب ١/ ١٩٩).

تعني بالذكر المحفوظ؟ التوراة أو [1] القرآن؟ الأول ممنوع، والثاني: مسلم لكنه لا يفيد، لأن الحد الأوسط في الشكل مختلف فمحمول الأولى غير موضوع الثانية.

قوله: "فتبين بذلك أن كلمات الله غير مبدلة".

قلنا: هذا صحيح لكن قد بينا أن المراد بكلمات الله ليست التوراة والإنجيل التي بأيديكم بل هي القرآن. ولئن سلمنا أنها التوراة والإنجيل، بل وكل كلام الله غير مبدل، إلا أن ما بأيديكم ليس هو التوراة والإنجيل المرادين هنا [2]، المنزلين على موسى وعيسى، بل كلمات الله التي هي كلماته لا يدخلها التبديل في خبر ولا حكم ولا وعد ولا وعيد، وما بأيديكم من ذلك تواريخ وسير مبدل محرف متناقض، علمنا تناقضه بالعيان والمباشرة.

[الرد على تكذيب النصراني لبعض أخبار محمد ﷺ]

قال: القسم الثاني من قوله ـ يعني مما زعم أنه كذب من أخبار محمد ـ عليه السلام ـ فمن ذلك قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ..﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [3] وقوله في التحريم [4]: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [5] وقوله في سورة مريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [6].

---

(١) في (ش): والقرآن.

(٢) في (أ): المرادين ههنا.

(٣) سورة آل عمران: ٣٥.

(٤) في النسخ الثلاث: "في المتحرم" وهو تحريف واضح.

(٥) الآية الأخيرة من سورة التحريم.

(٦) سورة مريم، آية: ٢٨.

قال: "فـثبت بهـذا كله: أن مريم أم المسـيح هي بنت عمـران أخت موسى وهارون".

قال: "واسم أبـي مريم أم المسيـح: يعقيم. وأمـها: حنة. وبـين مريم هذه وعمران أبي موسى ألف وخمسمائة سنة" (١).

قال: "وعذرا له في هذه الغلطة، فـإن الناقل، إما جاهل وإما قاصـد إيقاعه في الغلط". (٢)

قلت: يشيـر هذا الخصم إلى أن محمـدا ـ عليه السلام ـ كان يلقن أسـاطير الأولين ثم ينظمها بعبارته، والملقن له إما جاهل بالنقل أو قاصد(٣) تغليطه (٤).

قلت: وللعدو أن يقول ما شاء، وإنما يثبت ما قامت عليه الحجة.

---

(١) ليس هذا التحديد الزمني صحيـحا مضبوطا، بل النصارى أنفسهم مختلفـون فيه فقد روى عنهم الإمام القرافي في الأجوبة الفاخرة... الباب الثـاني السؤال الخامس أن اليهود والنصارى يقولون إن بين هارون ومريم ستمائة سنة... وقد روي غير ذلك.

[انظر هامش مقامع هامات الصلبان" بين المسحية والإسلام" ص٣١٩].

(٢) في (ش) الغلط قاصد.

(٣) في ش: قصد.

(٤) هـذا طبـع الكفار دائمـا يوجهون هذه التـهمة إلى الأنبيـاء عليهم الصلاة والسلام، وقـد حصل لمحمد ﷺ هذا، فالنـضر بن الحارث لعنه الله كان يوجه هذه التهـمة إلى المصطفى ﷺ فرد الله عليه وعلى أمثاله بقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ...** ﴾ [**الفرقان**: ٤ – ٦] [الفرقان: ٤ـ٦].

وهذا سؤال قد كفانا/ جوابه صاحب الشريعة ﷺ فروى المغيرة بن شعبة[1] أ٢٨
قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران. فقالوا ألستم تقرأون: ﴿ يا أُخْتَ هَارُونَ﴾
وقد كان بين عيسى وموسى ما كان؟ فلم أدر ما أجيبهم/ فرجعت [2] إلى رسول ش١٧
الله ﷺ [3] فأخبرته. فقال: « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» رواه مسلم والترمذي [4] وقال حديث حسن صحيح".

---

(١) أبوعبدالله أو أبوعيسى: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أسلم عام الخندق وقدم مهاجرا، كان رجلا طوالا ذا هيبة أعور أصيبت عينه يوم اليرموك... روي عن الشعبي أنه قال: "دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وزياد أي: ابن أبيه فأما معاوية فللأناة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فالصغير والكبير" شهد المغيرة القادسية ونهاوند. توفي رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة بالكوفة، وقيل سنة إحدى وخمسين، وهو أمير عليها من قبل معاوية رضي الله عنه ـ.

[انظر الاستيعاب ٤/ ١٤٤٥ ـ ١٤٤٨، والإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣، ترجمة ٨١٧٩].

(٢) في (أ): ورجعت.

(٣) صلى الله عليه وسلم: ليست في (أ).

(٤) أخرجه مسلم في (كتاب الآداب، الحديث التاسع) عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألوني فقالوا إنكم تقرأون: " ياأخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم» وأخرجه الترمذي في (كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم) بهذا اللفظ وقال: "هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه إلامن حديث ابن إدريس" قلت: وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٥٢). وابن جرير في تفسيره (١٦/ ٧٨). والترمذي: تقدمت ترجمته في الدراسة ص: ٧٦.

قلت: ومعنى هذا الحديث ما ذكره عبد الرزاق في تفسيره [1]. قال: أخبرنا [2] معمر عن قتادة في قوله ﴿ يا أخت هارون﴾ قال: كان رجلا صالحا في بني إسرائيل يسمى هارون فشبهوها به. فقالوا: ياشبيهة هارون في الصلاح [3]. فتحقيق معنى الحديث: / أن هارون هذا سمي باسم هارون أخي موسى تبركا. ٢٠م

وحينئذ يفسد استدلال هذا الخصم ويكون الحد الأوسط في نظمه وهو هارون مختلفا، كما تقدم في استدلاله على أن الذكر المحفوظ هو التوراة.

---

(١) وقد أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٧) عن قتادة أيضا، بنحوه. والقرطبي في تفسيره (١١/ ١٠٠) بمعناه عنه.

(٢) في (م): أنا.

(٣) وقد ذكر ما يتضمنه الحديث المتقدم وقول قتادة هنا: الإمام القرافي رحمه الله في الأجوبة الفاخرة. في السؤال الخامس من الباب الثاني: لما ولدت مريم ـ رضي الله عنها ـ بعيسى عليه الصلاة والسلام من غير زواج اتهمها بنو إسرائيل لعنهم الله بالزنا فقالوا لها متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم : ٢٨] ،لأنها كانت في غاية العبادة. وأصل الأخوة التساوي في الصفة ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [سورة الأعراف: ٣٨] أى مساويتها في الكفر. وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨] أي مساويتها فى الدلالة، . . .والمساواة حصلت بين مريم ـ رضي الله عنها ـ وبين ذلك الرجل المسمى هارون فسميت أخته. أى مساويته في العبادة. وقيل: كان في ذلك الزمان فاسقا يسمى هارون فلما اعتقد بنو إسرائيل في مريم التهمة جعلوها أخته أي مساويته في ذلك الفعل. [انظر الأجوبة الفاخرة للقرافي الباب الثاني السؤال الخامس].

وأما قوله: إن اسم أبي مريم: "يعقيم" فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذا لم أعلمه ولا رأيت أحداً ذكره ممن أثق به من علماء المسلمين. وعلماء اليهود والنصارى غير مأمونين عندنا، ولا وثوق لنا بما عندهم على ما سبق في مقدمات الكتاب. ومعنا شيء نحن معتقدون فيه واثقون به، وهو القرآن المتضمن أن اسم أبيها عمران. ويكون ذلك من أسماء الأعلام المشتركة مثل هارون، وهارون، وفرعون، وفرعون، وزيد وزيد، وعمرو، وعمرو، فلا نعدل عنه إلى غيره ولا سبيل لهم إلى إقامة الحجة القاطعة التي نضطر إلى تسليمها علينا، وإن أمكنهم ذلك وفعلوه قبلناه منهم، فإنه لا غرض لنا في العناد بل الحق حيث كان متبع.

الوجه الثاني: أن هذا اختلاف في الأسماء، لافي المسميات فجاز أن يكون عمران تعريب يعقيم، فإن العربية تصرفت في الألفاظ الأعجمية فعربتها كما سمت العرب/ المسيح: عيسى، واسمه في الإنجيل: يسوع. فعكسوه من آخره، ١٢٩أ وقلبوا الواو ياء. وكان أصل موسى: موشا، بالشين المعجمة، يعني الماء والشجر، لأن آل فرعون التقطوه من بين ماء وشجر حين ألقته أمه في اليم، ومو: هو الماء. وشا: الشجر[1].

---

(١) انظر لسان العرب ٦/ ٢٢٤، والمصباح المنير ٢/ ٧١٥.

وكما سموا "حران [1]" هذه المدينة التي بين الشام [2] وبلاد الجزيرة [3] باسم هاران أخي إبراهيم، وهو أبو لوط، لأنه نزلها. فعربوها، فقالوا: حران.

أو لعل عمران اسم ويعقيم لقب، فكل هذا محتمل، فلا يقدح مثله في صاحب ناموس عظيم غلب ناموسه على ناموس المسيح والكليم[4].

قال: "ومن ذلك قوله في سياق تبشير الملائكة لزكريا بيحى[5]" ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾ [6] قال: " وهذا باطل، لان

---

(١) حران: بتشديد الراء، وآخره نون: مدينة قديمة قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم. وقيل: هي أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وكانت منازل الصائبة الحرانيين،وهي مهاجر إبراهيم عليه السلام [انظر مراصد الاطلاع ١/ ٣٨٩].

(٢) الشام بهمزة والنسبة إليها الشامي، وبدون همزة، أرض بني كنعان الممتدة من الفرات إلى العريض طولا، ومن جبلي طيء إلى بحر الروم عرضا، وتضم سوريا الآن والأردن وفلسطين وسميت الشام: قيل: لأن بني كنعان تشاءموا إليها، وقيل: سميت بسام بن نوح لأنه أول من نزلها واسمه بالسريانية شام، وقيل: لكونها شمال الأرض. وقيل غير ذلك، ويقال أن اسمها الأول سورى أو سورية [انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٧٧٥، ومنال الطالب في شرح طوال الغرائب ص٦١٣، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٧١].

(٣) بلاد الجزيرة: وتسمى" جزيرة أقور " وهي التي بين دجلة والفرات من أمهات مدنها حران، والرها، والرقة. والظاهر أن حران في طرف الجزيرة من قبل بلاد الشام، لأن المؤلف قال : إنها بين الشام وبلاد الجزيرة. [انظر مراصد الاطلاع ١/ ٣٣١ ـ ٣٣٢].

(٤) أي موسى عليه السلام وسمى بالكليم لأن الله كلمه تكليما. أي ليس بينه وبينه واسطة إنما سمعه موسى من وراء حجاب.

(٥) زكريا: بالألف الممدودة، والمقصورة: ابن برخيا. ويقال: ابن دان أبو يحيى النبي عليهما السلام ومعنى زكريا: تذكار الرب، ولفظ يحيى معرب عن يوحنا. ومعنى يوحنا: نعمة الله، ويحيى ولد خالة عيسى عليهما السلام وسمي بذلك لأن الله أحياه بالإيمان.

[انظر البداية والنهاية ٢/ ٤٧، تفسير القاسمي ٤/ ٩٣، ٩٤، ٩٥ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٦١].

(٦) سورة آل عمران، آية: ٤١.

سكوت زكريا كـان أزيد من تسعـة أشهر، وذلك من الوقت الـذي بشر به إلى أن وضع، وأن ذلك كان على جـهة التأديب والعقـاب، يعني على مراجعـته الملك، وكونه لم يثق بأول كـلامه، لا على جهة الآية" وذكـر حكاية ذلك من الإنجيل في كلام طويل قد ذكرته أنا وجوابه في: "التعليق علي الأناجيل[1]" .

قلت: والذي يحتاج إلى الجواب عنه في هذه الجملة أمران/ : ١٨ش

أحدهما: أن سكوته كان أكثر من ثلاثة أيام.

الثاني: أن سكوته كان عقوبة لاعلامة.

والجواب/ عن ذلك من وجهين: ٢١م

أحدهمـا: الجواب العام وهو أن مـستندكم في هذا: الإنجيل. وليس حـجة علينا، كما أن ما عندنا ليس حجة عليكم ـ على زعمكم ـ، فبقيت دعوانا ودعواكم ولا فاصل بيننا يلزمنا جميعا الرجوع إليه.

الوجه الثاني: أن خبر محمد ـ عليه السلام ـ أثبت ثلاثة الأيام، ولم ينف ما فوقها وأثبت العـلامة، ولم ينف العقوبة [2]. فإذن الجمع بين القولين ممكن، وهو

---

(١) ذكره الطوفي في أول حديـثه عن إنجيل لوقا ص٥٤ من المخطوطة حسب ترقـيمي. وليس طويلا فهو لا يتجاوز الصفحة الواحدة. والذي فهـمته من كلامه هذا أن كتاب تعاليق على الأناجيل رد أيضا على النصراني الذى رد عليه الطوفي في هذا الكتاب.

(٢) كان الاكتفاء بالوجه الأول أولى، أو العدول عن هذا الوجه إلى آخر أجود منه، كأن يقول مثلا: أنتم في كتـبكم تنسبـون إلى الأنبيـاء مالا يليق بهم ومن ذلك اتهـامكم بعضهم بالـزنا والبعض الآخر بشرب الخمـر ومجامعة بناته وهذا زكريا تقول إنه لم يثق بكلام الرب سـبحانه وقوم هذه عقيـدتهم في أنبيائهم لا يقـبل قولهم. ونحن لا نقر ذلك في زكريا بن يحي، وإنما كـان عليه السلام يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبـر، فأخبر بأن الله عظيم لا يعجزه شيء، فطلب أن يجعل الله له علامة يستدل بها علي وجود الولد منه، فأخبره الله أنه لا يستطيع النطق ثلاثة أيام مع أنه سوي صحيح.

أن سكوته/ كان تسعة أشهر، ومنها ثلاثة الأيام المذكورة.

ولعله إنما اقتصر عليها لخصيصة فيها، وذلك أن في القرآن في سورة مريم[١] ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)﴾ قال عبد الرازق: أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة[٢] قال: "سويا" من غير خرس. وذكر في الإنجيل[٣]: أن زكريا بقي أبكم إلى أن وضع يحيى، والأبكم: الأخرس، فلعله كان في ثلاثة الأيام الأول ساكتا من غير خرس، وفي بقية المدة ساكتا من خرس[٤]، ويكون الأول: علامة، والثاني: عقوبة. والقرآن الكريم إنما ذكر هذه القصة في سياق ذكر النعمة على آل إبراهيم وآل عمران واصطفائهم على العالمين، فاقتصر على ذكر زمن الآية والعلامة التي هي من نعم الله على خلقه، إذ هي موجبة لطمأنينة القلوب، ولم يذكر مدة البكم الذي هو عقوبة لئلا يفضي ذلك إلى ضرب من تكدير النعمة بذكر العقوبة عقيبها[٥].

والقرآن فيه من ملاحظات الآداب واللطائف ما هو أدق من هذا، وشبيه بهذا تأدب إبراهيم مع ربه حيث يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ

---

(١) الآية رقم: ١٠، وقد أخرجه الطبري أيضا عن طريق عبد الرزاق.

[انظر تفسير الطبري ١٦/ ٥٢].

(٢) عكرمة: أبو عبدالله البربري المدني مولى ابن عباس، أكثر الرواية عنه، تكلم فيه، ووثق، وفند محمد الذهبي ـ رحمه الله ـ التهم الموجهة إليه في كتاب: "التفسير والمفسرون" توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع ومائة من الهجرة.

[انظر تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣، والتفسير والمفسرون ١/ ١٠٧ ـ ١١٢].

(٣) القصة مذكورة في إنجيل لوقا الأصحاح الأول، ولم يحدد فيه مدة صمته.

(٤) في (أ): "ساكتا من غير خرس".

(٥) سيأتي للمؤلف ـ رحمه الله ـ كلام جيد في هذه المسألة.

﴿ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [1] فأضاف الخلق والهداية والإطعام والإسقاء إلى الله. لأنها نعم. وأضاف المرض إلى نفسه لكونه محله، وإن كان ليس منه في الحقيقة تأدبا لأن المرض صورته صورة نقمة [2]، فإضافته إلى المنعم في سياق الاعتراف له بالإنعام تكدير للتأدب. وكذلك لا تنافي بين كون السكوت علامة على صدق البشرى، وعقوبة على عدم المبادرة إلى التصديق بها. وذكر العقوبة في هذا ليس مما اخترعه هذا المصنف من الأسئلة على القرآن، بل قد ذكره مفسرو القرآن منهم قتادة. قال [القرطبي] [3]: "وهو قول أكثر المفسرين [4]".

قلت: وعليه إشكال. وإن كان/ قد ذكره المسلمون فإنه لا خلاف بيننا وبين ١٣١أ
النصارى أن مريم لما بشرت بالولد استعظمت ذلك وقالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [5]؟ نطق بذلك قرآننا وإنجيلهم [6]، ثم إنها لم تعاقب على ذلك بشيء.

فإن قال قائل: إن زكريا كان أكمل من مريم والأكمل في الحال أولى

---

(١) سورة الشعراء: ٧٨ـ٨٠.

(٢) في (أ): "صوره نفهمه".

(٣) في النسخ الثلاث: الطبري. والصواب: القرطبي.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٤/ ٨٠، وقد رجح هذا القول المروي عن قتادة وأنها آية وعقوبة: الطبري في تفسيره [٣/ ٢٥٩]. ورواه عن قتادة وغيره.

(٥) في سورة آل عمران، الآية: ٤٧. وقالت في سورة مريم آية رقم: ٢٠: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ... ﴾.

(٦) قصة حمل مريم بالمسيح في أول إنجيل متى.

بالعقوبة على الأفعال وهذا معلوم من قواعد الشرع والعقل، ولهذا كان وعيد
٢٢م العلماء أعظم/ من وعيد الجهال.

قلنا: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا مع قيام المقتضي للعقوبة إنما يقتضي تخفيف العذاب عن
١٩ش المفضول في الحال، لا سقوطه بالكلية، /وقد وجد مقتضى العقوبة في مريم كما وجد في زكريا، فكان ينبغي أن يحصل لها من العقوبة بحسب حالها.

الثاني: أنه باطل بإبراهيم لما سأل الطمأنينة بمشاهدة كيفية إحياء الموتى[1]، فإنه لم يعاقب، مع أنه في عدم المبادرة إلى قبول خبر الصادق. كـ "زكريا" و"مريم" بل أولى لوجهين:

أحدهما: أنه كان في غاية من كمال الحال.

الثاني: أن المخاطب له كان هو الله نفسه على ظاهر القرآن، والمخاطب لزكريا ومريم كان الملك.

وبشارة زوجة إبراهيم حيث ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)﴾ [2] ولم تعاقب.

والأشبه ـ والله أعلم ـ أن العقوبة لا مدخل لها هنا لوجهين:

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

(٢) قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [سورة الذريات، آية ٢٤ ـ ٢٩].

أحدهما: أن الله ـ سبحانه ـ خلق الإنسان من ضعف، ولم يجعل في قوة عقله إدراك الحقائق الإلهية، فعدل الله ـ سبحانه ـ يقتضي تمهيد عذر الإنسان إذا ضعف في مثل هذه المقامات المدهشة، مالم يصر على العناد، ولو كان مثل هذا موجبا للعقاب لكان أولى الناس به موسى عليه السلام فإن الله سبحانه لما قال: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ (١) فألقاها إلقاء راغب عنها، ظنا منه أن الله نهاه عن حملها/ ثم التفت فإذا هي حية تسعى، فأمعن هربا، فلما عاد قال له ربه: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾(٢) فلف كم مدرعته على (٣) يده، ثم تناولها. فقال له الملك: أرأيت لو أذن الله لما تحاذر أكانت تنفعك كمك؟ فقال: لا، ولكني ضعيف، ومن ضعف خلقت(٤). فإن موسى فعل هذه (٥) الفعال وهو بحضرة الله ـ سبحانه ـ يسمع كلامه بغير

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[الأعراف: ١١٧] وقال سبحانه: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١].

(٣) كم مدرعته: الكم: مدخل اليد في الثوب. والمدرعة: ثوب من الصوف. [انظر لسان العرب ١٢/ ٥٢٦، وإكمال الإعلام للجياني ٢/ ٦٠٦].

(٤) من قوله: "فلف كم مدرعته. . . " إلى ومن ضعف خلقت" نقله الطوفي بمعناه من تفسير القرطبي (١٣/ ٢٨٣) والقرطبي نقله عن وهب بن منبه. وهي من الإسرائيليات التي كان يحدث بها وهب. وذكرها ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤٥) ولم يعزها إلى أحد.

(٥) في (ش): هذا.

واسطة، وقد وانسه بالكلام، ولم يبق من أمره في [1] شك فقد كان أولى بالعقوبة إذن، ولكن مثل هذا لايقتضيها في عدل الله ـ سبحانه ـ .

الثاني: أن العقوبة تستدعي ذنبا، وليس ههنا ما يصح أن يكون ذنبا إلا الشك في قدرة الله، على ما أخبر به، أو في صدقه [2] ، والأنبياء عارفون بالله وصفاته لا يخفى عليهم مثل هذا، وهم معصومون منه، وإنما كان ذلك من زكريا ومريم وإبراهيم وسارة وكل من صدر منه ذلك من المؤمنين بالله تعجبا من كيفية المقدور، لاشكا في حقيقته، فأراد أن يعرف: هل يعاد شابا ثم يرزق الولد، أو يرزقه وهو بهذه الحال؟ والتعجب وسؤال الله ـ سبحانه ـ كشف الأمور الملتبسة أن لم يقتض ثوابا لم يقتض عقابا.

ومن الدليل على أن العلامة مرادة من سكوت زكريا/ ولابد: ما ذكر في ٢٣م
الإنجيل أن زكريا قال للملك: "من أين أعلم هذا وأنا شيخ وزوجتي قد تناهت في أيامها [3]"؟ فهذا سؤال من زكريا للآية بلا شك. فأجابه الملك وقال: "أنا جبريل الواقف بين يدي الله وأرسلت لأبشرك بهذا. وها أنت تكون ساكتا، لاتقدر على الكلام إلى اليوم الذي يتم هذا. لكونك لم تصدق كلماتي اليوم التي يتم في زمانها".

فأخبر في الإنجيل: أن جبريل أجاب زكريا على سؤاله، والجواب تجب

---

(٤) في: ليست في (أ).

(٢) في (أ): "أوفي صدقه فيه".

(٣) الأصحاح الأول من إنجيل لوقا.

مطابقته للسؤال. وقد ثبت أن سؤاله كان عن الآية، فيكون الجواب بها. وزيادة العقوبة/ إن ثبت وسلمناه لا ينافي ذلك، لأن الجواب يجوز أن يتضمن زيادة عما في السؤال، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ..﴾ هذا طبق السؤال، وقوله: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨)﴾[1] هذا زيادة عليه. ٣٣أ ٢٠ش

وقوله ـ عليه السلام ـ حين سئل: "أنتوضأ بماء البحر؟" فقال: (هو الطهور ماؤه)[2] هذا طبق السؤال. وقوله: "الحل ميتته" زيادة عليه ويكون وجه الجمع بين الآية والعلامة: إما بما ذكرناه من قبل وهو أن ثلاثة الأيام سويا من غير خرس علامة، وباقيها أخرس عقوبة، أوبأن مطلق السكوت علامة، وامتداده إلى حين الوضع عقوبة. والله أعلم.

قال: "ومن ذلك قوله في سورة يوسف: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ .. (١٠٠)﴾ إلى قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ...(١٠٠)﴾[3] وتقرير السؤال من وجهين:

---

(١) سورة طه، آية: ١٧ـ١٨.

(٢) الحديث أخرجه أبوداود في كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البحر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: (هو الطهور ماؤه الحل ميتته) وأخرجه الترمذي في (الطهارة، باب ماجاء في ماء البحر أنه طهور) وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي في (المياه باب الوضوء بماء البحر)، وابن ماجه في (الطهارة باب الوضوء بماء البحر)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٤١) وصححه.

(٣) سورة يوسف، آيه: ١٠٠.

أحدهما: أنه أخبر أن أبوي يوسف حضرا عنده ذلك الوقت، وقد ثبت في التوراة: أن راحيل أم يوسف ماتت في نفاسها ببنيامين ودفنت ببيت لحم [1]. قبل أن يطرأ ليوسف ما طرأ [2].

والثاني: أنه ذكر أنهم سجدوا ليوسف، ولم يذكر في التوراة. غير أن يعقوب لما رأى يوسف فتح ذراعيه، وعانقه باكيا [3]".

قلت: والجواب عن الأول من وجوه:

أحدها: الجواب العام، وهو: عدم الوثوق بالتوراة، وقد بينت في التعليق عليها [4] من التناقض والتهافت ما تبين لكل عاقل أنها مما لا يعتمد عليه.

---

(١) بيت لحم، أو بيت لخم، بالمهملة أو المعجمة. وقيل فيه لغتان. وهي بليد قرب بيت المقدس اشتهر أن عيسى ـ عليه السلام ـ ولد فيها. [انظر مراصد الاطلاع ١/ ٢٣٨]

(٢) ذكرت القصة في سفر التكوين الأصحاح الخامس والثلاثين. والأصحاح الثامن والأربعين.

(٣) والنص في ترجمة ١٩٧٩م، في سفر التكوين في الأصحاح السادس والأربعين "ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زمانا" اهـ.

(٤) علق على التوراة في النصف الثاني من كتابه "تعاليق على الأناجيل" ومن تناقضها وما يدل على وقوع التحريف فيها وتغيير وتبديل اليهود والنصارى لها قولهم فيما يسمونه: سفر الخليفة أو التكوين" وقال الله نخلق بشرا على شبهنا وقد رسمنا فضله ليكون كصورتنا ومثالنا وأسلطه على سمك البحار وطير السماء" إلى أن قال: "وخلق الله آدم بصورته صورة الله. خلقه ذكرا وأنثى خلقهما الله وبارك عليهما".

قلت: فالله خلق آدم على صورة الله أو على صورة الرحمن. وهذا من إضافة المخلوق إلى خالقه فالصورة خلق الله تعالى... وليست المشكلة في هذا واكن قولهم: "ومثالنا" و"وشبهنا" يدل على أن آدم إله مساو لله تعالى. وهذا تنقص بالله تعالى، لأنه يلزم من ذلك أن يكون له شريك في الإلهيه والربوبية والأسماء والصفات والأفعال يزاحمه وهذا محال كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١].

الثاني: أني تأملت هذا الحكم في التوراة على جهة التفصيل فوجدته مختلفا مشتبها جدا وذلك أنه ذكر فيها أن راحيل أم يوسف ماتت على طريق بيت لحم عند قدوم يعقوب من عند خاله "لابن" وذلك قبل أن يرى يوسف الرؤيا بمدة[1]، وذكر فيها: أن يعقوب بعد اجتماعه/ بيوسف بمصر [2] قال له: "وإني ٢٤م
حين/ أقبلت من فدان [3] آرام - يعني قدومه من عند خاله "لابن" من حوران[4] - ١٣٤أ
ماتت راحيل أمك في أرض كنعان [5] فقبرتها في بيت لحم [6]" فهذان نصان يقتضيان: أن أم يوسف ماتت قبل أن يرى الرؤيا، وذكر فيها: أن يوسف لما جاءه

---

(١) انظر الأصحاح الثامن والأربعين من سفر التكوين.

(٢) مصر: البلد المعروف سميت باسم من أحدثها وهو مصر بن مصرايم بن حام بن نوح، فتحها عمرو بن العاص رضي الله عنه [انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٧٧].

(٣) في النسخ الثلاث: فدن، بدون ألف بعد الدال المهملة. والصحيح فدان. كما في مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٢٠، وفي التراجم الحديثة للكتاب المقدس (سفر التكوين الأصحاح الثامن والأربعين). وهي قرية من أعمال حران بالجزيرة.

(٤) حوران: بفتح أوله: كورة واسعة من أعمال دمشق في القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع يقول فيها امرؤ القيس:

ولما بدت حوران والآل دونها * نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

[انظر مراصد الإطلاع وهامشه١/ ٤٣٥]

(٥) أرض كنعان: موضع من أرض الشام وهو منازل الكنعانين نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، كان منزل يعقوب عليه السلام في قرية يقال لها "سيلون" من بلاد كنعان، ويقال إن اسم المكان الذي كان فيه "بدا" وإياه عني جميل بقوله:

وأنت الذي حببت شعبا إلى بدا * إلي وأوطاني بلاد سواهما.

وببلاد كنعان الجب الذي ألقي فيه يوسف عليه السلام. [انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١١٨٢، وتفسير الشوكاني ٣/ ٥٦].

(٦) انظر سفر التكوين الأصحاح الثامن والأربعين.

إخوته يطلبون الميرة [1]، فعرفهم وهم له منكرون، اتهمهم بالجاسوسية وجعل ذلك ذريعة إلى سؤالهم عن عدتهم، حتى انتهى إلى ذكر "بنيامين" فقال: ائتوني به لأعلم صدقكم، فرجعوا إلى أبيهم فقالوا: أرسل معنا بنيامين، فقال لهم يعقوب: "إن أخاه قد مات ولم يبق لأمه غيره ولعله تصيبه مصيبة في الطريق"[2].

وظاهر هذا: أن أمه الآن حيه، وأنه خاف على وجع قلبها وقلبه لفقده وكذلك ذكر فيها: أن إخوة يوسف قالوا له حين سألهم عن عدتهم [3]: "إن لنا أبا شيخا، وله ابن صغير، وهو ابن كبره، ومات أخوه، وهو واحد لا غير لأمه وأبيه، وأبوه يحبه[4] ".

وهذا قاطع في أن أم" بنيامين" حية إلى الآن [5] ـ وهي أم يوسف ـ وهذا تهافت في التوراة [6] كما تراه. فمن احتج بالنص الأول على موتها قبل هذا الحال

---

(١) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان: أي يجلبه للبيع أو للاقتيات. والمور: الحركة ذهابا ومجيئاً. فهم يذهبون لطلب الميرة" الطعام" ويجئون قال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[يوسف: ٦٥] وانظر في معنى الميرة: [لسان العرب ١٨٨/٥، ومنال الطالب ص١٣٩, ٤٠٩, ٤٥٤].

(٢) النص في سفر التكوين آخر الأصحاح الثاني والأربعين، ولم تذكر الأم في التراجم الحديثة، مع أنها ذكرت في النص التالي بعده.

(٣) في (أ)، (ش): عددهم.

(٤) انظر سفر التكوين الأصحاح الرابع والأربعين.

(٥) أي إلى وقت القصة.

(٦) التي بأيديهم لا المنزلة.

احتججنا عليه بهذا القاطع [1] أنها باقية إلى هذا الحال. ونؤكده بقول يعقوب ليوسف حين قال: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[2] فزجره يعقوب وقال له: "ما هذه الرؤيا التي رأيت؟ أجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك على الأرض"/ [3]. ٢١ش

فنقول: إن كانت أم يوسف التي ولدته حية الآن فهو يناقض ما في التوراة من أنها ماتت قبل ذلك ودفنت ببيت لحم. وإذا وقع التناقض فيها سقط الاحتجاج بها[4]، وليس للخصم مستند في ذلك غيرها، وإن كانت قد ماتت فقد سمى يعقوب ليوسف بعد أمه أما، فتلك هي التي سجدت له مع يعقوب عند تأويل الرؤيا، سواء كانت هي والدته، أحياها الله حينئذ تصديقا/ لرؤياه [5]، كما قال ١٣٥

---

(١) عند اليهود والنصارى.

(٢) سورة يوسف، آيه: ٤. وقول التوراة غير هذا.

(٣) نص التراجم الحديثة: "... فقال إني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي. وقصه على أبيه وعلى إخوته. فانتهره أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت هل نأتي أنا وأمك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض... "الخ.

[سفر التكوين الأصحاح السابع والثلاثين].

(٤) بها: ليست في (أ).

(٥) ذكر هذا القول الشوكاني في تفسيره (٣/ ٥٢) ولم يعزه للحسن البصري، وفي زاد المسير (٤/ ٢٨٨) أن الحسن قال إنها أمه. قلت: ولم يرد عن موتها شيء.

الحسن البصري [1]، أو كانت خالته وسميت أما مجازا، كما قال بعض المفسرين [2].

وكما قد ثبت في الإنجيل: أنهم كانوا يسمون مريم ويوسف: أبوي المسيح، في غير موضع، وقالت له مريم لما تخلف عنها في أوراشليم [3]: "يا بني لم تخلفت عنا وتركتني وأباك نطوف عليك [4] "؟ فكما سمى يوسف أبا المسيح لكونه زوج أمه مجازا [5]، فكذا سميت زوجة يعقوب أما ليوسف مجازا،

---

(١) التابعي الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، وأمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، نشأ بوادي القرى، وحضر الجمعة مع عثمان ـ رضي الله عنه ـ وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار، وله يومئذ أربع عشرة سنة، خرجت به أم سلمة، وهو رضيع إلى الصحابة، ومنهم عمر فدعا له، وقال: "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس" توفي ـ رحمه الله ـ عشية يوم خميس من أول رجب سنة عشر ومئة.

[انظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣-٥٨٨].

(٢) كابن عباس وقتادة والسدي. [انظر تفسير الطبري ١٢/ ١٥٢، ١٣/ ٦٧، وتفسير القرطبي ٩/ ١٢١، وزاد المسير ٤/ ١٨٠]. قلت: ولا لزوم إلى هذا التكلف من المفسرين في هل هي أمه أو خالته، فالآية واضحة لا تحتاج إلى مراعاة ما عند أهل الكتاب من أنها خالته. فهم محرفون للكلم عن مواضعه، ثم قد ورد في كتبهم مرة أنها أمه وأنها حية وأخرى أنها خالته وأن أمه ماتت. أما قول بعض المفسرين إن الله أحيا له أمه حين قدومهم إلى مصر، فهو قول من غير دليل، ولا برهان عليه. وإن كانت قدرة الله أكبر من هذا.

(٣) وتروى: "شلّم" ويقال: أوريشلم، وهو اسم بيت المقدس بالعبرانية.

[انظر مراصد الاطلاع ١/ ١٣١، ٢/ ٨٠٩].

(٤) انجيل لوقا الأصحاح الثاني. والنص في التراجم الحديثة: "وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا هكذا هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين".

(٥) قصة ولادة المسيح وتزوج مريم عند النصارى في أول إنجيل متى. وليس في هذا مجاز فإن النصارى بهذا يوافقون اليهود في أن المسيح ابن يوسف النجار زنا. لعنهم الله أنى يؤفكون.

خصوصا وكـانت زوجة أبيه أخت أمه نسبا وهي " ليـا/ بنت لابن" فقرب المجاز ٢٥ب
وزال الإشكال. والله أعلم بالصواب.

الثالث: أن المراد بأبويه: أبوه وخالته، والعـرب تسمي الخالة أما، والعم أبا كمـا روى أبـوإسحـاق [١] عن البراء [٢] عن النبي ﷺ قال: «الخـالة بمنزلة الأم» رواه الترمـذي، وقال: حديث صـحيح [٣]. وعن ابن عمر [٤]: أن رجلا قال:

---

(١) هو الهمداني كما صرح به الترمذي: عمرو بن عـبدالله بن ذي يُحمِد. وقيل: عمرو بن عبدالله ابن علي شيخ الكوفـة وعالمها ومحدثهـا ينسب السّبيعي. ولد لسنتين بقـيتا من خلافة عـثمان ـ رضي الله عنه ـ ورأى عليـا يخطب وروى عن مـعاوية وعـدي بن حاتم وابن عـباس والبـراء، وغيرهم. وكان أعلم التابعين بحديث علي وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ توفي ـ رحمه الله ـ سنة سبع وعـشرين ومائة. يوم دخل الضـحاك بن قيس غالبـا على الكوفة. [انظر سيـر أعلام النبلاء ٥/ ٣٩٢-٤٠١].

(٢) أبوعمارة البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة الخزرجي الأنصاري قيل إنه ممن استصغر يوم بدر وقيل يوم أحد، وقيل أول غزوة غزاها مع النبي ﷺ الخندق ـ والله أعلم بالصواب ـ وشـهد ـ رضي الله عنه ـ مع علي الجمل وصفين، والنهـروان، ثم نزل الكوفة ومات بها أيام مصعب بن الزبير ـ رحمه الله تعالى ـ.
[انظر الاستيعاب ١/ ١٥٥-١٥٧].

(٣) "الخالة بمنزلة الأم" أخرجه البـخاري عن البراء في قصة الحديبية في كـتاب المغازي، باب عمرة القضاء، وفي كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان... الخ.
والترمذي في كـتاب البر والصلة باب ما جـاء في بر الخالة وقال: "وفي الحديث قـصة طويلة، وهذا حديث صحيح" اهـ. وأبوداود عن علي ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الطلاق باب من أحق بالولد، والدارمي في "كتاب الفرائض، باب ميراث ذي الأرحام" عن عبدالله.

(٤) عبدالله بن عمـر بن الخطاب بن نفيل القرشي ولد سنة ثلاث من البعثـة النبوية، وأسلم مع أبيه وهاجر وهو ابن عشر سنين وعرض يوم بدر وعمره ثلاث عـشرة سنة فاستصغره رسول الله ﷺ فـرده وعـرض يـوم أحد وعمره أربع عشرة فـرده النبي ﷺ وعرض يوم الخندق وعمره خمس =

يارسول الله إني أصبت ذنبا عظيما، فهل لي من توبة؟ قال: (هل لك من أم؟» قال: لا. قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم. قال: «فبرها». أخرجه الترمذي أيضا[1].

وقال الله تعالى حكاية عن بني يعقوب أنهم قالوا له: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [2] فسموا إسماعيل أباه، وإنما هو عمه، وتكملة هذا الوجه قد سبق في الذي قبله.

الرابع: ما ذكره الحسن وهو أن الله ـ سبحانه ـ أحيا راحيل أم يوسف حتى سجدت له تحقيقا لرؤياه.

وقول القائل: "إن هذا ونحوه لم يذكر في التوراة": جهالة، وضيق عطن[3] في العلم، فإن التوراة التي عندكم ـ إن صح أنها التي جاء بها موسى ـ

= عشرة سنة فقبله النبي ﷺ وهو من أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ كان لا ينام من الليل إلا قليلا. قال عنه جابر ـ رضي الله عنه ـ : "ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبدالله بن عمر" اشتهر بعلمه وجهاده في سبيل الله. وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة سنة ثلاث وسبعين للهجرة في أصح الأقوال. (انظر سير أعلام النبلاء ٣/٢٠٣-٣٢٩، والإصابة ٢/٣٤٧-٣٥٠، وطبقات ابن سعد ٤/١٤٢ - ١٨٨).

(١) في كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في بر الخالة، وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك (كتاب البر والصلة ٤/١٥٥) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وأخرجه أحمد في المسند (٢/١٤).

(٢) سورة البقرة، الآية رقم: ١٣٣.

(٣) ضيق عطن: يقال واسع العطن: أي واسع الصبر والحيلة عند الشدائد، سخي كثير المال. وضده ضيق العطن. [المعجم الوسيط ٢/٦٠٩]. أو يقال: رجل رحب العطن أي رحب الذراع كثير المال واسع الرحل، والعطن. [لسان العرب ١٣/٢٨٧]، فيكون ضيق العطن ضد ذلك. ويأتي العطن بمعان أخرى.

فهو جزء [1] يسير من علم الله، وتضمنت يسيرا مما جرى للقوم، وقد جرى لهم جزئيات وتفاصيل لم تذكر، فلعل هذا منها. والله ـ سبحانه ـ يفضل من شاء على من شاء في العلم والجسم والمال والعقل وغير ذلك [2]. فما المانع أن يكون/ الله ـ سبحانه ـ اختص محمدا من العلم بما لم يخصكم [3] كما خصه باذلالكم وإرغام أنوفكم، وأخذ الجزية منكم، نحو ثمانمائة سنة [4]. ١٣٦أ

والجواب عن الثاني ـ وهو سجودهم له ـ من وجوه:

أحدها: هذا بعينه، وهو أن في القرآن زيادة علم لم تبغلكم، تخصيصا من الله لغيركم عليكم.

الثاني: أن السجود المذكور في القرآن ليس المراد به وضع الجباه على الأرض بل هو الإيماء بالرؤوس، والإنحناء على جهة التعظيم، وكانت تلك تحية الملوك عندهم، فلعله لخفاء صورته وعدم ظهور تأثيره في هيئة الإنسان الانتصابية [5] لم يذكر في التوراة اعتبارا/ بصورته، وذكر في القرآن اعتبارا بمعناه، وهو التعظيم [6]. ٢٢ش

---

(١) في (أ): فهو حرف.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة البقرة: ٢٤٧].

(٣) في (م): يختصكم.

(٤) هكذا في النسخ الثلاث والصحيح: أكثر من سبعمائة سنة.

(٥) كلمة "الانتصابية" غير واضحة في (أ).

(٦) انظر تفسير الطبري ١٣/٦٨-٦٩، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٦٥.

على أنه قد صرح في التوراة [1] بأن إخوة يوسف لما عرفهم وهم له منكرون "خروا له سجدا".

ثم لما [2] عادوا المرة الثانية "خروا له سجدا" [3]، وأن يوسف لما جاء بابنيه "ميشا" [4] و "أفرايم" إلى يعقوب ليبّرك عليهما، سجدا له [5].

وأن "إبراهيم" لما اشترى مغارة "عفرون" [6] ليجعلها مقبرة لسارة، فقالوا له:

---

(١) انظر سفر التكوين الأصحاح الثاني والأربعين، والنص في التراجم الحديثة: "فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض" اهـ.

(٢) "لما" سقطت من (م).

(٣) انظر سفر التكوين الأصحاح الثالث والأربعين.

(٤) "ميشا" هكذا في النسخ الثلاث وفي ترجمة سنة ١٩٧٩م: منسّى.

(٥) انظر سفر التكوين الأصحاح الثامن والأربعين. قلت: والصواب أن السجود كان جائزا في شريعتهم ثم نسخ في شريعتنا، لأنه ليس في النص قرينة تصرفه عن المعنى الحقيقي - والله أعلم ومما ورد في شريعتنا من النهي عن السجود لغير الله، ما أخرجه أبوداود عن قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك، قال: « أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له»؟ قال: قلت: لا، قال: «فلا تفعلوا لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق » وأخرج الترمذي في الرضاع باب حق الزوج على المرأة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لو كنت آمرا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وفي مسند أحمد وسنن النسائي نصوص أخرى غير هذه.

(٦) هي قرية من قرى فلسطين قرب بيت المقدس يقال إن فيها قبر إبراهيم - عليه السلام - واسمها حبرون. واسمها الآن الخليل. واسم مالكها قبل ذلك عفرون.

[انظر مراصد الاطلاع ١/ ٣٧٦].

قـد وهبناها لك، خـر لهم ساجـدا [1] على جـهة الشكـر حيث ياسـروه ولم/ ٢٦م يعاسروه. وسألهم أن يأخـذوا منه ثمنها. فقد كان السجود عندهم سهـلا متعارفا في هذه المواطن اليسيرة الخطب، وهو من ملة أبيهم إبراهيم [2].

وفي التوراة: "أن يعقـوب لما التقى بأخيه العـيص سجد له[3] بالأرض سبع مرات"[4]، فما ظنك بحال الدخول على يوسف من قوم متشوقين إليه، وخجلين منه بعد سـنين متطاولة، فإن العـقول تجـزم بأن هذا المقام أولى بالسـجود من كل مقام، خصوصـا لشخص قد أحياهم الله به، وقد غمرهم بإحـسانه بعد أن بالغوا في الإساءة إليه.

ففي السجود له فوائد [5].

منها: إقامة رسم الملك بفعل تحيته [6].

والثانية: التوصل إلى إزالة ما في نفسه.

---

(١) انظر سفر التكوين الأصحاح الثالث والعشرين.

(٢) قلت: هذا ادعاء وزعم منهم أنه حصل منه هذا، وأنهم على ملتـه لا أن ذلك صدقا. فالله أعلم بالصواب.

(٣) في (أ): أسجد له بالأرض.

(٤) سفر التكوين الأصحاح الثالث والثلاثين.

(٥) هذا إذا كان على سبيل الخلق كـما في شريعتهم المنسوخة لاالعبادة وعلى سـبيل التنزل منا بصحة ذلك في شرائعهم.

(٦) روى ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٨) عن قتـادة: "وكانت ـ أي السجود ـ تحية من قبلكم كان بها يحي بعضهم بعضا، فأعطى الله هذه الأمة: السلام تحية أهل الجنة، كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم، ونعمة منه" اهـ.

والثالثة: إظهار المحبة ليوسف والطاعة له ليرضى/ عنهم يعقوب، ويطيب قلبه بتصافيهم.

الرابعة: مكافأته على بعض إحسانه.

الخامسة: تصحيح رؤياه، فإن "رؤيا الأنبياء وحي [١]".

الثالث: أنه ذكر في التوراة [٢] أن يوسف لما قص رؤياه على يعقوب زجره لما قصها، وقال له: "ما هذه الرؤيا التي رأيت؟ أجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك على الأرض؟" وكان يعقوب قد وعى معنى الرؤيا.

قلت: وإنما أراد أن يصد عنه كيد إخوته له باستبعاده ذلك وإنكاره[٣].

قلت: فهذا يعقوب قد فهم أن تأويل رؤيا يوسف: سجود إخوته وأبويه له.

وقد ثبت أن الرؤيا صحت، فكذا تأويلها، خصوصا والرؤيا رؤيا نبي، والتأويل تأويل نبي ورؤيا الأنبياء وحي، وتأويلهم إلهام.

وأيضا: فإن في التوراة [٤] أن يوسف رأى رؤيا أخرى وهي أنه رأى أنه وإخوته جمعوا حزما في المزرعة، وقد قامت حزمته، وجاءت حزم إخوته، فسجدت لها. وهذا يدل على سجودهم له، لما التقوا لأن الرؤيتين دلتا على حكم واحد، وهو السجود.

---

(١) طرف من حديث أخرجه البخاري في الوضوء، باب التخفيف في الوضوء، وفي الأذان باب وضوء الصبيان وهو من قول عبيد بن عمير رضي الله عنه قال هذا: "إن رؤيا الأنبياء وحي" ثم قرأ: ﴿إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ الآية (١٠٢) من سورة الصافات.

(٢) في سفر التكوين الأصحاح السابع والثلاثين.

(٣) في (ش) كيد اخوته وأبوه له وقد ثبت أن الرؤيا صحت.

(٤) في سفر التكوين الأصحاح السابع والثلاثين.

الرابع: أنه يجوز حمل ما في القرآن على أن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [1] جملة. وقوله: ﴿وخروا﴾ جملة مختص ضميرها بإخوة يوسف لم يتناول أبويه، فيكون ذلك موافقا لرؤيا الحزم، فإنها إنما تضمنت ما يدل على سجود الإخوة فقط دون أبويه، ويصير هذا قريبا جدا [2] لأن إخوته سجدوا له قبل ذلك مرتين بنص التوراة، وهذه تكون ثالثة ووقتها أولى بالسجود من غيره على ماسبق وإنما ترك ذكره في التوراة اكتفاء عنه بالمرتين الأوليين، وتنبيها عليه بطريق أولى.

م٢٦ قلت: وفي ورود/ القرآن برؤيا النجوم دون رؤيا الحزم أقوى دليل على صدق محمد ـ عليه السلام ـ وأن القرآن وحي من الله، وأنه إنما أخبر بما أوحى إليه، وإلا فلو كان ينقل ذلك من كتب/ الأولين لتتبعها /ولظفر برؤيا الحزم، ولذكرها خشية أن يطعن عليه بالنقص والزيادة فاعلم ذلك.

أ٣٨

ش٢٣

---

(١) سورة يوسف، الآية رقم: ١٠٠.

(٢) وذكر الرازي في كتابه "عصمة الأنبياء" ص ٨٤، تفسيرا آخر وهو: "المعنى: خروا لأجله سجدا لله". وقال القرطبي في تفسيره (٩/ ٢٦٤): "الهاء في قوله (خروا له) قيل: إنها تعود على الله تعالى، المعنى وخروا شكرا لله سجدا، ويوسف كالقبلة لتحقيق رؤياه، وروي عن الحسن" اهـ ولكن رد بعض المفسرين على هذا القول بأن الهاء راجعة إلى يوسف لقوله تعالى في أول السورة: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وأن هذا كان تحيتهم أن يسجد الوضيع للشريف.

قلت: تعبيرهم "بالوضيع للشريف" هضم لحق نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ فليس وضيعا، وإنما نقول كانت تلك تحيتهم كما تقدم.

قال: "ومن ذلك في سورة القصص بعد ذكر موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ...﴾ إلى قوله: ﴿..إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ...﴾ [1] قال: الكذب في هذه القصة في مواضع:

أحدها: قوله: "وجد على الماء قوما يسقون" ولم يكن كذلك يعني بل [2] القوم طرأوا [3] على بنات شعيب، وقد ملأن الحياض [4] ليسقين غنم أبيهن، فأخرجوهن فقام موسى فحماهن وسقى غنمهن كما سيأتي في لفظ التوراة.

الثاني" أن النساء كن سبعا لا اثنتين.

الثالث: أن عرض شعيب ابنته على موسى واستئجاره على نكاحها ثماني سنين لم يكن منه شيء، إنما كان هذا في زواج يعقوب براحيل بنت خاله "لابن" وإنما اختلطت لهذا الإنسان القصة، أو خلطت له بقصة زواج يعقوب النبي، ثم ذكر ما في التوراة من قصة موسى في ذلك. وهو أن قال فيها بعد ذكر قتل موسى للقبطي [5]: "فسمع فرعون هذا الخبر وكان يطلب قتل موسى فهرب من حضرته، وأقام بأرض مدين [6]، وجلس جوار البئر.

---

(١) سورة القصص من ٢٣ـ٢٧.

(٢) في (ش) يعني أن القوم.

(٣) أي وردوا على بنات شعيب، وأتوهن فجأة. [لسان العرب ١/ ١١٤].

(٤) في (م): الحوض.

(٥) القصة في سفر الخروج الأصحاح الثاني.

(٦) أرض مدين: مدينة قوم شعيب قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز، قريبا من بحيرة قوم لوط، بينها وبين تبوك ست مراحل، وهي أكبر من تبوك في ذلك الوقت وبها البئر التي استقى منها موسى لغنم شعيب. ومدين قبيلة من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وشعيب عليه السلام نبيهم. ذكرت قصة عتوهم في القرآن الكريم، وكانوا يخيفون المارة ويعبدون الأيكة -شجرة من الأيك - أهلكهم الله بأنواع من العذاب. [انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٢٤٦، والبداية والنهاية ١/ ١٨٤ـ١٩١].

وكان لإمام مدين سبع بنات. كن أقبلن لاستقاء الماء فملأن الحياض وأحببن سقي غنم "يثرا" [1] أبيهن، فأقبل الرعاة عليهن وأخرجوهن فقام موسى وحمى الجواري وسقى نعاجهن، فلما انصرفن إلى "يثرو" أبيهن، قال لهن: لم جئتن أسرع من المعتاد [2] ؟ فأجبن: رجل مسلم [3] مصري أنجانا من الرعاة، وبزيادة استقى الماء وسقى النعاج [4]. فقال: أين هو؟ لم خلفتن الإنسان؟ ادعونه ليأكل خبزا، فحلف[5] موسى أن يسكن معه وأخذ سابور [6] بنته زوجة". اهـ.

قال: "هذا نص التوراة/ أن الجواري كن سبعا، لا اثنتين، وأن والدهن كان ١٣٩
اسمه يثرو لا شعيب، ولا ذكر لاستئجاره ثماني حجج.

ثم ذكر قصة زواج يعقوب من التوراة إلى آخرها.

ثم قال: "فتأمل يا قارىء اختلاط إحدى القصتين بالأخرى".

قلت: والجواب عن هذا السؤال من وجوه:

---

(١) اختلف المفسرون في اسم أبي المرأتين المشار إليهما: فقال بعضهم: اسمه يثرون أو يثرى. وقال بعضهم: اسمه شعيب وهو النبي ـ عليه السلام ـ وكلا القولين لا دليل عليهما، ولسنا متعبدين بمعرفته ولا بمعرفة اسمي المرأتين بل بالإيمان والتصديق بالقصة دون معرفة الأسماء والله أعلم.

(٢) في (ش): المضاد.

(٣) كلمة "مسلم" ليست في (م)، (ش).

(٤) عبارة (أ): "وبزيادة استقى الماء وسقى النعاج" وفي التراجم الحديثة: "فقلن رجل مصري أنقذنا من أيدى الرعاة، وأنه استقى لنا أيضا وسقى الغنم فقال لبناته فأين هو...".

(٥) فحلف: ليست في (ش) وفي التراجم الحديثة: "فارتضى" موسى أن يسكن مع الرجل" والمعنى: فأقسم على موسى أن يسكن معه...

(٦) في التراجم الحديثة اليونانية: "صفورة".

أحدها: الجواب العام بالقدح في التوراة وعدم الوثوق بها، كما تقرر في المقدمة وقد وجدنا فيها من التناقض والاختلاف/ ما بعضه يقدح في الاحتجاج بها. ٢٨م

ولذلك سببان ظاهران:

أحدهما: أن اليهود حرفوا منها اسم محمد ـ عليه السلام ـ [١] ودلائل نبوته[٢] لئلا يكون عليهم حجة له من كتابهم، وحرفوا مع ذلك أشياء مما جاء به محمد عن وضعه الذي في التوراة ليصير ذلك شبهة لهم في تكذيبه، ويقولون: ما نصنع به؟ لو وافق ما عندنا أو ذكر فيه، آمنا به [٣].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ...﴾ الآية [سورة الاعراف آية ١٥٧] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ...﴾ [سورة البقرة ١٤٦، وسورة الأنعام ٢٠].

(٢) أخرج البخاري في (البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق وفي تفسير سورة الفتح٣) عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن [قال في التوراة]: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا" اهـ.

(٣) قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية [سورة النساء ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة البقرة ٧٥].

السبب الثاني:

أن التوراة تقادم عهدها وحرفت في زمن "بختنصر [1]" وتعاورتها [2] التغيرات والتنقلات من العبراني إلى السرياني إلى القبطي إلى العربي لفظا وخطا.

وبعيد من مثل هذه التغيرات أن لاتخل بالمعاني. ولذلك صارت التوراة التي بيد النصارى [3] تخالف التي بيد اليهود [4]، والتي بيد اليهود يخالف بعضها بعضا كما أن أناجيل النصارى يخالف بعضها بعضا [5]، كما قد بينته / في التعليق ٢٤ش عليها [6] لأن أهل الكتاب معتمدهم على الخط، لا على الحفظ، وعلى الرواية بالمعنى لا باللفظ.

الثاني: أن علماء المسلمين ذكروا قصة موسى، على وفق ما هي في القرآن وكان لهم اجتماع بأهل الكتاب واطلاع على علمهم، وأسلم جماعة من أهل

---

(١) بختنصر: أحد ملوك بني إسرائيل، ذكر ابن أبي حاتم أنه كان فقيرا مقعدا ضعيفا يستعطي الناس، ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى ما آل، وأنه سار إلى بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني إسرائيل، وذكر ابن كثير أن ابن إسحاق وغيره ذكروا أن خراب بيت المقدس كان على يديه في عهد نبي الله "أرمياء" [انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥، البداية والنهاية ١/ ٣٤ـ٣٩].

(٢) كلمة: "وتعاورتها" غير واضحة في (أ).

(٣) وتسمى باليونانية.

(٤) وهي نسختان: العبرانية والسامرية.

(٥) إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا وغيرها.

(٦) في كتابه: "تعاليق على الأناجيل" خ.

الكتاب ووافقوهم على ذلك كعبدالله بن سلام/ من اليهود، والعاقب والسيد [1] رئيسي نجران من النصارى والنجاشي [2] صاحب الحبشة [3] في ناس كثير، فدل أن مافي القرآن موافق لما في الكتب القديمة، ولكن هذا الذى تدعونه تحريف حدث.

فإن قيل: إنما كان إسلام بعض أهل الكتاب[4] وعدم إنكارهم ما جاء به القرآن من الوهم مخافة من سيف الإسلام، فإنه كان مشهورا منصورا، لا يقوم له أحد.

---

(١) العاقب: اسمه عبد المسيح، وكان صاحب مشورة قومه نصارى نجران.
وأما السيد فكان اسمه: الأيهم. وقيل شرحبيل، وكان صاحب رحالهم ومجتمعهم ورئيس في ذلك. وقصتهما مع وفد نجران الذي قدم إلى النبي ﷺ مشهورة. ذكرها البخاري في صحيحه - في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران - وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٣٥٨) وذكر ابن سعد أنهما أسلما بعد ذلك وأنزلهما النبي ﷺ دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -. والله أعلم وقد ذكرها أيضا ابن تيمية في الجواب الصحيح (١/ ٢٤١-٢٦٥) بتحقيق د. علي حسن عسيري.

(٢) أصحمة بن بحر، أحد ملوك الحبشة. والنجاشي لقب لكل من ملكوهم. كان رضي الله عنه ذا عدل في ملكه. هاجر إليه جمع من الصحابة فسألهم عن أمر رسول الله ﷺ فأخبروه وتلوا عليه شيئا من القرآن فقال: "إن هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة" وأسلم خفية عن قومه وقال: "أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ماأنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه" توفي في رجب سنة تسع من الهجرة. فقال رسول الله ﷺ حين مات، مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة. [انظر صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، وسنن أبي داود، كتاب الجنائز باب الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك، ومسند أحمد (١/ ٢٠٣)، وفتح الباري (٣/ ١٨٧).

(٣) الحبشة: جبل معروف يرجع نسبهم إلى حبش بن كوش بن حام ابن نوح. والجمع أحبوش، وهم أمة كبيرة، ويذكرهم المؤرخون في عداد أمم السودان. ودولة الحبشة اليوم تقع في شرق إفريقيا.
[انظر فتح الباري ٧/ ١٩٠-١٩١، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٢٨٨].

(٤) عبارة «إسلام بعض أهل الكتاب» سقطت من (ش).

قلنا: هذا مما لا يفيدكم، فإن مصنف هذا الكتاب قد أبرز فيه كل ما عنده من الطعن في دين الإسلام مع المخافة وظهور الإسلام، ولم يمنعه ذلك، فلو أمكن الأوائل من أهل الكتاب قدح لفعلوا، ولو في خفية ثم لاشتهر في ذلك العصر ثم نقل إلينا. كيف والمسيح ﷺ [1] يقول: "مامن خفي إلا سيظهر، ولا مكتوم إلاسيعلن [2]". وهو قول معصوم لايجرم.

وأيضا فإن من الممتنع عادة أن أحدا لا [3] ينتقل من دين إلى دين إلا بعد انشراحه لما انتقل إليه وانقباضه عما كان عليه، وأن من ينشرح صدره لدين يحتمل الذل والصغار والقتل، ولا ينتقل عنه كاليهود والنصارى في بلاد المسلمين، والمسلمين في بلاد النصارى. فمن المحال عادة أن جماعات من أحبار [4] اليهود والنصارى ورؤسائهم ورعاعهم يتركون دينهم في/ عصر النبوة إليها إلا بعد علمهم ٢٩م
بصحة ما جاءت به [5]، وحينئذ يصير هؤلاء حجة على من يقدح في الإسلام من أهل الدينين.

---

(١) "وسلم" ليست في النسخ الثلاث.

(٢) إنجيل متى الأصحاح العاشر.

(٣) "لا" سقطت من (ش).

(٤) الأحبار جمع حبر وهو العالم. وفي حبر لغتان: بكسر الحاء وفتحها [المصباح المنير ١/ ١٤٢] والأول أصح لأن جمعه أحبار، والله تعالى يقول: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية ٣١ من سورة التوبة والمراد بالأحبار علماء اليهود الذين يحبرون الكلام ويحسنونه. والفرق بينه وبين الراهب أن الراهب بمعنى المتعبد الخاشع الزاهد. وأصله عند النصارى التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها والزهد فيها، والعزلة عن أهلها.

[انظر لسان العرب ٤/ ١٥٧-١٥٨وتفسير القاسمي ٨/ ١٨٤].

(٥) مثل عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، والنجاشي، وغيرهم.

وهذا" ابن جزلة"[1] صاحب" منهاج البيان"في الطب كان نصرانيا فأسلم وصنف كتابا سماه"إفحام النصارى" ولما مات وقف كتبه على تربة الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت[2]/ ببغداد [3] وكثيرون مثله يسلمون ويحسن إسلامهم، وبعد ذلك يطعنون فيما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية [4] ولم نر مسلما خرج عن الإسلام، فحمد ما انتقل إليه [5] فإن قيل: لأن المسلمين لا يتركونه بل ١٤١

---

(١) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٨٢.

(٢) النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، يقال: إنه من أبناء الفرس. إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ولد بالكوفة، وطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وسمع عطاء بن أبي رباح وغيره من التابعين، كان طويل الصمت كثير العقل، يسمى الوتد لكثرة صلابته، قال عنه الشافعي: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة"قدم بغداد فأقام بها حتى توفي سنة خمسين ومائة رحمه الله تعالى.

[انظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٠-٤٠٣، وتاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣- ٤٢٣].

(٣) المدينة المعروفة الآن في العراق. وهي عاصمة الدولة العباسية وعاصمة دولة العراق الآن.

(٤) من أمثال السموأل بن يحي بن عباس المغربي المتوفي سنة ٥٧٠هـ فقد كان يهوديا ثم أسلم وألف في الرد على اليهود "إفحام اليهود". وأمثال عبدالله بن عبدالله الترجمان الميورقي المتوفي سنة ٨٣٢هـ في جزيرة ميورقة والذي كان يدعى قبل إسلامه"أنسليم تورميدا"فقد كان من أحبار النصارى ثم أسلم ورد عليهم بكتابه" تحفة الأديب في الرد على أهل الصليب" وغيرهما كثير.

(٥) قلت: وقد شهد بذلك هرقل ملك النصارى وعالمهم في عهد النبوة، حيث سأل أبا سفيان عن نبوة محمد ﷺ فقال: "وسألتكم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا. وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد".

وستأتي القصة بتمامها في نص الكتاب.

يقتلونه فلا يتسع له زمن النظر والترجيح، بين ما انتقل عنه وإليه، ثم انحسمت[1] مادة الردة في الإسلام خوف القتل.

قلنا: لا شك أن مصلحة الدين ومنفعته عظيمة وهي النجاة الأبدية، وعظم مصلحته توجب قوة الداعي المحرك إليه وذلك يوجب انفتاح أبواب الوسائل الموصلة إلى المقصود منه.

وهذه بلاد النصرانية ملاصقة لبلاد الإسلام، والسبل إليها آمنة مسلوكة وفي المسلمين ناس كثير وقفوا على حقيقة دين المسلمين والنصارى وهم عقلاء ألباء، فلو صح لهم ما ذكرتم من القدح في دين الإسلام لتوصلوا إلى أرض النصرانية واعتصموا بها وجعلوها هجرة دينية [2]. ـ والله أعلم ـ.

ثم لو لم يكن في هذا الجواب إلا معارضة ما نقله المسلمون لما نقلتموه لأوقف دعواكم في صناعة النظر حتى تبدوا مرجحا لما قلتموه أو دليلا آخر.

---

(١) في (ش): أحسمت.

(٢) قلت: لقد كان كثير من أهل الكتاب لا يرغبون بالعيش والبقاء في بلاد المسلمين بديلا، وذلك لما ينعمون به من الأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ومن العدل والحماية، وعدم تكليفهم مالايطيقون أو تعذيبهم إذا قاموا بما فرضه الإسلام عليهم من الجزية وعدم حرب المسلمين أو التعرض لأذاهم أو محاربة دينهم بأي نوع من أنواع الحرب الفكرية أو المادية. وهذا لا يجدونه في غير بلاد المسلمين ولاتحت حكم طغاتهم. وتحدث الأئمة من السلف الصالح عن أحكام الذميين "أهل الكتاب" وموقف الإسلام منهم ومالهم من حقوق في الإسلام إذا كانوا أهل ذمة: مثل الخلال في: "أحكام أهل الملل" وابن القيم في: "أحكام أهل الذمة" وغيرهما.

الثالث: أن ماحكاه هذا المصنف من القصة في التوراة / لا ينافي ما في القرآن ٢٥ش
بل في القرآن [١] زيادة بيان ومناسبة للقضية[٢]، فرد تلك الزيادة لكونها لم تذكر في التوراة جهالة، لأنه إبطال للوجود المحض بالعدم المحض، وذلك عناد أو قصر باع في العلم لما بيناه في الوجه الرابع من الجواب عن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٣] في السؤال قبل هذا، وبيان عدم المنافاة: أما قوله: "إن موسى لما ورد ماء مدين لم
يجد القوم/ يسقون بل طرأوا بعد ذلك". فهذه مناقشة باردة ممن لا يعلم مواقع ١٤٢أ
الكلام خصوصا لغة العرب واتساعها، بل ولا حقائق المعقولات فإن "لما" في لغة العرب أداة زمانية: أي تدل على الوقت والزمان، فإذا قلت: قام زيد لما قعد عمرو، معناه: قام زيد وقت أو زمان قيام عمرو. فقوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾[٤] / ٣٠م
أي: وقت أو زمن ورود ماء مدين ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ ولا شك أن الزمان والمكان يكونان حقيقة ومجازا، فحقيقة المكان: هو الموضع الذي يستقر فيه الجسم، ويحيط به فقط دون ماحوله، كدائرة الكرسي مثلا[٥] لمن جلس عليه، ومجاز المكان: ماقارب مستقر الجسم وما أحاط به من مكانه الحقيقي كالبيت أو الدار بالنسبة إلى الكرسي الذي جلس عليه[٦] وحقيقة زمان الفعل: الجزء الذي يحدث فيه الفعل فقط لا يتناول شيئا مما قبله ولا بعده، كالجزء الذي كان فيه ورود موسى، ومجازه: هو ما قارب ذلك الجزء بساعة أو ساعتين أو أقل أو أكثر بحسب قرب المجاز وبعده وعظم الحقيقة وصغرها.

---

(١) عبارة (بل في القرآن) سقطت من (ش).
(٢) في (ش): القضية.
(٣) سورة يوسف، آيه رقم: ١٠٠.
(٤) سورة القصص، آية رقم: ٢٣.
(٥) في (ش): الكرسي الذي جلس...
(٦) عبارة «مثلاً لمن جلس عليه ومجاز المكان: ما قارب مستقر الجسم وما أحاط به من مكانه الحقيقي كالبيت أو الدار بالنسبة إلى الكرسي» سقطت من (ش).

وإذا ثبت هذا التقرير بان: أن لا منافاة بين قوله في القرآن: ﴿وَلَمَّا وردَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ وبين قوله في التوراة: "فأقبل الرعاة عليهن وأخرجوهن" لجواز أن يكون إقبال الرعاة، ووجدان موسى لهم جميعا في زمن وروده المجازي، الذي هو بعيد زمن وروده الحقيقي.

وكذلك قوله: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ (١) مع قوله في التوراة: "فقام موسى، وحمى الجواري، وسقى نعاجهن" لا تنافي بين الأمرين لجواز أنهما لما أخرجهما الرعاة عن الماء وقفتا تذودان غنمها ـ أي تحفظانها(٢) / من الشرود (٣) ـ فجاء ١٤٣
موسى "فقال ما خطبكما" فأخبرتاه، فحماهما وسقى لهما.

وأما قوله "كن سبعا لا اثنتين" فمن الجائز أن السبع حضرن لكن الذي تولى ذود الغنم منهن اثنتان، والأخر يملأن الحياض، أو ينظرن في مصلحة أخرى للغنم، فوقع الخطاب في القرآن على الذائدتين دون البواقي لأنهن حينئذ أخص بالغنم والبواقي كالأجنبيات منها، لا يعلم في الحال تعلقهن بأمرها (٤).

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٣, ٢٤.

(٢) في (ش) تحفظانهما.

(٣) قال الراغب الأصفهاني: "ذدته عن كذا أذوده، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أي تطردان..." اهـ، قلت: وهي من ذاد الإبل أو الغنم.. يذودها ذودا: أي منعها أو ساقها، أو دفعها، أو طردها. أو كفها. ومعنى الآية: أن المرأتين تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس. وهو أولى ما قيل في معناها.

[انظر لسان العرب ٣/ ١٦٧، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٨].

(٤) هذا من غير دليل والأولى الإجابة بما سبق أن أجاب به في عدم الوثوق بالتوراة المحرفة في هذا وفي غيره، أو أن ذلك مما حرف في التوراة فحرف من اثنتين إلى سبع، فأهل الكتاب اشتهر عنهم ذلك. وتناقض ما بأيديهم من الكتب دليل صحيح على ذلك.

وأما قوله: "لا ذكر لندب شعيب موسى إلى زواج ابنته، ولا لاستئجاره[1] ثماني حجج" فلا ينافي ما في القرآن من ذلك، لأن هذا مجمل وما في القرآن مفصل، ولا تنافي بين المجمل والمفصل. على أن في قوله في التوراة: "أن يثرو قال لبناته: ادعونه يأكل خبزا، فحلف على[2] موسى أن يسكن معه وأخذ سابور[3] بنته زوجة" [4]. تنبيها [5] على ما فصله القرآن إذ معناه: أن يثرو عزم على موسى وأقسم عليه أن يسكن معه. وهذا قريب في العرف من قوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ..﴾ [6] فإن الناس جرت عاداتهم أنه إذا ورد/ ٢٦ش
عليهم غريب فظهرت منه النّجابة والخير والخصال / الحميدة والأفعال النافعة ٣١م
تمسكوا به وحسنوا له المقام عندهم، وعرضوا عليه المسكن والسكن ليرتبط بذلك عليهم فينتفعون به وينتفع بهم. وقد كان "يثرو" أحق الناس بمثل هذا لكبره، وكون بناته حُرما [7]، ضعفا عن القيام بأمر الغنم، وقد كان الرعاة يستضعفونهن.

وأما قوله: "كان اسم أبيهن يثرو لا شعيب"[8]، فقد سبق جواب مثله عند قوله: "كان اسم أبي مريم أم المسيح يعقيم لا عمران"[9] وذلك أن الأسماء ألفاظ تختلف باختلاف اللغات، ومع [10] اتفاق المسميات / لا يضر اختلاف الأسماء. ١٤٤

---

(١) في (ش): ولا استجاره.
(٢) على": ليست في (م).
(٣) في (ش): لسابور.
(٤) انظر سفر الخروج الأصحاح الثاني.
(٥) في (أ): تنبيه. وتنبيها: اسم إن مؤخر.
(٦) سورة القصص، آية رقم: ٢٧.
(٧) الحرم جمع حرمة، وهي المرأة، وما يلزم الإنسان حفظه وصونه. [منال الطالب ص ٢١٤].
(٨) راجع ص: ٣٢٦ والتعليق رقم: ١ فيها.
(٩) راجع ص: ٣٠٣.
(١٠) في (أ): ومنع.

ويدل على هذا ما ذكره "وثيمة بن موسى بن الفرات" في كتاب "قصص الأنبياء" عن محمد بن إسحق [1] قال: حدثني عبدالله بن زياد بن سمعان [2] عن بعض من قرأ الكتب أن أهل التوراة يزعمون أن شعيبا اسمه في التوراة ميكائيل بن جزي وبالسريانية يثرن بن جزي بن يشجر. وبالعربية: شعيب بن جزي بن يشجر ابن لاوى بن يعقوب.

قال: "وحدثني الشرقي ابن القطامي [3] ـ وكان عالما بالأنساب ـ قال: هو

---

(١) أبوبكر ويقال: أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، ويقال: كومان. المُدني المطلبي. من أقدم المؤرخين. يقال: إنه رأى أنسا وابن المسيب وأبا سلمة بن عبدالرحمن. كان من أحفظ الناس بما قاله البخاري وروى له مسلم في المتابعات رحل إلى الإسكندرية والكوفة والجزيرة والري وبغداد وتوفي بها سنة إحدى وخمسين ومائة للهجرة على خلاف في تاريخ وفاته. وقد هذب ابن هشام كتابه السيرة النبوية واختصره.

[انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨ - ٤٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣-٥٥].

(٢) عبدالله بن زياد بن سلميان بن سمعان المخزومي المدني، مولى أم سلمة كان ضعيف الحديث، ويغير في الرواة، ويدعي السماع من بعض الناس ولم يسمع منهم. سمعه ابن اسحاق يقول: "سمعت مجاهد" فقال: "والله أنا أكبر منه ما رأيت مجاهداً ولا سمعت منه" قلت: وهذه الرواية تدل على أنه لا يؤخذ بحديثه لأنه يقول: "عن بعض من قرأ الكتب". ولم تذكر سنة وفاته.

[انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٩ - ٢٢١].

(٣) الشرقي: لقب غلب عليه واسمه: الوليد بن حصين بن جمال بن حبيب الكلبي المشهور بالشرقي ابن القطامي، عالم بالأدب والأنساب وهو من أهل الكوفة، استقدمه أبو جعفر المنصور إلى بغداد ليعلم ولده المهدي الأدب، وله رواية في الحديث لكنه ضعيف. توفي في نحو سنة خمس وخمسين ومائة للهجرة.

[انظر تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٨ - ٢٧٩، والأعلام ٨/ ١٢٠].

يثرون بالعبرانية، وشعيب بالعربية بن عيفاء بن لوثب [1] بن مدين بن إبراهيم".

فتبين بما ذكرناه أن هذا نزاع لفظي لا يقدح في حقائق المعاني [2].

وأما ما ذكر من أن الاستئجار إنما كان في قصة زواج يعقوب لا موسى.

فجوابه: أن احتجاجك في هذا إنما هو بسكوت التوراة عن ذكره في قصة موسى على ما قد ثبت فيها من التحريف والتبديل والزيادة والنقص والتفاوت في النسخ بالنسبة إلى ما بأيديكم وأيدي اليهود وإلى ما في أيدي طوائف اليهود [3]، وذلك استدلال بالسكوت الصرف والعدم المحض، والقرآن جاء بزيادة بيان فليس قدح التوراة في القرآن لمجيئه بالزيادة أولى من قدح القرآن في التوراة لمجيئها

---

(١) في البداية والنهاية (١/ ١٨٥): "بن عيفاء بن ثابت بن مدين...".

(٢) قلت: والاختلاف بين مفسري القرآن وأهل الكتاب في اسم صالح مدين لا يبني عليه تكذيب القرآن الكريم بأي حال، لأن القصة وردت في القرآن دون ذكر اسم أبي البنتين، ولا فائدة في ذكر الأسماء إذا تحقق الغرض من القصة والحمد لله.

(٣) أجمع اليهود والنصارى على القول بوقوع التحريف والتبديل في التوراة، وكل طائفة تجعل مسئولية التحريف والتبديل في عنق الأخرى وسبب ذلك أن نصوص التوراة التي بأيدي النصارى شاهدة بإرسال المسيح ـ عليه السلام ـ في الزمن الذي أرسل فيه، ويزعمون أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادا وحذرا من الاعتراف بإرسال المسيح ـ عليه السلام ـ واليهود يزعمون أن النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ، وأن المسيح إنما يأتي في آخر الزمان، وهو المسيح المنتظر على زعمهم، ويزعمون أن ما بأيديهم من نسخ التوراة موافق لما ادعوه. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣] ثم إن التوراة التي بأيدي اليهود يعترفون بأنها غير منزلة إنما كتبها عزرا من محفوظاته ومحفوظات بعض الكهنة أيام بختنصر، وهم فرق كل فرقة تدعي أن ما بأيديهم هو الحق، فالسامرة مثلا لها توراة يدعون أنها هي الصحيحة دون ما بأيدي سائر =

بالنقص، فما المرجح لأحد القدحين على الآخر؟ على أن ما في القرآن أولى بالاعتبار لأنه أنسب بسياق القضية لمن تدبره، ولأنه أقرب عهدا بالظهور من التوراة[1]، وأبعد عن التحريف والنقل من لغة إلى لغة، ومن ترجمة إلى ترجمة، والمسلمون أشد عناية بحفظه من أهل الكتابين بحفظهما.

= اليهود. وفي الأمر ما هو أغرب من ذلك، فاليهود يدعون أن الله تعالى أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ وهو بطور سيناء نوعين من الوحي: الأول: الشريعة المكتوبة "أسفار التوراة" والثاني: الشريعة المكررة، أو التعاليم الشفهية. وهذه سرية في زعمهم تتضمن التفسير الصحيح الذي يعنيه الرب سبحانه ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة في أسفار التوراة. كما يزعمون أن هذه التعاليم تنوقلت شفاها عن موسى ـ عليه السلام ـ عبر أربعين جيلا حتى انتهت إلى يهوذا هاناسي، فدونها خشية الضياع وسميت: "المشناة" أي: المعرفة. ثم شرح الأحبار المشناة في أورشليم وبابل وسميت الشروح: "الجمارا" أي الشرح أو الإكمال. ومن المتن وشرحيه تكون ما يسمى التلمود الأورشليمي والتلمود البابلي، على أن من يحمل كل منها يرى أنه هو الصحيح وأن الآخر باطل. فهذا التعدد دليل على التحريف والتبديل والافتراء على الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة، آية: ٧٩) وقد بين كثير من العلماء تناقض هذه الكتب والأناجيل التي بأيدي النصارى. [انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٩١-١٩٦، ومعركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٣٦ - ٣٨، وإفحام اليهود ص ١٣٥-١٤٥، ومقامع هامات الصلبان "بين المسيحية والإسلام" ص ١٧٤-١٩١].

(١) من حكمة الله تعالى أن بعث في كل أمة رسولا، فإذا مات واندثرت شريعته بعث رسولا آخر فتكون الشريعة المتأخرة ناسخة للمتقدمة وهذا نلزم به النصارى حيث يدعون هم أن اليهود مخطئون في دعواهم أن شريعة موسى ـ عليه السلام ـ لم تنسخ ولا تنسخ ويثبتون النسخ ـ وإن كانوا ينكرون نسخ شريعة عيسى ـ عليه السلام ـ فكما أن الإنجيل عند النصارى نسخ بعض أحكام التوراة فكذلك القرآن كان ناسخا لهما جميعا لتأخره عنهما.

ثم نقول: ما المانع من أن تكون قصة يعقوب وموسى في زواجهما اتفقتا على صفة واحدة / كما اتفق لإبراهيم وإسحق، في أن كل واحد منهما لما دخل أرض "أبيمالخ" [1] / ملك فلسطين [2] ادعى أن زوجته أخته لجمالها، خشية أن يغلب عليها [3]. وقد صرحت بذلك التوراة. لكن اتفق أنها شرحت قصة يعقوب بأبسط مما شرحت قصة موسى.

٤٥أ

٣٢م

---

(١) قيل: اسمه: "عمرو بن امرئ القيس بن سبأ" ملك مصر، وقيل: صادوق وكان على الأردن، وقيل: سنان بن علوان بن عنيد بن عريج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح، وقيل إنه أخو الضحاك الذي ملك الأقاليم.
[انظر فتح الباري ٦/ ٣٩٢، الأنس الجليل ١/ ٣٤].

(٢) الأرض التي هاجر إليها إبراهيم ووقعت له ولسارة القصة فيها قيل: إنها مصر، وقيل: إنها بعلبك. وقيل غير ذلك، والأشهر أنها مصر. قلت: والذي يظهر من كلام الطوفي أن الأرض التي هاجر إليها إبراهيم وإسحق واحدة وأن الملك واحد ـ والله أعلم ـ (انظر فتح الباري ٦/ ٣٩٢، والأنس الجليل ١/ ٣٤).

(٣) قصة ادعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن زوجته سارة أخته هي أنه "قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس. فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي. فإنك أختي في الإسلام. فإني لا أعلم في الأرض مسلما غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتي بها. فقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى الصلاة. فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة..." الخ القصة. [انظر صحيح البخاري كتاب البيوع، باب شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه، وكتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، وكتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿ واتخذ الله إبراهيم... ﴾ وغيرها من المواضع فيه. وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ١٥٤، ومسند أحمد ٢/ ٤٠٤].
أما قصة إسحق فلم أعلم بعد البحث أنه ورد في ذلك شيء. ولعل الطوفي يشير إلى ما في سفر التكوين الأصحاح السادس والعشرين من أن اسحق ذهب إلى أبيمالخ ملك الفلسطينيين في جرار. وسأله أهل المكان عن امرأته رفقة ـ أو ربقة ـ فقال هي أختي لأنه خاف أن يقتل من أجل زوجته لأنها كانت حسنة المنظر... الخ القصة. ـ والله أعلم ـ .

[تناقض كتب النصارى]

ثم بعد هذا كله نقول لهذا النصراني: الخلاف والتناقض الذي أوردته علينا بتقدير ثبوته هو في كتابين لملتين، وهما التوراة والقرآن، ولا شك أن في إنجيل لوقا [1] في الفصل الثاني والثلاثين [2]، أن يوحنا قال للمسيح: "يا معلم رأينا إنسانا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا. فقال: لا تمنعوه، لأن كل من ليس عليكم فهو معكم".

وفي إنجيل مرقس [3] هذه الحكاية بعينها، وأن المسيح قال فيها: "كل من ليس معنا فهو علينا" [4] وهذا تناقض بيّن.

وبيانه: أن كل واحد من الناس:/ إما أن يكون معك أو عليك، أو لا معك ٢٧ش

---

(١) اسم لاتيني ربما كان اختصارا لاسم "لوقانوس" وهو تلميذ بولس عدو النصارى الذي أصبح رسولا لهم، ولوقا من أهل انطاكية لم ير المسيح وليس من الحواريين ولا من تلاميذهم كان طبيبا. وقيل: مصورا. كتب انجيله باليونانية كرسالة إلى صديق له في مصر. فيما بين عام ٦٠-٧٠.

[انظر مقدمة انجيله، وتحقيق تاريخ الأناجيل للدكتور الفرت ٣٦-٣٧. ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٥٩-٦٠، والفصل ٢/ ٨٩].

(٢) في التراجم الحديثة: الأصحاح التاسع. فقرة (٤٩-٥٠).

(٣) يقال إن اسمه: يوحنا وأن مرقس لقب. ومعنى مرقس. مطرقة، وهو من السبعين الذين يقال إن المسيح اختارهم، وأرسلهم ليعلموا المسيحية، وليس كذلك، وقد طاف البلاد داعيا ثم استقر في مصر وقد كان يهوديا ثم تتلمذ على يد بطرس والف انجيله لطلب أهل رومية كما يقال. مات مقتولا في الإسكندرية سنة ٦٨م. [انظر نظم الجوهر لابن البطريق ص ٤٤، ومحاضرات في النصرانية ص ٥٥، وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٤، والفصل ٢/ ٨٩].

(٤) إنجيل مرقس الأصحاح التاسع.

ولا عليك، فالطرفان[1] حكمهما معلوم. أما الواسطة وهي الذي لا لك ولا عليك فإنها [2] على لفظ لوقا: تكون لك، لأنها ليس [3] عليك، وعلى لفظ مرقس تكون عليك لأنها ليس [3] لك، فهذا تناقض في انجيلكم، وهو كتاب ملة واحدة، بعضه حجة على بعض، والقدح في بعضه قدح في كله فما كان جوابك عن هذا التناقض الذي في الإنجيل، فهو جوابنا عن التناقض الذي بين التوراة والقرآن[4]. ونكون قد سامحناك في هذا، لأن ما أوردناه عليك من تناقض كتابك وارد عليك ولازم لك، وما أوردته أنت علينا من تناقض التوراة والقرآن ليس لازما لنا، لأنا نحن نقول: القرآن حق وصدق، والتوراة / التي احتججت علينا بها ـ لا ١٤٦
أقول التي أوتيها موسى ـ كذب وزور، ومحال وافتراء على الله ورسله [5]. وأنت لا يمكنك أن تقول: إن إنجيل لوقا حق وصدق، وإنجيل مرقس كذب وزور، أو بالعكس، لأن أناجيلكم [6] الأربعة هي كتاب واحد وموضوعها واحد، وإنما

---

(١) في ش: إما إن يكون معك لا عليك والطرفان.

(٢) في (ش): وإنها.

(٣) هكذا في النسخ الثلاث، والأصح: ليست.

(٤) التناقض بين التوراة التي بأيدي أهل الكتاب والقرآن تناقض بين محرف مبدل مكتوم بعضه وآخر صحيح منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد، بخلاف التناقض بين الأناجيل أو بين الانجيل والتوراة لأن هذا بين كتب محرفة مغيرة مبدلة قد عبثت بها أيدي اليهود والنصارى.

(٥) في (ش) ورسوله. قلت: قال الله تعالى عنهم: ﴿ وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٨].

(٦) في (ش) إنجيلكم.

اختلفت بالزيادة والنقص والرواية بالمعنى، ومافيها من الاختلاف والتناقض.

فإن قلت: إن الذي أوردته عليّ من تناقض إنجيل لوقا وإنجيل مرقس ليس تناقضا في الأصل، بل هو من قلم الناسخ فهو خطأ في صورة الخط، لا في حقيقة النبوة المسيحية[1].

قلت: هذا بعينه جوابنا عما أوردته من تناقض التوراة والقرآن في قصة موسى، وهو أن نضيف الخطأ إلى قلم الناسخ وصورة الخط في التوراة وهي أولى بذلك من القرآن لتقادم عهدها وتغير التراجم واللغات فيها، بل وأولى من الإنجيل لأنها قبله.

فإن قلت: أنا ما أوردت تناقضا بين التوراة والقرآن، بل كذبت القرآن بالتوراة/. ٣٣م

قلت: هذا هو معنى التناقض. ثم جوابك ما سبق من أنه ليس تكذيب القرآن بالتوراة أولى من تكذيب التوراة بالقرآن، بل هذا أولى لما بيناه غير مرة، والله أعلم.

هذا تفصيل جوابه على ما ذكر هو في كتابه. [أما ما رأيناه في التوراة مما يدل على وفاق القرآن نذكر [2] إن طرقه ـ إن شاء الله تعالى [3]].

---

(١) في (ش): المستحبة.

(٢) هكذا في (أ) ولعل الصحيح: "فنذكره ان طرقه...".

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من (م)، (ش).

[إبطال دعوى صلب المسيح - عليه السلام]

قال: "وفي سورة النساء بعد ذكر اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ... ﴿١٥٧﴾﴾ [1] وذكر كلاما لابن عطية في تفسير قوله: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وأن معناه أن شبه المسيح ألقي على / صاحب له يقال له: سرجس [2] باختياره على أن يكون رفيق المسيح في الجنة [3]. ١٤٧أ

قال: "ويتمسك المسلمون بهذا في القطع على أن المسيح ما صلب. وذلك باطل بالتواتر عند الأمتين: اليهود والنصارى. ومؤرخي المجوس على صلب المسيح وبنص الكتب المقدسة".

وذكر كلام أشعياء ودانيال، وما في إنجيل متى مما يدل على ذلك وأن المسيح صلب ومات وقبر وقام حيا في اليوم الثالث وظهر لتلاميذه مرارا كثيرة.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٥٧.

(٢) لم أجد له ترجمة إلا ما ذكر أنه من الحواريين ومن أحدثهم سنا. أو أنه شاب حضر معهم وليس منهم. وقد ذكر الإمام الطبري في تاريخه أنه كان فيمن ذكر رجل صالح من أهل فلسطين اسمه جرجس، وأنه أدرك بقايا من حواري عيسى ـ عليه السلام ـ، وله عنده ترجمة طويلة. [انظر تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٤-٣٦]، وقد ذكر ابن تيمية في الجواب الصحيح ١/ ٣١٩، ٣٢٠: أن جرجس أحد من تعظمه النصارى. ولم يذكر سبب التعظيم.

(٣) انظر تفسير ابن عطية ٤/ ٣٠٢-٣٠٣. وتفسير الطبري ٦/ ١٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٧٦. وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا عن ابن عباس وصحح سنده ابن كثير. [انظر منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ص ٦٠-٦١].

ولما تكلم "السّهروردي"[1] في كتاب "التنقيحات" في التواتر وشروطه في أصول الفقه تعرضت[2] له قصة الصلب / فقال: "ولو لم يصلب عيسى لم يبق على المحسوسات اعتماد". ٢٨ش

قلت: هذا حاصل ما أورده على هذا السؤال.

والجواب:

أما الآية الكريمة المخبرة بنفي قتل المسيح وصلبه فنعتقد أنها حق وصدق ونتمسك بها على القطع بذلك لأنها عندنا صادرة عن الحكمة والعلم الإلهيين[3] بواسطة العصمة النبوية وهي منقولة إلينا بالتواتر.

وأما ماحكاه عن "ابن عطية" في تفسير قوله: ﴿شبه لهم﴾: فذاك مما لم يختص بنقله "ابن عطية" بل ذكره جميع مفسري القرآن الكريم[4] قديمهم وحديثهم على اختلاف بينهم في ذلك [5]. فقال ابن سمعان، ومحمد بن اسحق: "إن

---

(١) الفيلسوف الملقب بشهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك، يوصف بأنه أحد الأذكياء. برع في علم الكلام والجدل والمناظرة مستهزئا بالعلماء ظهر للعلماء منه زندقة وانحلال، فكتبوا بذلك إلى صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ فأمر بقتله سنة ٥٨٧هـ.

[انظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/ ٢٩٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٤، والأعلام ٨/ ١٤٠].

(٢) في (ش): فعرضت.

(٣) لو قال ـ رحمه الله ـ : "لأنها عندنا كلام الله الموحى به إلينا بواسطة الرسول ـ عليه السلام ـ وهي منقولة إلينا بالتواتر" لكان أولى وأصح من هذا التعبير الكلامي. ـ والله أعلم ـ.

(٤) "الكريم" ليست في (م) و (ش).

(٥) انظر في ذلك تفسير ابن عطية ٤/ ٣٠٢-٣٠٣، وتفسير الطبري ٦/ ١٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٧٦.

الـذي ألقي عليـه شـبه عيسى هو رجل من أصحـابه يقال له"سرجس [1]" وقال وهب بن منبه [2] : " هو يهوذا [3] الذي أسلمه، ودل عليه، وهو الذي اسمه في الإنجيل: يهوذا الاسخريوطي [4]".

قلت: وهذا أشبه. لأن عـادة الله ـ سبحانه ـ جرت في أنبيـائه أن يرد كيد من عاداهم عليه / ، كنوح إذ كاده قـومه فنجا وغرقوا [5]. وإبراهيم إذ ألقي في ١٤٨أ

---

(١) في النسخ الثلاث: جرجيس. ومـا أثبته مـن رواية الطبري عن ابن اسحـاق من طريقين، وهو الصواب وقد تقدم ذكره، ثم إن جرجيس ذكر أنه لم يدرك عيسى ـ عليه السلام ـ وإنما جرجيس هذا أدرك بعض الحواريين فقط.

[انظر تفسير الطبري ٦/ ١٥، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٧٦].

(٢) أبوعبدالله: وهب بن منه بن كـامل بن سيج بن ذي كبار الأبناوي اليمـاني الذماري الصنعاني التابعي الفاضل العلامة الإخباري القصـصي أخو همام، ومعقل وعيلان أبناء منبه، ولد في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين. روايته للمسند قليلة وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب. توفي سنة عـشر ومائة، وقيل: غيـر ذلك. [انظر ترجمته في سيـر أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤-٥٥٦، طبقات ابن سعد ٥/ ٥٤٣، البداية والنهاية ٩/ ٢٧٦، وغيرها].

(٣) في (م): يوذا.

(٤) هو الذي يدعي النصارى أنه من الحواريين، تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ الإثنى عشر، وأنه ارتد ودل على المسيح ـ عليه السلام ـ حين خرج اليهود لطلبه ليـقتلوه، وكانوا لا يعرفون المسيح فقال يهوذا: الذي أقبله فهو يسوع، فإذا فعلت فـأنتم وذاك، فقبضوا على المسيح ـ عليه السلام ـ على زعم النصـارى وصلبوه. [انظر الفصـل ٢/ ٨٩، وإنجيل متى الأصـحاح: ٢٦، وإنجـيل مرقس الأصحاح: ١٤، وإنجيل لوقا الأصحاح: ٢٢].

(٥) قال الله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. [سورة الفرقان: ٣٧] وسورة نوح بأكملها توضح هذا الأمر.

النار فكانت عليه بردا وسلاما ثم هلك فرعونه [1]. وموسى إذ عاد مكر فرعونه عليه فأغرق [2].

وقارون إذ قذف موسى بالزنا ليقتله، أو يغض منه فخسف به [3]. وعيسى مكر به يهوذا فعاد مكره عليه. ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [4] إذ قال الله سبحانه له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ ٣٤م
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [5] وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ

---

(١) قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾. [سورة الأنبياء: ٥١-٧٠].

(٢) قال الله تعالى: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون، فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم﴾ [سورة الذاريات: ٣٨-٤٠] والآيات في هذا كثيرة جدا.

(٣) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ...﴾إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [سورة القصص: ٧٦-٨١]. وروي عن ابن عباس في تفسير هذه الآيات قال: "لما أمر الله تعالى برجم الزاني عمد قارون إلى امرأة بغي وأعطاها مالا وحملها على أن ادعت على موسى أنه زنى بها وأنه أحبلها فعظم على موسى ذلك وأحلفها بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت. فتداركها الله فقالت: أشهد أنك بريء، وأن قارون أعطاني مالا، وحملني على أن قلت ما قلت، وأنت الصادق وقارون الكاذب، فجعل الله أمر قارون إلى موسى وأمر الأرض أن تطيعه. فجاءه وهو يقول للأرض: يا أرض خذيه... وهي تأخذه شيئا فشيئا وهو يستغيث يا موسى إلى أن ساخ في الأرض هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه".

[انظر تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٠-٣١١، والبداية والنهاية ١/ ٣١٠].

(٤) "وسلم": ليست في: (م)، (ش).

(٥) سورة الأنفال، الآية رقم: ٣٠.

إلاَّ بأَهْلِه ﴾ [1] وقال في قوم صالح حين أرادوا تبييته [2]: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾ [3].

وأما قوله: "إن ذلك باطل بالتواتر عند الأمتين اليهود والنصارى ومؤرخي المجوس".

فجوابه: أن المدعى تواتره عند اليهود والنصارى: ما هو صلب إنسان مطلق؟ أو صلب إنسان مقيد بأنه [4] المسيح؟ الأول: مسلم ونحن أيضا نوافق عليه وهو جرجيس، أو يهوذا [5] كما سبق عن ابن اسحق ووهب. والثاني: ممنوع وهو [6] محل النزاع. وسنبين مستند المنع في آخر هذا الجواب [7].

وأما مؤرخو المجوس فالجواب عن تأريخهم بذلك من وجوه:

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) التبييت: قصد العدو ليلا. [انظر مفردات الأصبهاني ص: ٥٩، وتفسير القرطبي ١٣/ ٢١٦].

(٣) سورة النمل، آية: ٥٠.

(٤) في (م): كأنه.

(٥) في (م) "أيوذا" وفي (ش) يودا وهي في (أ): مصححة من "يوذا" إلى يهوذا.

(٦) في (م): فهو.

(٧) وقد استوفى ذلك أيضا أبو عبيدة الخزجي في مقامع هامات الصلبان "بين الإسلام والمسيحية" ص ١٩٢-١٩٦، والإمام القرافي في الأجوبة الفاخرة الباب الثاني: السؤال الثاني.

أحدها: أنهم لم يكونوا حاضري قضية المسيح ولا أحد منهم. فمدار اعتقادهم صلبه على خبركم وخبر اليهود، ولا حجة فيه؛ لأن الأمر اشتبه على من حضر القصة بأن أظلمت الأرض ظلمة شديدة، صرح بها الإنجيل [1] وغيره ففي تلك الظلمة أطلقت الملائكة المسيح وربطت الذي ألقي عليه شبهه مكانه فاعتقدتم أنتم: أن المسيح صلب. وقوّى ذلك الاعتقاد / في نفوسكم: حنقكم على اليهود، ١٤٩أ
وحب تقرير الظلم [2] والعدوان عليهم، واعتقدت ذلك اليهود كما اعتقدتموه، وحملهم على ذلك الاعتقاد: حب الغلبة والظفر بمن اعتقدوه عدوا لهم ولو وفّقوا لتابعوه. فعليهم وعليكم من الله ما تستحقونه.

الوجه الثاني: أنا أجمعنا وإياكم [3] على ضلال المجوس، وسخافة عقولهم حيث عبدوا النار التي يوجدها الحطب، ويعدمها الماء والتراب، وانقطاع مادة الوقود فعقول هذا شأنها كيف تكون حجة على العقلاء، وإن كانوا عندكم عقلاء فاعبدوا النار معهم/ وإذا كنتم أنتم أصحاب الدعوى ندعي نحن أن الأمر اشتبه ٢٩ش
عليكم والتبس، فما الظن بقوم جهال أجانب من القضية سمعوكم واليهود [4] ترجفون بشيء فقلدوكم فيه، وتابعوكم عليه، كما قلدوا آباءهم في عبادة النار.

---

(١) انظر إنجيل متى الأصحاح السابع والعشرين، وإنجيل مرقس: الأصحاح الخامس عشر، وإنجيل لوقا: الأصحاح الثالث والعشرين.

(٢) في (أ): تقرير العلم.

(٣) هكذا في النسخ الثلاث والأصح: "أنا أجمعنا نحن وأنتم على ضلال المجوس".

(٤) كلمة: "اليهود" ليست في (م).

الوجه الثالث: أن المجوس أعداء للمسلمين [1] والنصارى واليهود مثلكم. وشأن العدو أن يطلب لعدوه العثرات، ويتبع منه العورات، ولا شك أنهم تتبعوا عثراتكم وعثرات اليهود فوجدوها، أما عثراتكم فدعواكم التثليث وإلهية المسيح، وغير ذلك من سخافاتكم. وأما عثرات اليهود فأكثر من أن تحصى على ما دلت عليه كتب الأنبياء المتقدمين والمتأخرين كقتلهم الأنبياء بغير حق وتعديهم حدود
٣٥م الله، وإباقهم عن الانقياد / له ولرسله [2] وكيدهم للمسيح[3] وتعصبهم عليه مع اظهاره العجائب والبينات. ولمعصيتهم الله ـ سبحانه ـ سلط على أوائلهم فرعون سامهم سواء العذاب [4] خمسمائة عام [5] حتى استنقذهم الله بموسى، ثم كان له
١٥٠أ معهم / من التعب ما لا يخفى. وأما المسلمون فلم يجدوا لهم عثرة يقدحون بها فيهم، فوافقوكم [6] على صلب المسيح ليوهموا بذلك القدح في القرآن كيدا للمسلمين ولو لم يكن إلا مجرد احتمال هذا القصد منهم كان ذلك تهمة لهم تقتضي عدم الالتفات إلى مقالهم.

---

(١) في (م): المسلمين.

(٢) قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (سورة البقرة: ٦١] والآيات فيما ذكره الطوفي كثيرة.

(٣) في (ش): المسيح.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[سورة البقرة: ٤٩].

(٥) لا دليل على حياة فرعون هذه المدة، فلعل المقصود جميع الفراعنة، فرعون موسى ومن قبله، أو أن الناس في ذلك الزمن كانوا يعمرون فالله أعلم بذلك.

(٦) في (أ): فقوكم وفي (ش): فوافقوهم.

وأما ما ذكره من نص الكتب المقدسة ككتاب "أشعياء" و "دانيال" وإنجيل متى فجوابه من وجوه:

أحدها: الجواب العام. من عدم الوثوق بهذه الكتب لتقادم عهدها ونقلها من لغة إلى لغة وتهمة اليهود والنصارى عليها خصوصا الإنجيل فإنا قد بينا في التعليق عليه [1] ما يقيم عذرنا في عدم الوثوق به من الاختلاف والتناقض.

[الوجه الثاني: أن ما ذكره من مصحف أشعياء هو قوله في صفة المسيح: يقاد إلى القتل] [2] مثل الضاينة [3] ويصمت كالخروف [4] بين يدي الجازر ولم يفتح فاه [5]" ولا حجة فيه على وقوع القتل بل على القود إلى القتل، ونحن نقول به: فإنهم قادوه ليقتلوه فخلصه الله بما ذكرناه، وكم من قيد إلى القتل ثم نجا فلم يقع به القتل.

نعم قد ذكر أشعياء في الأصحاح الخامس والعشرين من مصحفه [6] في النبوة في المسيح وصلبه مع الأئمة، واحتماله للذنوب ما هو أنص من هذا في قتل المسيح وهو قوله: ـ وهو يعني المسيح المضروب في سبب ذوات [7] الله المتواضع

---

(١) أي في كتابه: تعاليق على الأناجيل، خ.

(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ).

(٣) الضاينة: الأنثى من الضأن. والمعنى: لين كأنه نعجة. [انظر لسان العرب ١٣/ ٢٥١، ٢٥٢].

(٤) الخروف: ذكر الضأن، قيل: هو ما دون الجذع من الضأن. وقيل: ولد الفرس الذي ولد في فصل الخريف. والمراد به هنا الأول. والله أعلم. [انظر لسان العرب ٩/ ٦٦].

(٥) انظر الأصحاح الثاني والخمسين من مصحف أشعياء.

(٦) في الثاني والخمسين حسب التراجم الحديثة.

(٧) هكذا في النسخ الثلاث. والحق أن يقال: "في سبب ذات الله".

من أجلها: "يقتل من أجل إثمنا، ويتواضع من أجل إثمنا وعليه أدب سلامتنا[1]، لأن بجراحه نبرأ كـلّنا نهبا مثل الغنم وأقبل كل إنسان منا إلى جـانبه، والرب لقّاه خطايانا أجمعين دنا متواضعا ولم يفتح فـاه، وسيق مثل الحمل للذبح وكان صامتا كالنعجة قدام جازرها ولم يتفح فاه وسيق من الحبس إلى القضاء.

ومن يقدر أن يحدث بما لقي من خفيّة [2] / لأنه رفع من أرض الحياة ودنا منه قوم من أئمة شعبي [3] وأذن المنافق بدفنه". ١٥١

قلت: فهذا فيه تصريح بالإخبار بقتله ودفنه. لكن عليه اشكالان:

أحدهما: أن في أول هذا الفصل بعينـه، وهو النبوة في المسيح: "ان عبدي ليفهم ويرتفع ويتعظـم ويتعالى جدا، حتى يتعجب منه/ كـثير من الناس" وساق صفاته إلى أن اتصل [4] بذكر قتله ودفـنه، فهذا تصريح / بأن المسيـح عبد الله، وأنتم تقولون: هو اللـه، أو ابن الله، كما صـرح به الإنجيل. فإن قلتم بمجـموع الأمرين: أعني عبوديته وقتله، فقد خالفتم دينكم في القول بالعبودية. وإن ألغيتم الأمرين ولم تعتدوا بهما فقـد سقط عنا اشكال الإخبار بالقتل، وإن قلتم بأحدهما دون الآخر وهو الـقتل كان ذلك تـرجيحـا من غيـر مرجح، واحـتجاجـا بكلام تقدحون في جزءه ثم نقابلكم بمثله، فنقول بالعبودية دون القتل. ٣٠ش ٣٦م

---

(١) في التراجم الحديثة: "تأديب سلامنا عليه".

(٢) في (م): حقيه، وفي (ش)، (أ): حقبه.

(٣) في (أ): شعبا.

(٤) هكذا في النسخ الثلاث. والمعنى: إلى أن وصل إلى ذكر قتله. . . .

فإن قيل: ذكر العبودية حق باعتبار ناسوت المسيح، وإلهيته حق باعتبار لاهوته فكلا الأمرين صحيح. فنقول بهما ويثبت ما ادعيناه من قتله.

قلنا: هذا هوس، وأنتم عند التحقيق عاجزون عن إثباته. وقد وجهت ذلك في التعليق على الإنجيل [1].

الإشكال الثاني: أن أشعياء قبل المسيح بخمسمائة عام أو نحوها وهو يحكي ما جرى للمسيح بلفظ الماضي حيث قال: "دنا متواضعا، ولم يفتح فاه، وسيق مثل الحمل للذبح، وكان صامتا كالنعجة قدام جازرها" ونحو ذلك من صيغ الماضي وحقه أن يذكر بصيغة المستقبل. وهذا يدل على اضطراب هذا الإخبار، وكونه مدخولا [2].

---

(١) انظر كتابه تعاليق على الأناجيل ص ٨-١٤، خ. يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الحديث عن هذه المسألة في الجواب الصحيح ١/ ٤٧٥، ٤٧٦ بتحقيق د. علي حسن عسيري: "وقولهم إنه إله بلاهوته، ورسول بناسوته، كلام باطل من وجوه: منها أن الذي كان يكلم الناس إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله، بطل كونه رسول الله، وإن كان رسول الله بطل كونه هو الله... الوجه الثاني: أن خطابه خطاب رسول ونبي، كما ثبت ذلك عنه في عامة المواضع. الثالث: أن مصير الشيئين شيئا واحدا مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل... الرابع: أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئا واحدا فيكون الإله هو الرسول والرسول هو الإله، إذ هذا هو هذا" اهـ. مختصرا.

(٢) ويمكن أن نزيد على ذلك: أن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متضافرة دالة على عدم صلب عيسى ـ عليه السلام ـ بخصوصه، كما ألمح الطوفي في أول الجواب، والنصوص من تلك الكتب كثيرة ذكر القرافي ـ رحمه الله ـ منها ثلاثة نصوص كأمثلة لذلك. [انظر الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٤-٢٥٦ بتحقيق الباحث. وانظر إنجيل لوقا الأصحاح التاسع والأصحاح الثالث والعشرين، وإنجيل متى الأصحاح السابع والعشرين، وإنجيل مرقس الأصحاح الخامس عشر، وإنجيل يوحنا الأصحاح التاسع عشر].

قلت: لكن عند الإنصاف، هذا الإشكال / لا يتجه، لأن اخبارات الله ـ سبحانه ـ كثيرا ما جاءت عن المستقبل بصيغة الماضي، وقد وقع مثله في القرآن كثيرا. والمعول عليه في الجواب عما تضمنته الكتب القديمة من قبل المسيح هو الوجه الأول، وهو القدح في صحتها، ودعواهم تواترها ممنوعة وإثباته عليهم شديد [1].

الوجه الثالث: أن هذا الخصم قدح في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ... (١٠٠)﴾ [2].

وفي قصة زواج موسى على أن يؤجر نفسه ثماني حجج بأن ذلك لم يذكر في التوراة فنحن أيضا نقدح في دعواه صلب المسيح وقلته بعين ذلك، وهو أنه لم يذكر في التوراة، حيث جمع "إسرائيل" [3] بنيه بمصر قبيل موته، وأخبرهم بما

---

(١) قلت: دعواهم التواتر باطل لأنه جهل بحقيقة التواتر الذي تميزت به أمة محمد ﷺ. لأنه: ما أخبر به قوم يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب وأسندوه إلى شيء محسوس* وشروطه: أن يكون المخبر عنه أمرًا محسوسا باشره المخبرون به لا غيرهم. واستواء الطرفين والواسطة. وهذا لم يتوفر عند النصارى واليهود والمجوس في هذه القضية. لأن أصلهم في الإخبار عنها ـ وهم الطرف الأول ـ لم يكونوا عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب. لأن الحواريين فروا عنه حين قاده الوزعة من اليهود للقتل ـ على زعمهم ـ ثم إن المباشر للصلب هم الوزعة وأعوان الولاة. وفي العادة أنهم يكونون نفرا قليلا كالثلاثة ونحوها فيجوز عليهم الكذب، مع أنهم أعداء نبي لا يصدقون فيما يقولونه في أمره. وبذلك انخرمت الثقة بالأصل فلم نثق بما يتفرع عنه. وبهذا يبطل ادعاؤهم التواتر. من اليهود والنصارى والمجوس. [انظر في هذه المسألة بتوسع: الأجوبة الفاخرة للقرافي ص ٢٤٥-٢٥٣] بتحقيق الباحث.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٣) يعقوب عليه السلام.

يكون لكل منهم في مستقبله.

فإنه تغيظ [1] على "روبيل" [2] وقال له: "نجست فراشي" يعني كونه وطئ سرية أبيه ـ وقال: "لا يفقد الملك والنبوة والكهنوت من سبط [3] يهوذا ومن بين فخذيه. حتى يأتي من هي له، وإياه تنتظر الشعوب. الرّابط في الشجرة جحشه [4]. وفي القضيب [5] ابن أتانه [6] تحمر من الخمر عيناه، وأشد بياضا من اللبن أسنانه" [7].

وهذه صفات المسيح بلا شك [8]، ولم يذكر أنه يقتل ولا يصلب. فإن قيل: ثبت قتله بزيادة مقبولة من الأنبياء كما ذكر عن شعياء ودانيال والإنجيل.

---

(١) تغيظ: أي غضب. [انظر مختار الصحاح ص ٤٨٧].

(٢) أحد أبناء يعقوب - عليه السلام - الأحد عشر كما في كتب النصارى واليهود.

(٣) السبط: ولد الولد مهما نزل. كأنه امتداد للفروع [انظر المفردات للراغب ص ٢٢٢].

(٤) الجحش: ولد الأتان، أو ولد الحمار الوحشي والأهلي. [انظر المصباح المنير ١/ ١١٢، ولسان العرب ٦/ ٢٧٠].

(٥) في (أ): "... جحشه في القضيب ابن أتانه...". والقضيب: نوع من الشجر ينبت في مجامع الشجر، يتخذ منه القسي والأسهم. [انظر لسان العرب ١/ ٦٧٩-٦٨٠].

(٦) أتانه: أنثى الحمار. [انظر لسان العرب ١٣/ ٦، والمصباح المنير ١/ ٧].

(٧) انظر أول الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين.

(٨) هذا على اعتقاد النصارى واليهود الذين يلفقون بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ ما لا يليق بهم، وإلا فإن وصف المسيح ـ عليه السلام ـ بهذا لا يليق.

قلنا: ورفع أبوي يوسف على العرش وايجار موسى نفسه ثماني سنين
٣٧م ثبتت [١] بزيادة مقبولة [٢] / على لسان محمد في القرآن. وهي زيادة مقبولة [٢].

فإن قيل: لكن زيادة قتل المسيح ثبتت على لسان من اتفقنا على نبوته وصدقه، وزيادة رفع أبوي يوسف، وايجار موسى نفسه ثبتت على لسان من
٥٣أ اختصصتم / باعتقاد نبوته، وخالفناكم نحن فيها، ولم نوافقكم عليها.

٣١ش قلنا: هو كذلك لكن عدم موافقتكم على صدقه لا يقدح في نبوته وصدقه/ لأنكم أنتم وافقتم اليهود على صدق موسى والتوراة، وخالفوكم في صدق المسيح والإنجيل. ولم يكن ذلك قادحا في صدقهما، باتفاق منا ومنكم.

فإن كان عدم وفاقكم لنا على صدق محمد قادحا فيه، لزمكم أن يكون عدم وفاق اليهود لكم على صدق المسيح قادحا فيه، والجواب مشترك [٣].

وأما ما ذكر عن "السّهروردي" من [٤] قوله: "لو لم يصلب عيسى، لم يبق على المحسوسات اعتماد" وهو من أكابر فلاسفة الإسلام. فليس صحيحا عن

---

(١) في (م): ثبت.

(٢) هكذا في النسخ الثلاث، والأبلغ حذف "مقبولة" الاولى. أو حذف عبارة: "وهي زيادة مقبولة".

(٣) قلت: قولهم في الإتفاق على صدق عيسى ـ عليه السلام ـ واختصاصنا بتصديق محمد ﷺ يرد عليه بأننا نحن وإياهم اتفقنا على صدق عيسى ـ عليه السلام ـ فيما جاء به من الله ومما جاء به من الله وجوب التصديق بمحمد ﷺ، ولا يكون اتفاقنا نحن وإياهم إلا على هذا وإذا حصل الاتفاق على ذلك حصل الاتفاق على تصديق محمد ﷺ وإن خالفونا في ذلك فقد كذبوا بعيسى ـ عليه السلام ـ ولم يوافقونا على تصديقه ـ عليه السلام ـ وعند ذلك لا حجة لهم علينا. فهم مكذبون لهما معا.

(٤) في (أ): عن قوله.

السّهروردي. وإنما حكى ذلك حكاية عن بعض من نازع في بعض أحكام التواتر. من نظر ذلك في كتابه وجده، ولم يتفق لي حكاية لفظه [1].

وبتقدير صحته عنه. فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن هذا الرجل المذكور رجل غلبت عليه الفلسفة، ثم انسلخ منها إلى الزندقة [2]، حتى قتل في "حلب" [3] بسيف الشرع، فليس قوله حجة على الله ورسوله، والقرآن وإجماع المسلمين.

وقوله: "كان من أكابر فلاسفة الإسلام" غلط. فإن الفلسفة [4] التي كان يتعاناها [5] هذا وأصحابه ليست من الإسلام في شيء. وكيف يكون من الإسلام ما يقدح فيه، ويقوض مبانيه؟ وإنما الإسلام انقياد واستسلام لأحكام العزيز العلام

---

(١) قلت: وأنا كذلك لم يتفق لي الاطلاع على كتاب التنقيحات ولم أجده حتى أنقل النص منه.

(٢) في (أ): "إلى الزايدقة":

والزندقة: فارسية معربة معناها: القول ببقاء الدهر وعدم الإيمان باليوم الآخر ووحدانية الخالق. [انظر لسان العرب ١٠/ ١٤٧].

(٣) حلب: المدينة المشهورة بالشام ـ سورية الآن ـ سميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان نازلا بها يحلب غنمه في الجمعات، ويتصدق به فتقول الفقراء: حلب. وهو قول فيه نظر، والله أعلم لماذا سميت بذلك. عرفت حلب في التاريخ بالخيرات الواسعة وطيب الهواء. [انظر مراصد الاطلاع ١/ ٤١٧].

(٤) الفلسفة: كلمة أعجمية معناها: الحكمة. فيقال للحكيم فيلسوف، ولكن أصبح المسمى بذلك أهل الحكمة، ومن يقدم العقل على الوحي، ويفسر الحوادث تفسيرا عقليا. وعلى علماء الكيمياء وأهل الطبيعة، وعلى من يتنكر للدين، وتطلق تهكما على من كان شاذ الرأي [انظر لسان العرب ١٠/ ١٤٧، المعجم الفلسفي ٢/ ١٧٣-١٧٤].

(٥) من التعنية وهو طول الحبس، أي حبس نفسه حتى صار حبيسا لها.

[انظر هامش ص: ١٥٦].

وسنة محمد ـ عليه السلام ـ واتباع لا ابتداع. وإنما هؤلاء قوم زنادقة، ينتمون إلى الإسلام لحفظ رياستهم ودمائهم والإسلام فسيح واسع / يقبل[1] منهم الظاهر، والله أولى بالسرائر فهم في الظاهر منه، وفي الباطن منسلخون عنه. ٥٤أ

الثاني: أن قول[2] "السهروردي" إن كان حجة علينا فليكن قول كل من أسلم من النصارى، ثم عاد بالقدح على دين النصرانية حجة عليكم، وإنما تقوم الحجة بقول المعتبرين منا، كالخلفاء الأربعة، والفقهاء السبعة [3]. والأئمة الأربعة أو من هو معتبر في الإجماع من أهل الحل والعقد كما لا تقوم حجتنا عليكم إلا بمن تعتبرون قوله منكم.

الثالث: أن "السهروردي" لم يكن عالما بأصول الشرائع والنبوات على الوجه المعتبر فيها، حتى يكون قوله حجة لها وعليها. إنما كان علمه فلسفة محضة وعقليات صرفة وليس له تصنيف إلا في ذلك كاللمحات والألواح [4] والإشراق[5] وغيرها. وهذه "التنقيحات" لا يعتمد/ عليها من المسلمين في أصول الفقه إلا من هو على طريقه في الانحراف إلى الفلسفة، والخلو من علم النبوة وقد ٣٨م

---

(١) في (ش): فقبل.

(٢) في (أ): "أن قوله".

(٣) الفقهاء السبعة هم التابعون: سعيد بن المسيب بن حزن عالم المدينة المتوفى سنة أربع وتسعين للهجرة، وعروة بن الزبير بن العوام المتوفى سنة أربع وتسعين أيضا، وأبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث المتوفى سنة أربع وتسعين أيضا، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة المتوفى سنة ثمان وتسعين للهجرة، وخارجة بن زيد بن ثابت المتوفى سنة مائة للهجرة، وسليمان بن يسار المتوفى سنة سبع ومائة للهجرة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق المتوفى سنة سبع ومائة أيضا.
[انظر سير أعلام النبلاء ٤/٤١٦، ٤٢١، ٤٣٧، ٤٧٥، وشذرات الذهب ١/١٣٤، ١٣٥، والنجوم الزاهرة ١/٢٢٨].

(٤) الألواح العمادية.

(٥) اسمه: حكمة الإشراق.

رأيتها وهي كثيرة التشكيك، لا يكاد يبني شيئا إلا ويهدمه ولا ينصر قولا إلا ويخذله وأنت أيها الخصم قد قدمت عند ذكرك ضرورة الخلق إلى النبوة ومنفعتها: إن العقل لا يستقل[1] بإدراك الأمور الإلهية بدون تأييد إلهي.

الرابع: قوله: "لو لم يصلب المسيح لم يبق على المحسوسات اعتماد" إن أراد لم يبق عليها اعتماد مع عدم المعارض لها فلا نسلم أن ذلك لازم لعدم صلب المسيح، وإن أراد مع وجود المعارض/ فهو صحيح، فإن مدارك العلم إما حس أو ٣٢ش
عقل أو مركب منهما. وكلها قد تخلف مع وجود المعارض. أما الحس فكما في التخييلات / السحرية والشعبذية وكعدم[2] إدراك الصوت للصمم[3] والريح ١٥٥أ
للخشم[4] والطعم للمرة، واللمس لفساد في آلته، أو لعلة في محله، وأما العقل فكما يعرض للإنسان عند غلبة السوداء [5] أو الحزن أو الفرح المفرطين أو السكر ونحوه من المغيّبات كالنوم والإغماء فإنه يرى الحقائق منقلبة، والأمور مضطربة، وأما المركب منهما فكخبر الواحد إذا كان في طريقه كذاب. وكالتواتر إذا فقد فيه شرط.

---

(١) في (ش): المستقل. (٢) في (ش): لعدم.

(٣) الصّمم: الأصم الذي فقد حاسة السمع [انظر لسان العرب ١٢/ ٣٤٢].

(٤) الخشم: يطلق على من كسر خيشومه، وعلى الداء الذي يأخذ في جوف الأنف فتتغير رائحته، وعلى سقوط الخياشيم وانسداد المتنفس، والذي يصيبه آفة من هذه الآفات لا يكاد يشم شيئا. [انظر لسان العرب ١٢/ ١٧٨-١٧٩].

(٥) السوداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده وهي: الصفراء، والدم، والبلغم والسوداء، وهي عند قدماء الأطباء خليط أسود، وهي عكر الدم الطبيعي وتطلق عند المحدثين على الاضطرابات المصحوبة بالحزن العميق المزمن، والتشاؤم العام الدائم، وهبوط النشاط الحركي، وفقدان الاهتمام بالعالم الخارجي، والأرق، ورفض الغذاء.

[المعجم الوسيط ١/ ٤٦١، والمعجم الفلسفي ١/ ٦٧٦].

وأما البرهان على أن المسيح لم يصلب ولم يقتل فهو: أن قتله إن لم يكن [أشهر] [1] من ولادته من غير ذكر، فهو مثله في الشهرة، ولابد. ثم إن ولادته من غير ذلك لما كان له وجود، تواتر تواترا لم يختلف فيه اثنان[2] منا ومنكم فلما اختلفنا في قتله، دل على أنه لم يبلغ تلك المرتبة من التواتر فلم يثبت بمجرد الدعاوى أو الحجج الضعيفة [3] وإنما كان الأمر في ذلك مشتبها[4] كما نص عليه القرآن فاشتبه عليكم.

يؤكد[5] ذلك: أن المسيح طبق ذكره الآفاق، لما ظهر على يده من الخوارق وقتل مثل هذا لا يقبل مثل هذا النزاع لما يجب له في مطرد العادات من الشهرة والغلبة، وإذا كان يحيى وزكريا دونه في الشهرة بكثير، ثم لم يختلف في قتلهما. فما الظن بالمسيح الذي أجمعنا على أنه أفضل أنبياء بني إسرائيل [6] وأنتم تدعونه إلهاً؟ [7].

---

(١) في (أ): "إن لم يكن اسمه من ولادته..."، وفي (م): "فهو أن يقال إن لم تكن ولادته من غير ذكر فهو مثله في الشهرة" ومكان العبارة في (ش) بياض وما أثبته هو الصحيح والله أعلم.

(٢) في (ش): إنسان.

(٣) عبارة: "أو الحجج الضعيفة" مكررة في (أ).

(٤) في (ش): مشبها.

(٥) في (م): "وكذلك أن المسيح...".

(٦) لا شك أن عيسى ـ عليه السلام ـ من ألو العزم من الرسل وهم أفضل من سائر الرسل، وأنه من أفضل أنبياء بني إسرائيل، ولكن لم أجد دليلا على أنه أفضلهم، فموسى ـ عليه السلام ـ أيضا من أفضل أنبياء بني إسرائيل وأيهما أفضل؟ الله أعلم. ونحن لا نفضل نبيا بعينه على آخر بعينه، ولم يرد نص يفضل أحدهما على الآخر.

(٧) قلت: الطوفي ـ رحمه الله ـ يريد أن يرد على النصراني تكذيب القرآن والمسلمين بإلقاء الشبه على عيسى ـ عليه السلام ـ والنصارى دائما يقولون إن ذلك يفضي إلى السفسطة والدخول في الجهالات. ويمكن أن يرد عليهم من وجوه أذكرها باختصار وهي: =

قال: " وفي سورة الكهف عند ذكر ذي القرنين [1]. قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ... ﴿٨٦﴾﴾ [2] قال ابن عطية: على وزن

= ١- أن الله قادر على إلقاء الشبه من غير استحالة، ولا يخالف في ذلك إلا معاند لا يعترف بقدرة الله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[سورة يس: ٨٢].

٢- أن الحس إنما يعلم صورة الأمر لا حقيقته لأن ذلك إنما يعلم بقرائن الأحوال إن وجدت أو بأخبار الأنبياء - عليهم السلام - عن الله تعالى، الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

٣- مما يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات ما قاله القرافي - رحمه الله - في الأجوبة الفاخرة [ص ٢٤٩-٢٥٠ بتحقيق الباحث]: "أنا لو وضعنا في إناء رطلا من الماء أو الزيت أو نحو ذلك، ثم أريناه لإنسان ثم رفعنا ذلك المايع ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك المايع ثم أريناه لذلك الإنسان وقلنا له هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله؟ فإنه إذا أنصف يقول: الذي أدركه بحسي أن هذا ماء بالضرورة، أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم لكن الحس لا يحيط بذلك. . . " اهـ.

٤- يجوز أن يخرق الله العادة لعيسى - عليه السلام - بخلق شبهه في غيره - كما أخرق له العادة في إحياء الموتى وغير ذلك - ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه، وهذا لائق بالأنبياء. وهو اللائق بالآية ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] والله أعلم.

(١) أحد من ملكهم الله أمر الدنيا وحكى الله أمره في سورة الكهف من الآية رقم ٨٣ إلى ٩٨، واختلف في اسمه: فقيل هو الإسكندر المقدوني اليوناني، وقيل اسمه هرمس، وقيل: اسمه هرديس، وقيل غير ذلك، واختلف أيضا في تسميته " ذي القرنين" فقيل: كان ذا ظفيرتين من شعر فسمي بهما، وقيل: لأنه بلغ المغرب والمشرق فكأنه حاز قرني الدنيا، وقيل غير ذلك وهو أحد ملوك الدنيا كما قيل: ملوك الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران نمروذ وبختنصر. وقد اختلف في نبوته. [انظر تفسير القرطبي ١١/ ٤٦-٤٨، والبداية والنهاية ٢/ ١٠٢-١٠٩].

(٢) سورة الكهف، آية: ٨٦.

فعلة أي ذات حمأة، وقرأ أبوبكر عاصم [1] والباقون: ﴿ في عين حامية ﴾ وذكر حديث / أبي ذر [2] نصا في ذلك. قال: "فدل على أن العين هناك حارة" [3] / . ٥٦أ ٣٩م

قال: "وفي سورة يس مثل هذا حيث يقول: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ... ﴾ [4] الآية. وذكر حديث البخاري عن أبي ذر حيث قال له النبي ـ صلى

---

(١) في (ش)، (م): أبو بكر عن عاصم.

وأبو بكر عاصم بن أبي النجود اسم أبيه: بهدلة ،الأسدي قرأ على زر بن حبيش على عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ وقرأ أيضا على أبي عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي، معلم الحسن والحسين وقرأ أبو عبدالرحمن هذا على الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ توفي عاصم بالكوفة سنة سبع أو ثمان وعشرين ومائة للهجرة. [انظر مناهل العرفان ١/ ٤٥١-٤٥٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦-٢٦١، وشذرات الذهب ١/ ١٧٥].

(٢) جندب بن جنادة الغفاري رابع من أسلم. كان من أوعية العلم زاهدا. مات سنة ٣٢هـ. بفلاة وحده. [سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦-٧٨].

(٣) هذه القراءة "حامية" هي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي [انظر الاقناع في القراءات السبع ٢/ ٦٩٢، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٩] ولم أجد في ذلك عن أبي ذر شيئا وسوف يشير الطوفي إلى غلط ذلك وأن الرواية عن ابن عباس. والذي وجدته عن أبي ذر هو ما رواه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات حديث رقم (٤٠٠٢) قال: "كنت رديف رسول الله ﷺ وهو على حمار والشمس عند غروبها، فقال: «هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تغرب في عين حامية».

(٤) سورة يس، الآية رقم: ٣٨.

الله عليه وسلم [1] ـ [حين غربت الشمس] [2] أتدري أين تذهب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها» [3].

قال: "وهذا كله بين البطلان لكل من له أدنى معرفة [4] في الهيئة لأن الشمس تدور أبدا في فلكها، وهو الفلك الرابع، ولا تغرب في عين حامية ولا تجري لمستقر لها[5]، لأنها ليس لها قرار".

قلت: الجواب عن هذا السؤال:

---

(١) كلمة "وسلم" ليست في (أ).

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من صحيح البخاري.

(٣) تتمة الحديث في البخاري: "فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها. فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨] [كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر] وأخرجه في مواضع أيضا بألفاظ، وأخرجه مسلم في الإيمان حديث رقم ٢٥٠، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان. عن أبي ذر بلفظ غير ألفاظ البخاري، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في طلوع الشمس من مغربها عنه بغير لفظ البخاري أو مسلم، وقال: "وفي الباب عن صفوان بن عسال وحذيفة بن أسيد وأنس وأبي موسى، وهذا حديث حسن صحيح" وفي التفسير: باب من سورة يس بلفظ مقارب للفظه الأول، وسيورد المؤلف لفظه قريبا، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٤٥-١٦٥).

(٤) كلمة: "معرفة" ليست في (أ).

(٥) في (ش): لمستقرها.

أما القراءتان: "حمئة"، من الحماة و"حامية" من الحرارة فهما قراءتان صحيحتان[1]، والأولى [2] قراءة نافع [3] وابن كثير [4] وأبي عمرو [5]، والثانية

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٦/ ١١-١٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٠٢، وتفسير الشوكاني ٣/ ٣٠٨، والإقناع في القراءات السبع ٢/ ٦٩٢.

(٢) أي قراءة: "حمئة".

(٣) هو أبو رويم نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم المدني أحد القراء السبعة، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة، أخذ القراءة عن أبي جعفر القاري وعن سبعين من التابعين وهم أخذوا عن ابن عباس وأبي هريرة عن أُبي بن كعب عن رسول الله ﷺ، وقد انتهت إلى نافع رياسة الإقراء بالمدينة وممن اشتهر بالرواية عنه. بلا واسطة قالون وورش. توفي نافع سنة تسع وستين ومائة وقيل تسع وخمسين ومائة بالمدينة. [انظر وفيات الأعيان ٥/ ٣٦٨، مناهل العرفان ١/ ٤٥٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣٦-٣٣٨].

(٤) أبومحمد أو أبو معبد عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله الكناني الداري ـ بطن من لخم أو نسبة إلى دارين بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ـ وكان عطارا وأصله فارسي، كان إمام القراءة في مكة لقي من الصحابة عبدالله بن الزبير، وأبا أيوب الانصاري، وأنس بن مالك. روى القراءة عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبي عن رسول الله ﷺ. كانت ولادته أيام معاوية وتوفي سنة عشرين ومائة للهجرة [انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع ١/ ٧٧-٧٩، ومناهل العرفان ١/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٨-٣٢٢].

(٥) زبان بن العلاء بن عمار بن الغربان البصري، اختلف في اسمه فقيل زبان وقيل العريان وقيل يحيى وقيل غير ذلك كان من أعلم الناس بالعربية والقرآن والشعر وأيام العرب وأيام الناس، قرأ على جماعة منهم الحسن البصري، مات سنة أربع أو سبع وخمسين ومائة. (انظر كتاب الإقناع في القراءات السبع ١/ ٩٢-٩٤، وفوات الوفيات ٢/ ٢٨-٢٩).

قراءة الباقين [1]. والخبط في نقل[2] مذهب القراء فيها لا أدري هل هو من هذا الخصم أو من غيره" وقد روى ابن عباس [2] عن أُبي بن كعب [3]: أن النبي ﷺ قرأ: ﴿في عين حمئة﴾ رواه أبو داود [4] والترمذي [5]. وقال: حديث غريب.

---

(١) ابن عامر وأبوبكر وحمزة والكسائي.

(٢) «نقل» ليست في (ش).

(٣) عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ حبر الأمة وفقيه العصر، وإمام التفسير، ولد بشعب أبي طالب أيام الحصار قبل الهجرة بثلاث سنوات تقريبا، مسح النبي ﷺ على رأسه ودعا له بالحكمة، وقال ﷺ "اللهم علمه تأويل القرآن" كان عمر يدنيه من مجلسه وهو صغير السن لكثرة علمه، ذهب بصره في آخر حياته. توفي سنة ثمان أو سبع وستين للهجرة. [انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١-٣٥٨] وغيره.

(٣) أبومنذر أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد سيد القراء الأنصاري البدري ويكنى أبا الطفيل، شهد العقبة وجمع القرآن في عهد النبي ﷺ وكان رأسا في العلم والعمل، قال له النبي ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» وفي لفظ (أمرني أن أقرئك القرآن) قال: الله سماني لك؟ قال: (نعم) قال وذكرت عند رب العالمين؟ قال: (نعم) فذفرت عيناه. قال عمر: أقضانا علي وأقرأنا أبي. . . " مات ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين وعشرين في المدينة وقيل: سنة ثلاثين، وقيل غير ذلك. [انظر الاستيعاب ١/ ٦٥-٦٩، وسير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩-٤٠٢].

(٤) تقدمت ترجمته في ص: ١٧٥-١٧٦ من قسم الدراسة.

(٥) تقدمت ترجمة الترمذي والحديث. أخرجه أبوداود في كتاب الحروف والقراءات بلفظ "سمعت ابن عباس يقول أقرأني أبي بن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ: ﴿ في عين حمئة ﴾ مخففة، وأخرجه الترمذي بلفظ الطوفي، في كتاب القراءات باب ومن سورة الكهف وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه والصحيح ما روي عن ابن عباس قراءته. ويروى أن ابن عباس=

قال والصحيح: أنها قراءة ابن عباس لأنه اختلف هو وعمرو بن العاص [1] فيها وترافعا إلى كعب الأحبار [2]، ولو كان عنده فيها رواية لاكتفى بها.

ووجه الجمع بين القراءتين: أن تلك العين حارة، وهي ذات حمأة، فإن اجتماع الأمرين جائز غير ممتنع. وأما حديث أبي ذر فلفظه على ما رواه الترمذي وغيره قال: " دخلت المسجد حين غابت الشمس، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [3] جالس. فقال [النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [4]] «أتدري يا أبا ذر

= وعمرو بن العاص اختلفا في قراءة هذه الآية وارتفعا إلى كعب الأحبار في ذلك، فلو كانت عنده رواية عن النبي ﷺ لاستغنى بروايته ولم يحتج إلى كعب" اهـ. قلت: أبوداود والترمذي اتصل سندهما إلى محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدّع أبي يحيى عن ابن عباس عن أُبي.

(١) عمرو بن العاصي ـ بالياء وبحذفها ـ بن وائل بن هاشم القرشي السهمي أسلم سنة ثمان من الهجرة مع خالد بن الوليد، كان من شيعة معاوية، وأحد الحكمين، وداهية قريش، ورجل العالم، يضرب به المثل في الفطنة والدهاء، فتح فلسطين ومصر، توفي سنة ثلاث وأربعين. [انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤-٧٧، والاستيعاب ٤/ ١١٨٤-١١٨٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٣٠].

(٢) كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ فجالس الصحابة، وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، طعن فيه بعض كتاب العصر الحاضر مثل أحمد أمين ومحمد رشيد رضا، ورد الطعن محمد حسين الذهبي، توفي كعب في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين وثلاثين بحمص (انظر سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩ - ٤٩٤، والتفسير والمفسرون ١/ ١٨٧-١٩٤).

(٣) 'وسلم' ليست في (أ).

(٤) زيادة من الترمذي في التفسير.

١٥٧ أين تذهب هذه؟ "قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال / : فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها: اطلعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها" قال: ثم قرأ ﴿ ذلك مستقر لها ﴾ [١] قال: وذلك قراءة عبدالله [٢]، قال الترمذي: هو حسن صحيح [٣]. وأخرجاه في الصحيحين، ورواه أبو داود والنسائي [٤].

ووصف الشمس بالسجود وخطا بها من الحقائق الإلهية التي لا يستقل العقل بدركها، فيجب تلقيها عن أصحاب الشرائع بالقبول، كما سبق تقريره في المقدمة الثانية في صدر الكتاب.

---

(١) في (أ) وفي رواية الترمذي الأخرى في الفتن، ﴿وذلك مستقر لها﴾ وما أثبته من روايته الأخرى في التفسير ومن صحيح البخاري [كتاب التوحيد باب: "وكان عرشه على الماء. . . "].

(٢) أبي عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبوعبدالرحمن الهذلي البدري، حليف بني زهرة، سادس من دخل في الإسلام، وفقيه الأمة وحبرها، قال له النبي ﷺ : «إنك غليّم معلم» طلب المشركون ذات يوم من النبي ﷺ أن يطرده وبعض الصحابة معه فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ الآية [الأنعام ٥٢, ٥٣] خدم النبي ﷺ، وهو من أقرأ الناس لكتاب الله. مات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين ـ رضي الله عنه ـ [انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١ - ٥٠٠، والاستيعاب ٣/ ٩٨٧ - ٩٩٤].

(٣) هذا اللفظ للترمذي، وأخرجه البخاري ومسلم وأحمد كما ذكرت في ص: ٣٦٢، وأما الذي أخرجه أبوداود فهو حديث أبي ذر: "هل تدري أين تغرب هذه"؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية" [انظر الهامش رقم ٣ ص ٣٦١ من هذا الكتاب، والنسائي لم يخرج حديث سجود الشمس في الصغرى، ولكن أخرجه في التفسير من السنن الكبرى وفيه اختلاف في الألفاظ وزيادات [انظر فتح الباري ٨/ ٥٤١، تحفة الأشراف ٩/ ١٨٩].

(٤) تقدمت ترجمته في الدراسة ص: ٦١.

وأما معنى غروبها في عين حامية، [ففيه تأويلات:

أحدها: أنها تغرب فيها في رأي العين [1]، لا الحقيقة كما يرى كأنها تغرب في البحر أو من وراء الجبل، / بل من وراء جدار صغير، بحسب اختلاف ٤٠م
مناظرها وأوضاع الناظرين إليها.

الثاني: أن "في" بمعنى على: أي تغرب على عين حامية،] [2] أي تكون مقابلة لها، وحروف الصفات يقع بعضها موقع بعض كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ...﴾ [3] أي عليها [4]، وقال عنترة [5]:

بطل كأن ثيابه في سرحة ** ... ... [6]

أي عليها.

وعلى بمعنى "في"، كقول [7] أبي كبير الهذلي [8]

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١١/ ٥٠.

(٢) ما بين المعكوفتين ليس في (ش).

(٣) سورة طه، آية: ٧١.

(٤) انظر تفسير القرطبي ١١/ ٢٢٤، وتفسير الشوكاني ٣/ ٣٧٦.

(٥) تقدمت ترجمته في الدراسة ص: ١٨١.

(٦) عجز البيت: ... ... ** يحذى نعال السّبت ليس بتوءم

وهو من معلقته الميمية المشهورة. والسرحة: شجرة لا ثمر لها إنما يستظل بها وتعرف بطول ساقها. [انظر شرح المعلقات السبع للزوزني، ولسان العرب ٢/ ٤٨٠، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٤٩٨].

(٧) في (أ): لقول.

(٨) عامر بن ثابت بن عبد شمس الهذلي، من بني سهل بن هذيل. شاعر فحل من شعراء الحماسة. قيل: إنه أدرك الإسلام وأسلم، له ديوان شعر مطبوع لم يعرف تاريخ وفاته. [انظر الإصابة قسم الكنى الترجمة (٩٦١)، والأعلام ٣/ ٢٥٠].

ولقد سريت على الظلام بمغشم ** ... ...[1]

أي في الظلام.

الثالث: أنها بمعنى عند [2]. أي تغرب عند عين حامية. وقد ترد بمعنى عند، ومع في العربية. فكلام يحتمل هذه [3] التأويلات السابقة في اللغة التي ورد بها، لا ينبغي أن يتهجم على القدح فيه.

وقد نقل بعض المفسرين عن كعب أنه قال: "في التوراة إنها تغرب في ماء وطين" [4].

وأصحاب الهيئة يعترضون على هذا بناء على ما قرروه من أن الشمس مثل كرة الأرض مائة وإحدى [5] وستين مرة ونصف / وربع [6] فكيف تسعها عين من ١٥٨أ
عيون الأرض؟ والجواب بما سبق. وأما قوله: "إن هذا كله بين البطلان، لمن له أدنى معرفة بالهيئة" فجوابه: أن علم الهيئة مبني على مقدمتين:

---

(١) عجز البيت: ... ... ** جلد من الفتيان غير مثقّل

والمغشم: الجرئ الماضي الذي لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى من شجاعته. [انظر الحماسة لأبي تمام ١/ ١٣ رقم (١٢، ولسان العرب ١٢/ ٤٣٨].

(٢) انظر تفسير القرطبي ١١/ ٥٠.

(٣) في (أ): لهذه.

(٤) انظر تفسير الطبري ١١/١٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٤٩.

(٥) في (أ): وأحد.

(٦) في مفتاح دار السعادة ١/ ١٩٨: "وقد اتفق أرباب الهيئة على أن الشمس بقدر الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة" اهـ.

إحداهما: أن حركة[1] الأفلاك متصلة متشابهة يتسحيل أن يعرض لها البطء أو السرعة [2] أو الرجوع أو الانقطاع [3].

والثانية: اعتبار الرصد [4].

وقد قدح المحققون فيهما بما لا يسع هذا المكان ذكره [5]. ومنه: أن حاصل الرصد: الاعتماد على أبصار الآحاد، [والبصر لا يفيد اليقين لكثرة ما يعرض للبصر من الغلط، خصوصا مع البعد المفرط، وخبر الآحاد] [6] إنما يفيد ظنا

---

(١) في (ش): حركات.

(٢) في (ش)، (أ): "والسرعة" بدون همزة.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ سورة الأنبياء: ٣٣] وقال سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: ٣٧-٤٠].

(٤) مأخوذ من رصد أي ترقب. والراصد بالشيء: الراقب له. والمعنى رصد حركة الكواكب والأفلاك. [انظر لسان العرب ٣/ ١٧٧].

(٥) الذي يعلم بالحس حركة الأجسام المنظورة، فترى الشمس متحركة والقمر متحركا، والكواكب متحركة أما العلم بقدر حركاتها وبكسوف بعضها لبعض ونحو ذلك فليس مداره على الأرصاد. وغايته أن بعض الناس قد رأى هذا فأخبر به غيره، وليس هذا خبرا متواترا، بل غالبه خبر واحد. [انظر الرد على المنطقيين ص ٣٨٨ - ٣٨٩].

(٦) ما بين المعكوفتين ليس في (ش).

ضعيفا[1]، ودعوى أهل الهيئة: أن علمهم ثابت بالبراهين الهندسية كذب وزور وبهتان. إذ لو كان كذلك لما وقع الخلاف العظيم بينهم في تفاصيل علمهم وجمله.

وإذا اتجه القدح في مقدمات الهيئة لم يبق بها وثوق، وصار خبر الشرع أوثق منها، على ما قدمت أنت أيها الخصم في بيان ضرورة النبوة من كلام "أرسطو" وغيره.

ثم نقول: إن علم الهيئة على تقدير صحته وثبوته لا ينفي ما فسرناه به كيفية غروب الشمس في العين الحامية.

وأما قوله: "إن الشمس تدور أبدا في فلكها،/ وهو الرابع، ولا تجري ٣٤ش
لمستقر لها" لأنه ليس لها قرار.

فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن يقال له: أنت إما أن تكون فيلسوفا محضا، أو مشرعا تقول

---

(١) هذا في غير نقل أحكام الشريعة أما في أحكامها فإن خبر الواحد المسلم المكلف العدل الذي تلقته الأمة بالقبول يعتمد عليه، وقد أخرج ابن خزيمة وصححه، وابن حبان عن ابن عباس قال: "جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت الهلال. فقال: «أتشهد ألا إله إلا الله؟» قال: نعم. قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال فأذن في الناس يا بلال أن يصوموا غدا» وأخرجه أبوداود في الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان حديث رقم ٢٣٤٠، ٢٣٤١، والترمذي في الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة حديث رقم ٦٩١، والنسائي في الصوم، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال رمضان..، وابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال، والدارمي في الصوم باب الشهادة على رؤية الهلال، وأحمد في المسند (٣/ ١١).

بصحة الشرائع، وما جاءت به النبوات. / فإن كنت فيلسوفا ورد عليك كثير مما ٤١م
تقول به من أحكام التوراة والإنجيل مما تعتقد الفلاسفة فسادها.

منها: دعواك في المسيح / أن لاهوت الله اتحد بنا سوته فصارا حقيقة ٥٩أ
واحدة، أو أن الله ـ سبحانه ـ واحد بالذات، متعدد بالأقانيم [١] التي هي الله [٢] والابن وروح القدس [٣]. وإن كنت مشرعا فيلزمك تجويز أن الشمس يمكن أنها تستقر وتقف، فإنه قد ثبت باتفاقنا: أن يوشع بن نون وقفت له الشمس عن سيرها ليلة السبت، حتى فرغ من قتال الجبارين. وقد ذكرته أنت في كتابك هذا عند بيان وجود النبوة [٤].

وثبت أيضا في الأصحاح الثامن عشر [٥] من مصحف أشعياء أن الله سبحانه

---

(١) الأقانيم: جمع أقنوم، وهو الأصل، وهي كلمة سريانية، معناها: شخص أساسي، أو شخص رئيس، وهي الكلمة اليونانية: نوموس ومعناها قانون، ولذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص، لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي أو في الذات.

[انظر أقانيم النصارى للدكتور أحمد السقا ص ٩، نقلا عن كتاب دراسات في الكتاب المقدس، وانظر هامش ص ٧٥ من كتاب بين الإسلام والمسيحية للخزرجي، ولسان العرب ٤٩٦/١٢].

(٢) في (أ): التي هي اللات والابن... وفي (ش): الآب.

(٣) وهذا مذهب الملكانية واليعاقبة من النصارى.

[انظر الفصل في الملل والنحل ١/ ١١٠-١١٢، وتاريخ ابن البطريق ص ١٥٦، ٢٠١].

(٤) انظر ص: ٢٥٢ من هذا الكتاب.

(٥) الأصحاح الثامن والثلاثون من سفر أشعياء في التراجم الحديثة.

رد الشمس إلى خلفها عشر درجات علامة لحزقيا [1] ملك بني إسرائيل على أنه ينفس له في عمره خمس عشرة سنة بعد أن حضره الموت والقصة [2] مشهورة[3]. ومثل هذا لا يصح في علم الهيئة بناء على المقدمة المذكورة، وأن حركة الأفلاك متصلة. ويقال: إن من حين وقوف الشمس لهذين النبيين [4] تخبط حساب المنجمين، واختلط رأيهم فالله أعلم.

وأما أنك تكون تارة فيلسوفا وتارة مشرعا. فهذا مما لا يمكن لأن الفلسفة والتشريع لا يجتمعان. وقد حاول قوم منهم أبوالوليد بن رشد الجمع بينهما فلم يحصل إلا على الحيرة [5]، وظهر أمره فكاد أهل المغرب يقتلونه وأحسبه مات في حبس الشرع [6]، وأنا أحسبك أيها الخصم حائرا مترددا، لا نصرانيا ولا مسلما

---

(١) حزقيا: أحد الملوك في عصر النبي اشعياء عليه الصلاة والسلام كما في كتب أهل الكتاب. والأنس الجليل ١/ ١٤٧، واسمه في الكامل لابن الأثير (١/ ١٤٣): صدقيا.

(٢) "والقصة" ليست في (أ).

(٣) انظر البداية والنهاية ٢/ ٣٢-٣٣، والأنس الجليل ١/ ١٤٧، والكامل في التاريخ ١/ ١٤٣-١٤٤.

(٤) يقصد: اشعيا وحزقيا. ولكن حزقيا ليس بنبي كما في النص الوارد في مصحف أشعياء وإنما هو ملك من ملوك بني إسرائيل في عهد أشعياء. أما النبي فهو حزقيل.

[انظر البداية والنهاية ٢/ ٢].

(٥) ولذلك قال في كتابه: "تهافت التهافت" مبينا الحيرة التي وصل إليها هو وغيره من الفلاسفة: "ومن الذي قال في الإلهيات شيئا يعتد به؟" والغزالي لما رأى حيرته أعرض في آخر حياته عن الفلسفة وأقبل على حديث رسول الله ﷺ فمات وصحيح البخاري على صدره. واعترف الرازي والشهرستاني والجويني والخونجي وغيرهم بأنهم وصلوا إلى الحيرة، فكانوا في آخر حياتهم بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب. [انظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٩-١٦٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٧-٢٢٩].

(٦) لم أجد هذا فيما اطلعت عليه من مراجع في ترجمته.

ولا فيلسوفا.

الوجه الثاني: أن قوله "لمستقر لها" له أربع [1] محامل صحيحة:

أحدها: أن "اللام" بمعنى في: أي تجري في مستقر لها [2]، وهو فلكها تجري فيه ما بين / طرفي مشارقها ومغاربها من ناحية الشمال والجنوب لا تجاوز ذلك. ٦٠أ

الثاني: أن تكون بمعنى إلى أي تجري إلى مستقر لها [3]، وهو حين تستقر بزوال [4] حركتها عند قبض الله السموات والأرض وتكوير الشمس والقمر. وانكدار النجوم عند خراب العالم على ما جاء به شرع الإسلام وأخبر به النبي الصادق ـ عليه السلام ـ وأشار إليه المسيح في الإنجيل حيث يقول: "إذا جاء ابن الإنسان في مجده علا الغمام [5] والملائكة حوله هنالك من عرفني اليوم عرفته ومن أنكرني أنكرته" [6]. معنى هذا الكلام. ٤٢م

---

(١) في (ش): أربعة.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٨. وتفسير الشوكاني ٤/ ٣٦٩.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٨-٢٩، وتفسير الشوكاني ٤/ ٣٦٩.

(٤) في (ش)، (أ): "تستقر زوال".

(٥) «علا الغمام» ليست في (ش).

(٦) انظر انجيل متى الاصحاح الخامس والعشرين.

ويكون هذا معنى قوله ـ سبحانه وتعالى / ـ ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ (١).

الثالث: أن بعض أئمة السلف قرأ هذه الآية: ﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: لا تقف ولا تفتر (٢)، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ... (٣٣)﴾ (٣) أي لا يفتران من الدأب (٤)، وهو السعي الشديد وتكون هذه القراءة مفسرة للمراد من الأخرى.

وكل هذا محتمل لا يقدح بمثله في فروع شريعة فضلا عن أصولها.

الرابع: أن يكون مستقرها موضع سجودها. كما جاء في الحديث وقد بينا جواز وقوفها عن السير، بقصة يوشع وحزقيا (٥). وأن هذا مما يجب أن يتسلم عن النبوات ويتلقى بالقبول، /ولا يقابل بشبه العقول القاصرة عن إدراك الحقائق ٣٥ش الإلهية. والله أعلم.

---

(١) بعض آية في سورة فاطر الآية رقم ١٣، وفي سورة الزمر الآية رقم (٥) وفي سورة لقمان الآية (٢٩): «إلى أجل مسمى»..

(٢) هذه قراءة عبدالله بن مسعود، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ [انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٢، وتفسير الشوكاني ٤/ ٣٦٩] وضعف القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٨). سند هذه القراءة إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ولعلها من القراءات الشاذة ـ والله أعلم ـ .

(٣) سورة إبراهيم، آية رقم: ٣٣.

(٤) في (أ): من الذات.

(٥) في (م): حزقيال. انظر هامش ص: ٣٧٢.

[البشارة بمحمد ﷺ في التوراة والإنجيل]

قال: "وفي سورة الصف قال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾ - إلى قوله - ﴿.. وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ..﴾ (١).

وفي سورة الأعراف قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ (٢) مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...﴾ (٣).

١٦١أ

قال: ولا أمارة لشيء من هذا لا (٤) في التوراة ولا في الإنجيل فضلا عن التصريح فيهما قال: ولعل قائلا يقول: نزع اسمه منها.

فالجواب: أن هذا من الأعذار الباطلة المضحكة لأن ظهور محمد إما أن يكون بخير أو شر، وعلى كلي التقديرين لا فائدة في نزع اسمه من الكتب بل يجب ابقاؤه ليعرف فيتابع إن جاء بخير أو يجتنب إن جاء بشر كما في الدجال والشيطان.

هذا حاصل ما ذكره في هذا السؤال.

والجواب: أما ذكره صريحا في التوراة والإنجيل وتبشير المسيح به فقد ثبت

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الصف، آية رقم ٦].

(٢) من هنا بداية النقص والتلفيق في طباعة السقا.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٤) في (أ): إلا في التوراة.

عندنا بالقرآن المعصوم المتواتر، ونقل علماء المسلمين كوهب بن منبه وغيره: أن الحواريين [1] قالوا للمسيح وهو يودعهم ويوصيهم يا روح الله هل لله نبي بعدك يفوقك؟ قال: نعم النبي العربي قالوا: يا روح الله ومن أين هو؟ قال: يبعث من أرض تهامة [2] فقالوا: من هو؟ قال: من قريش يمسك بأصل الحكمة ويعطى فروعها. أمته حكماء علماء كأنهم الأنبياء أقرؤه مني السلام» [3].

قلت: ويدل على صحة هذا القول أعني: قوله يمسك بأصل الحكمة ويعطى فروعها. أنك لا تكاد تجد في الإنجيل حكمة عن المسيح إلا وعن محمد ﷺ معناها أو أحسن منها، بأوجز من عبارتها، وأخصر / من لفظها وقد ذكرت من ٤٣م

---

(١) الحواريون جمع حواري وسموا بذلك لبياض ثيابهم [انظر صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الزبير]، وقيل: لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب، أي يغسلونها، وقيل: لأنهم خاصة الأنبياء كما في قوله ﷺ: «لكل نبي حواري، وحواريي الزبير» يعني خاصته. [انظر صحيح البخاري: الجهاد، باب فضل الطليعة رقم ٤٠، وصحيح مسلم فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير حديث رقم ٤٨. وتفسير الطبري ٣/ ٢٨٧، وتفسير القرطبي ٤/ ٩٧، ١٨/ ٨٧].

(٢) تهامة: بكسر أوله. اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز، ومكة من تهامة سميت تهامة: من التّهم وهو شدة الحر وركود الريح، وقيل سميت بذلك لتغير هوائها، يقال: تهم الدهر إذا تغير. [انظر تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٤٤].

(٣) لم أهتد إلى مكان ما قال وهب في المراجع التي استطعت الرجوع إليها.

ذلك أمثلة كثيرة في "الفوائد" [1] وأيضا ما تواتر من أن الأحبار [2] والرهبان [3] والكهان [4] أخبروا بمحمد ـ عليه السلام ـ قبل مبعثه وعرفوه لما ظهر بصفته كبحيرا [5] الراهب [6] وغيره، فآمن به من سبقت له السعادة وكفر من سبقت عليه الشقاوة.

---

(١) لم أجد هذا الكتاب في خزائن المخطوطات التي زرتها، أو اطلعت على فهارسها.

(٢) انظر هامش ص: ٣٣٠.

(٣) الرهبان: جمع راهب بمعنى: المتعبد الخاشع الزاهد، وأهل الترهب عند النصارى: التخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها. وفي الحديث: "لا رهبانية في الإسلام" وقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد ٢٧] وأصل الرهبانية من الرهب ثم صارت اسما لما زاد عن المقدار. [انظر لسان العرب ١/ ٤٣٧ وتفسير القاسمي ٨/ ١٨٤].

(٤) الكهان: جمع كاهن. وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار. وقد كهن يكهن كهانة إذا تكهن. وكان في العرب كهنة منهم شق وسطيح اللذان أخبرا بأمر محمد ـ عليه السلام ـ وغيرهما، ومنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه بالعراف، وأصل الكهانة المعرفة والفطنة بدقائق الأمور وغوامضها. [انظر منال الطالب ص ١٥٨، ١٥٩].

(٥) من أحبار اليهود، وقيل: كان نصرانيا وإن اسمه جرجيس، وقيل: نسطورا، وقيل: كان على مذهب نسطورا واسمه جرجيس بن اسكندر، كان ينكر إلهية المسيح، اتخذ صومعة بعد طرده من ديره ـ بقرب الطريق الموصل إلى الشام ـ تمر عليه العرب فينذرهم بعبادة الله وينهاهم عن عبادة الأصنام. [انظر البداية والنهاية ٢/ ٢٨٦، وهامش ص: ١٢٥ من دلائل النبوة لأبي نعيم].

(٦) خرج أبوطالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب ـ بحيرا ـ هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم... فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال: هذا سيد العالمين=

أما قوله: "لا أمارة لنبي من ذلك في الكتابين" فهو: / إما عناد منه، أو ١٦٢أ
لعدم اطلاعه على ما فيهما، وعدم تنبهه على إشاراتهما وفهمهما، فإن في التوراة من ذلك مواضع:

منها: أن إبراهيم لما فارقه لوط قال الله لإبراهيم: ارفع عينيك وانظر المكان الذي أنت فيه إلى الشمال والجنوب والمشرق والمغرب فإن جميع الأرض التي ترى كلها لك أعطها [١] ولنسلك إلى أبد الأبد" [٢] فنظرنا فرأينا ملك بني إسرائيل ارتفع عن أرض كنعان وما حولها وصار إلى العرب. وهو يدل على صحة النبوة فيهم ولا نبي فيهم إلا محمد ـ عليه السلام ـ .

ومنها: "لما هربت هاجر [٣] من

= هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين..." الحديث أخرجه الترمذي في المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥-٦١٧) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٤-٢٥) وأبونعيم في دلائل النبوة ص ١٢٤-١٣١ بأسانيد. وأخرجها غير هؤلاء: كابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٣-٢٨٦) ويرى بأنه من مرسلات الصحابة.

(١) في (ش)، (أ): أعطيها.

(٢) القصة في سفر التكوين الأصحاح الثالث عشر، حسب التراجم الحديثة.

(٣) هاجر ويقال: آجر أم إسماعيل ـ عليه السلام ـ من "أم العرب" قرية كانت أمام الفرما من مصر. كانت أمة لسارة زوج إبراهيم، فأعطتها لزوجها إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليتسرى بها لأنها لم تلد له أحدا، فولدت له هاجر إسماعيل ـ عليه السلام ـ فغارت منها سارة، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها عنها وبولدها حتى وضعهما في مكة، وقصتهما مشهورة معروفة، قال السهيلي: "وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها، وأول من خفض ـ ختن ـ من النساء". [انظر البداية والنهاية ١/ ١٥٣-١٥٤، الروض الأنف للسهيلي ١/ ١٦-١٧].

سارة [1] تلقاها ملك الرب فقال ارجعي إلى مولاتك فكوني تحت يدها يكثر الله نسلك، وستلدين غلاما اسمه إسماعيل لأن الله سمع تعبدك ويبارك فيه يده على الكل ويد الكل به، وعلى خد جميع إخوته [2] ينزل [3]".

ومن المعلوم أن إسماعيل لم يستعل على بني إبراهيم هذا الاستعلاء ولا أحد من ولده إلا محمد ﷺ لما ظهر. فدل على أنه هو المشار إليه من هذا الكلام.

ومنها: قول الله سبحانه [4] لإبراهيم: إن زوجتك سارة تلد لك غلاما ويدعى اسمه اسحق وأقيم معه ميثاقا / إلى الأبد ويخلفه[5] من بعده. وعلى ٣٦ش

---

(١) سارة بنت هاران ـ وقيل: بنت توبيل ـ بن ناحور، وقيل: بنت هاران بن تارح وهاران هو الذي تنسب إليه "حران" وهو عم إبراهيم ـ عليه السلام ـ هاجر إبراهيم بسارة من بابل إلى مصر في وقت مجدب وجوع وغلاء، وكانت ذات حسن، وبينما هما ذات يوم إذ أتيا أرض جبار من الجبابرة، فوصفت له فجرى لهما ما هو معروف، وأخدمها الله هاجر. وسارة إحدى الصديقات الثلاث: "سارة وأم موسى، ومريم" وذهب بعض العلماء إلى أنهن نبيات، والجمهور على أنهن صديقات ولسن نبيات.

[انظر البداية والنهاية ١/ ١٥٠-١٥٢، الروض الأنف ١/١٦].

(٢) عند الماوردي: "وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع"، وفي التراجم الحديثة: "ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن" اهـ.

(٣) القصة في سفر التكوين الأصحاح السادس عشر، كما في التراجم الحديثة. وانظر هداية الحيارى ص ٥٤، وأعلام النبوة للماوردي ص ١١٨.

(٤) ليس هذا قول الله على القطع ولا بالنص إن كان ذلك صحيحا وإنما هو معناه إن كان صدقا وقد يكون فيه من تحريف اليهود والنصاوى ما يجعلنا غير جازمين بأن هذا من عند الله كما قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم في أول هذا الكتاب: « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. . . » الحديث.

(٥) في (ش): لخلفه.

إسماعيل فقد سمعتك وباركت عليه وكثرته كثيرا جدا ويولد له اثنا عشر شريفا[1] وأجعله لشعب عظيم" [2].

قلت: فهذا الشعب العظيم هم [3] العرب، فوجب أن يكون فيهم رسول كسائر الشعوب لما سبق من أن عناية الله بخلقه تقتضي ذلك.

وبالجملة: الأمارات [4] الظاهرة في التوراة وغيرها من كتب الأوائل على نبوته كثيرة، ذكر الماوردي وغيره [5] منها جملة في / دلائل [6] النبوة [7] والذي ذكرته أنا نقلته من نفس التوراة [8]. ١٦٣أ

وأما في الإنجيل. فحيث يقول في / بشارة يوحنا: ٤٤م

"والفارقليط روح القدس، الذي يرسله أبي باسمي، وهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما ما قلت لكم" [9] وحيث يقول: "إنه خير لكم أني انطلق لأني

---

(١) "شريفًا" ليست في (ش).

(٢) انظر سفر التكوين الأصحاح الحادي والعشرين، وهداية الحيارى ص: ٥٤ وأعلام النبوة للماوردي ص ١١٨، والبداية والنهاية ١/ ١٥٣.

(٣) هم: ليست في (م).

(٤) في (ش)، (أ): الآثارات.

(٥) في (ش)، (أ): وغيرها.

(٦) في (أ): في أوائل النبوة.

(٧) طبع الكتاب بعنوان: "أعلام النبوة"، وما أشار إليه الطوفي فيه هو في ص: ١١٨-١٢٨ منه.

(٨) إلى هنا السقط والتحريف في طباعة السقا.

(٩) انظر انجيل يوحنا الأصحاح الرابع عشر، وهداية الحيارى ص ٥٥ وأعلام النبوة للماوري ص ١٢٧.

إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط [1]، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، وإذا جاء ذلك، فهو يوبخ العالم على الخطية وعلى الحكم. أما على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي. . . وأما على الحكم فلأن [أركون] [2] هذا العالم يدان" [3] ثم قال: "إذا جاء روح الحق ذلك فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع، ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لأنه يأخذ مما هو فيّ ويخبركم [4].

قلت: وإذا تأملنا هذه الإشارات [5] وجدناها مطابقة لصفات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [6] "لأنه لم يأت بعد المسيح من ادعى النبوة ومجد عيسى وبالغ في تمجيده، وصدقه في نبوته، ووبخ العالم على خطية الكفر وقتل اليهود وغيرهم على تكذيب المسيح وعبادة الأوثان وأخبر بأن الناس يدانون يوم القيامة ويحاسبون، وعلم الناس محاسن [7] الآداب، ومكارم الأخلاق وظهر ناموسه[8]

---

(١) في (م): البارقليط. والصحيح: الفارقليط.

(٢) في النسخ الثلاث: "فلأن يكون" والصحيح ما أثبته من الجواب الصحيح (٤/ ١٧)، ومن هداية الحيارى (ص ٥٦)، وهو الذي يناسب السياق. والأركون: الرئيس أو العظيم أو السيد، أو الكبير. ومحمد ﷺ سيد العالم: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر".

(٣) انظر إنجيل يوحنا: الأصحاح السادس عشر، وهداية الحيارى ص: ٥٥.

(٤) انظر إنجيل يوحنا: الأصحاح السادس عشر.

(٥) قلت: قد ذكر الإمام القرافي في الباب الرابع من الأجوبة الفاخرة. . . إحدى وخمسين بشارة من ألفاظ التوراة والأناجيل ونبوات الأنبياء، وقد ذكر ابن القيم كذلك كثيرا من البشارات في كتب أهل الكتاب في "هداية الحيارى".

(٦) في (م): عليه السلام.

(٧) كلمتا: "الناس محاسن" ليستا في (أ).

(٨) في (ش): بناموسه.

واشتهر في البدو والحضر كظهور نواميس الأنبياء قبله إلا محمد ﷺ. وإن لم يكن محمد هو الذي أشار إليه [1] لزم القدح في صدق وعده بالبارقليط، لأن من المحال عادة أن عاد أحد يظهر بما ظهر به محمد ويتم له" [2].

فإن قيل: قد ذكر "الفارقليط" في الإنجيل بصفات غير هذه مما لا يطابق صفات محمد فيحمل ما ذكرتموه عليه.

قلنا: مع المسامحة نقول لكم / كل ما في الإنجيل حق عندكم فيجب اعتباره ما أمكن، وحيث ذكر "الفارقليط" تارة بما يوافق صفات محمد، وتارة بما يخالفها فاجعلوه من باب اللفظ المشترك. فالفارقليط الذي ذكرناه ـ محمد [3] عليه السلام ـ والذي ذكرتموه اجعلوه من شئتم ويحصل لنا المقصود وقد بينت وجه دلالة هذا الفصل على المطلوب، وما عليه من سؤال وجواب في التعليق على الإنجيل، فاكتفيت به هناك عن تكراره هاهنا [4]. والله أعلم. ٦٤أ

وأما قوله: "لعل قائلا يقول: نزع اسمه منهما".

فهكذا نقول.

وأما جوابه عن ذلك بأن ظهور محمد: إما أن يكون بخير أو شر، وعلى التقديرين يجب ابقاؤه ولا فائدة في نزعه".

---

(١) في تعاليق على الأناجيل: إليه المسيح.

(٢) ما بين علامتي التنصيص من كتابه: "تعاليق على الأناجيل ص ٧٠-٧١خ.

(٣) كلمة "محمد" ليست في (أ).

(٤) بيّن ذلك في الصفحات ٧٠-٧٢ خ.

فـجوابه: / أن هذا إنما يصـح أن يحتج به من علـم منه العدل والإنصـاف ٤٥م
وطلب الحق وكمال العقل. واليهود والنصارى ليسوا كذلك حتى يصح احتجاجهم بهذا.

أما اليـهود فـإنهم تعدوا على أنبيـائهم وبغوا عليـهم وقتلوهم وكـفروا [١] بالمسيح مع ظهور صـدقه والخوارق على يده لكل غافل منصف. فكفـرهم بمحمد ككفرهم بالمسيح، وإنكارهم [٢] لاسمه وصفته / كانكارهم لصفة المسيح المذكورة ٣٧ش
في التوراة في كلام إسـرائيل لما جمع بنيه، وأخبرهم بما يـكون منهم على ماسبق بيانه آنفا في الجواب عـن صلب المسيح، ولكن اليهود علموا من صفـة محمد أنه يظهر بقوة وشوكـة، لا يقدرون معها على قتله وصلبه ـ كـما زعمتم وإياهم أنهم
١٦٥أ فعلوا بالمسيح ـ فـغيروا اسمه وصفتـه في التوراة لئلا [٣] يتحقق عنـادهم بقيام / الحجة عليهم من كتابهم، ورأوا أن العناد بشبهة أولى منه بلا شبهة.

وأما النصـارى فلأن الإنجيل الذي صـرح فيه بـذكر محـمد ليس هذا الذي بأيديهم بل هو كتاب نزل على المسيح من السماء كتوراة موسى وقرآن محمد ولكنه عدم فلم يظهر.

وأما الأناجيل التي بأيديهم فهي سيرة المسيح وحكاية ما جرى له وفيها شيء

---

(١) في (م): وكفرا.

(٢) في (ش): وانكاركم.

(٣) في (أ): لا بالا يتحقق.

من حكمه ومواعظه، فهو بمثابة ما نقل عن الأنبياء من كلام أنفسهم، كالأخبار المروية عن محمد ـ عليه السلام ـ وغيره من الأنبياء [1]. وكذلك التوراة التي بأيدي اليهود اليوم، على أنا قد بينا أن في فصل البارقليط من بشارة يوحنا ما يكفي في الإشارة إلى ذكر محمد بصفته.

وأيضا فإن المسيح كان من آيات الله سبحانه، أظل [2] بها من شاء من خلقه، فعصمهم الله به مدة مقامه بين أظهرهم، فلما رفع عنهم ووقع في دينهم الدخل والتلبيس من شياطين الجن والإنس، كما بينته في "الفوائد، والتعليق على الإنجيل" [3] وذكره هنا يطول.

وأيضا: انضم إلى ذلك في حق الطائفتين أن محمدا جاءهم بترك المألوف من دينهم وذلك شديد على النفوس لا يثبت له إلا كاملو العدل والعقل وقد بينا عدم العدل في اليهود، وعدم العقل في النصارى حيث اعتقدوا أن الله خالق السموات والأرض خرج من بطن مريم ثم أسلم نفسه للقتل والصلب ليستنقذ الخطاة من بني آدم، وقد كان قادرا على استنقاذهم بدون هذا التعب، وعقول تخيل لأهلها اختراع مثل هذا جديرة بأن تخيل / لهم الاستمرار عليه حتى يحرفوا ٢٦٦
لأجله أسماء الأنبياء وينازعوا في الحق ويعاندوه.

---

(١) بل ما روي من أخبار محمد ﷺ أصح منها لأن الله تكفل بحفظ الذكر، ومنه الحديث، وأخبار المصطفى ﷺ ولم يتكفل بحفظ الكتب السابقة، ثم إن الله أخبر بأنهم حرفوا تلك الكتب ثم إن كثيرا مما في كتبهم المحرفة لا تليق بمقام الأنبياء كنسبة بعضهم إلى الزنا وغير ذلك. وليس لهم سند يروون به ما صدر عن أنبيائهم وكان هذا من خصائص الأمة الإسلامية ـ والحمد لله ـ .

(٢) في النسخ الثلاث: "أضل" بالضاد، والصواب ما أثبته.

(٣) انظر تعاليق على الأناجيل ص ٤-٧ مخطوط.

وحاصل ما نقوله في جوابه: أن محمدا كان ظهوره بخير عظيم وبركة عميمة ولكنهم / غيروه حسدا له، واستبقاء للرياسة فيهم، وغيرة عليها أن تخرج منهم وينالها غيرهم. ٤٦م

وإذا كان إخوة يوسف هموا بقتل أخيهم يوسف ثم لما رفقوا به باعوه على الكفار ورموه في رق العبودية حتى لقي من مرارة التهم والسجن ما لقي حسدا له على ماظنوه من تأويل رؤيا يجوز أن تقع وأن لا تقع مع كونهم من صلب نبي معصوم، وهم معاشرون له صباح مساء، فما الظن باليهود والنصارى والبغاة الجهال، وقد مضى منهم الزّبد، وبقي منهم الغثاء والزّبد وسفلة العالم وسقطهم فيما علموه بالوحي الإلهي.

وأيضا إذا كانت "سارة" المرأة الصالحة المحفوظة بمعاشرة النبي المعصوم "إبراهيم" ـ صلوات الله عليه ـ قالت له: اخرج بابن[1] الأمة ـ تعني إسماعيل ابن هاجر ـ عني كي لا يرث مع ابني[2] اسحق، كما نص عليه في التوراة؛ غيرة منها أن يشارك ابنها في رئاسة أبيه، فما الظن باليهود والنصارى/ على ما عرف منهم؟[3]. ٣٨ش

وأما قوله: "لم لم تنزع أسماء الأنبياء الذين كان يخبر بعضهم ببعض سابقهم بلاحقهم كيحيى بن زكريا، ولم ينزع اسم الشيطان والدجال"؟

---

(١) في (ش): ابن.

(٢) في (ش): مع ابني تعني اسحق.

(٣) هذا على ما يدعونه هم وأما نحن فلا نقرهم على هذا لعدم يقيننا بأن هذه القصة مما لم يحرف، ولم يرد في ديننا إلا أنها عليها السلام غارة من هاجر فقط وذلك قبل ولادة اسحاق فإنه لم يولد إلا في كبر إبراهيم وسارة، فغيرتها لأنها أصبحت ضرة لها. والله أعلم.

[انظر الروض الأنف ١/ ١٣٥، فتح الباري ٦/ ٤٠٠].

فالجواب: أن الفرق بين أولئك الأنبياء ومحمد ـ عليهم السلام ـ من وجهين:

أحدهما: أن موسى لم يأت بعده نبي إلا بتقرير أمر التوراة ومتابعتها فكانوا في المعنى نواب موسى وخلفاؤه/ ، كالتلاميذ الاثنى عشر لعيسى. ٦٧

ومحمد ـ عليه السلام ـ جاء بنسخ الشرائع كلها وأحكام التوراة والإنجيل وغيرهما، واستئناف شريعة مبتدأة من عند الله. ولهذا لما جاء المسيح بإبطال السبت وأشياء مما تخالف حكم التوراة تعصبوا عليه وقتلوه، ـ كما زعمتم وإياهم ـ [1].

الوجه الثاني: أنهم كانوا يعلمون أن أولئك الأنبياء ضعفى لا شوكة لهم فلم تكن لهم حاجة إلى نزع أسمائهم، بل إن رأوا منهم ما يوافقهم وإلا قتلوهم كما فعلوا بيحيى وزكريا والمسيح [2] وغيرهم من الأنبياء.

ومحمد ـ عليه السلام ـ علموا أنهم لا يقدرون عليه كما قدروا على غيره [3] فنزعوا اسمه ليصير شبهة لهم في خلافه ـ كما سبق ـ.

---

(١) ثم إن اليهود ينكرون نبوته ويقولون إن المسيح المذكور في التوراة إنما هو المسيح المنتظر الذي سيأتي في آخر الزمان. [انظر إفحام اليهود ص ١٠٢-١٠٧].

(٢) على زعم اليهود.

(٣) لقد حاول اليهود ـ لعنهم الله ـ قتل محمد ﷺ رغم العهد الذي بينهما ولكن الله رد كيدهم في نحورهم. ومن ذلك ما حصل من بني النضير عندما ذهب إليهم ﷺ من أجل الاستعانة بهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، فاستند ﷺ إلى جدار حصن لهم، فخلا بعضهم ببعض واتفقوا على طرح حجر عليه من ظهر الحصن ليقتله، فأخبره جبريل ـ عليه السلام ـ بذلك، فقام موهما لهم بأنه غير ذاهب ومعه نفر من أصحابه منهم أبوبكر وعمر وعلي ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، فسار حتى دخل المدينة ثم صبحهم بالجيش فجلاهم إلى الشام. =

قال: *وفي سورة النور [1]: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ وفي سورة الفرقان [2]: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ... (٥٤)﴾ / وفي سورة الروم [3]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠)﴾ وفي سورة فاطر [4]: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ... (١١)﴾ وفي سورة الأنبياء [5]: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ... (٣٠)﴾ وهذا بين التناقض، والكذب لازم في إحدى القضيتين وخلاف هذا في التوراة، حيث يقال: إن الدواب خلقت من التراب والإنسان من الماء، وخلاف ذلك أيضا في الوجود، إذ بعض الأشياء مخلوقة من الأرض وبعضها من الماء. [أصل خلق الإنسان] ٤٧م

قلت: الجواب: أنه لا تناقض في هذا ولا كذب ـ بحمد الله ـ عند من عرف وتبين ذلك ببيان معنى كل آية على انفرادها، ثم بيان الجمع بين الجميع.

= وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ...﴾ الآية [سورة الحشر: ٢]. [انظر حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ١/ ٤٧-٤٨، والبداية والنهاية ٤/ ٧٥، وسيرة ابن هشام المجلد الثاني ص ١٩٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٣١].

(١) الآية رقم: ٤٥.

(٢) الآية رقم: ٥٤.

(٣) الآية رقم: ٢٠.

(٤) الآية رقم: ١١.

(٥) الآية رقم: ٣٠.

٦٨ أما قوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [١] فنقول: الدابة في وضع اللغة كل ما دب ودرج. وفي عرف الاستعمال اللغوي: مختص بذوات الأربع كالفرس ونحوه، فإن حمل لفظ الدابة على هذا المعنى العرفي فلا إشكال في أنها من ماء، وهو الماء الذي ينزله الذكر في الأنثى وتنزله هي عند الوقاع [٢].

وإن حمل على الوضع اللغوي فالجواب من وجوه:

أحدها: أن "من" في قوله ﴿ من ماء ﴾ للسببية. بمعنى أن للماء مدخلا وتأثيرا بحقيقته أو بما هو من طبيعته في وجود كل دابة [٣].

وهذا صحيح. فإن كل دابة فهي حيوان، وكل حيوان لابد فيه من رطوبة مائية بها تتقوم حياته، فيدخل في ذلك العقارب والخنافس ونحوها من الحشرات التي يقال إنها تتولد من التراب، لأنها وإن كانت متولدة من التراب إلا أنها لا تستغني عن رطوبة، هي من طبيعة الماء تقوّم حياتها.

الوجه الثاني: أن نقول في الدابة وضعا ما قلناه في الدابة عرفا، وهو أن سائر أشخاصها مخلوقة من "ماء" الوقاع، لأن فيها ذكورا وإناثا قطعا، ولا فائدة للصنفين المذكورين إلا التناسل المعتاد بين سائر أصناف الحيوان، وما يقال: من أن بعض الدواب تخلف من التراب، فلا شك أنه قد قيل، ولكنا لم نشاهده فلا نقلد فيه. ولا عليه دليل قاطع من جهة العقل/ ، فإن شاهدناه أجبنا حينئذ بحسب ما ٣٩ش ينبغي.

---

(١) سورة النور، آية: ٤٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩١، وتفسير الطبري ١٨/ ١٥٥، وتفسير الشوكاني ٤/ ٤٢.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩١، وتفسير الشوكاني ٤/ ٤٢.

والـذي رأيتـه فـي هـذا: مـا ذكـر في تـواريخ الأولين: أن المـلك "سنحاريب" [1] رأى في منامـه أن عقربا صـعدت سـريره فلدغته، فـوقع عنه. فاستدعى بعض المعبرين فسأله عن رؤياه، فقال له: إنها تدل على أنه يغلب على ملكك / رجل لا أصل له، لأن / العقرب لا أصـل لها، وإنما تخلق من التراب، فكان تأويله أن غلب فرعون على سنحاريب فـأخذ ملكه، ولـم يكن لفرعون أصل في الملك وإنما كان أبـوه راعي غنم. هكذا قيل. لكن في هذا مناقـشات كثـيرة لا يعتمد عليها معها.

١٦٨أ
٤٨م

الوجـه الثالث: إن ثبت أن بعض الدواب مـخلوق من غيـر الماء كان قـوله تعالى: ﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [2] عاما مخـصوصا بذلك أي أنه أطلق العام وأراد الخاص، وهو كـثير كـقوله: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ... (٦٢) ﴾ [3] وخص بالعقل: ذاته وصفاته تعالى.

وقـوله: ﴿ تُدَمِّـرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [4] ـ يعني الريح الـعـقـيم ـ وخص بالعـقل السموات والأرض وغيرهما مما لم تدمره. وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ..(٢٣)﴾ [5] ـ يعني بلقيس ـ وخص بالعقل: ما لم تؤته من ملك سليمان وغيره.

---

(١) سنحاريب: هو ملك بابـل والموصل في زمن النبي اشعيـا ـ عليه السلام ـ ولما كـثرت ذنوب بني إسرائيل ومـرض ملكهم حزقيـا فسلط الله عليهم سـنحاريب فدخل بيت المقـدس وحصل منهم ضرر كبـير على بني إسرائيل ثم هزم سنحـاريب ومات بعد سبع سنوات من رجـوعه إلى بابل. [انظـر البـدايـة والنهـايـة ٢/ ٣٢-٣٣، والأنس الجليل ١/ ١٤٧، والكامـل في التـاريخ ١/ ١٤٣-١٤٤].

(٢) سورة النور، آية: ٤٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٤) سورة الأحقاف، آية: ٢٥.

(٥) سورة النمل، آية: ٢٣.

والتخصيص لازم فيما حكاه الخصم من قوله في التوراة: إن الدواب خلقت من التراب، لأنا نقول:

أي الدواب تريد؟ إن أردت مجموع جنسها أولا وآخرا في جميع أزمنة الوجود فهذا يكذبه العيان، لأنا نشاهد الدواب تتكون من ماء الذكر والأنثى.

وإن أردت أنواع جنس الدواب الأول التي هي لأنواعها كآدم لنوع [1] البشر، وهو المراد لآن هذا الكلام في سفر الخليفة [2]، وهو إنما يذكر فيه أوائل الموجودات.

وحينئذ يلزم التخصيص إن أريد باللام في "الدواب" الاستغراق.

وإن أريد العهد - يعني أوائل أنواع الدواب - لم يكن فيه حجة على مناقضة القرآن إذ يصير تقديره: بعض جنس الدواب من التراب.

والقرآن تضمن أن كل دابة خلقت من "ماء" فيخص أحد الكتابين الآخر، إن سلمنا صحة التوراة، وإلا لم / يلزمنا ما فيها، بناء على ما سبق. ٢٧٠

وأما قوله: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ..﴾ [3] فإن حملنا لفظ (الدابة) على المعنى الوضعي دخل فيه البشر، واتفقت الآيتان. وإن حملناه على العرفي لم يتناول البشر، وكان في هذه الآية مفردا بالذكر على وفق ما ذكر في الدابة من الخلق من الماء، والمراد أنه خلق الإنسان من الماء يعني "مني" الزوجين وهو مشاهد.

---

(١) في (م): لأنواع.

(٢) أي سفر التكوين في التراجم الحديثة. وهو في الأصحاح الأول منه

(٣) سورة الفرقان، آية: ٥٤.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ... ﴿٣٠﴾﴾ [1] فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن "من" فيه للسببية والتقرير ما سبق في الوجه الأول من جواب قوله "خلق كل دابة من ماء".

وأيضا: فإن حياة كل حي إما كاملة كحياة الإنسان وغيره من الحيوانات، أو قاصرة كحياة الزرع والنبات، / وكل ذلك لابد في تحقق حياته من / الماء على ما هو مشاهد. ٤٨م ٤٠ش

الثاني: أن كل حي مخلوق من ماء الوقاع كما سبق في الوجه الثاني من جواب الآية المذكورة.

ويمكن أن يحمل على إرادة الخاص بالعام كما سبق في الوجه الثالث هناك على تقدير أن يثبت من الأحياء ما ليس من الماء.

وأما قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ... ﴾ [2] فالمراد خلق أباكم - يعني آدم - من تراب بناء على ما قص [3] الله علينا في كتابه، وأجمع عليه المسلمون من أن آدم خلق من تراب، وإنما خاطبنا بذلك لأنا نسل آدم وولده، وحيث كنا كامنين فيه بالقوة كان خلقه من تراب كخلقنا من تراب وإذ تقرر الكلام على الآيات مفردة ظهر وجه الجمع بينها وأن لا تناقض فيها.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٢) قال الله تعالى في سورة الروم الآية (٢٠): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ وفي سورة فاطر الآية (١١): ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ الآية.

(٣) في (أ): على ما نص.

فقوله في سورة الروم وفاطر: ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ... ﴾ يعني أصلكم وأباكم آدم، وقوله في الفرقان: ﴿ ..خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ .. ﴾ يعني المني من الذكر والأنثى ﴿... بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ... (٥٤) ﴾ [١] وهو لا ينافي الخلق من تراب، لأن المخلوق من الماء غير المخلوق من التراب ـ على ما بيناه ـ ويدل عليه ما في سياق آية فاطر حيث يقول: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ .. ﴾ [٢]. ١٧١أ

أي خلق أباكم آدم من تراب ثم خلقكم منه ومن غيره من ذريته من نطفة [٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ .. ﴾ يعني آدم ﴿ .. مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ﴾ [٤] أو يكون المراد بالإنسان ذريته خلقوا من سلالة وهي المني المستل من الأصلاب لكن أصل تلك السلالة من طين باعتبار آدم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ ﴾ يعني الإنسان غير آدم " نطفة " وهو المني ﴿ ... فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣)﴾ وهو الرحم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ..(١٤) ﴾ [٥] الآية.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٤.

(٢) سورة فاطر، آية: ١١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٢/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٢. وغيرهما من كتب التفسير.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٢.

(٥) ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون، آية ١٣-١٤]، انظر فيما ذكر المؤلف من تفسير الآيات: تفسير الطبري ١٨/ ٧-٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٠٩، وتفسير الشوكاني ٣/ ٤٧٦-٤٧٧. وغيرها من كتب التفسير.

وقوله: ﴿ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [1] ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ... ﴿٣٠﴾﴾[2] قد سبق وجه المراد منهما. فحصل من ذلك: أنه لا تناقض في هذه الآيات ولا كذب.

وأما قوله: "هذا تناقض والكذب لازم في إحدى القضيتين" فهذا قول من لا يعلم ما التناقض؟ ولا ما الكذب؟ فإن التناقض هو تقابل القضيتين بالسلب والإيجاب مع اتفاقهما في الجزء والكل والقوة والفعل والشرط والزمان والمكان والإضافة، ومتى اختل شيء من ذلك أمكن الجمع ولم يلزم التناقض، وأين اتفاق هذه الآيات كلها في هذه الأمور. والله أعلم.

[قصة الغرانيق، وتعرض الشيطان للأنبياء]

قال: " وفي سورة الحج [3]: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾. ١٧٢أ

وذكر ما / حكاه ابن عطية وغيره [4] في التفسير من أن النبي ـ عليه السلام ـ ٥٠م

---

(١) سورة النور، آية: ٤٥.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٣) الآية رقم: ٥٢.

(٤) كالطبري فقد ذكر القصة بعدد من الأسانيد مرسلة إلا واحد في اتصاله كلام: [انظر تفسير الطبري ١٧/١٨٦-١٨٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٨٠، وله عليها كلام سنذكره قريبا ـ إن شاء الله ـ، وتفسير ابن كثير ٣/٢٢٩].

كان يتمنى أن يتبعه قومه ويؤثر هدايتهم، فلكثرة تمنيه ذلك ألقى الشيطان على لسانه في تلاوة سورة النجم حين قال: "ومناة الثالثة الأخرى: تلك الغرانيق العلى إن شفاعتهم لترتجى" ففرح المشركون وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير فلانوا له وكفوا عن أذاه وأذى أصحابه، فاتصل بمهاجرة الحبشة/ ـ الهجرة الأولى ـ إن قريشا ٤١ش أسلمت، فجاءوا فوجدوا ما ألقاه الشيطان قد نسخ وعادت قريش إلى غلظها وشقاقها، فعاد الذين جاءوا من الحبشة إليها. وذلك سبب الهجرة الثانية.

ولما علم النبي ﷺ أن ما كان قاله من مدح الأصنام من إلقاء الشيطان اغتم لذلك فأنزل الله ـ سبحانه ـ تسلية له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... ﴿٥٢﴾﴾ [1] الآية.

قال: فتضمنت هذه القصة باطلين:

أحدهما: الافتراء على الرسل في وصفهم بهذه المثلبة [2] من أن الشيطان تلبس عليهم في وحي الله ـ سبحانه ـ بما يقع به الغواية والإضلال للناس وحاشا الأنبياء من أن يكون للشيطان عليهم سلطان، خصوصا في تخليط الوحي عليهم.

والثاني: إخباره بأن للأصنام شفاعة، ومدحها بذلك ثم ذكر حديثا زعم أن البخاري ذكره في باب العيدين ولم أجده فيه ـ فلعله قلد في نقله غيره، لكن

---

(١) سورة الحج، آية: ٥٢.

(٢) من ثلب: لام وعاب وصرح بالعيب وقال فيه وتنقصه، والمثالب: العيوب وهي المَثْلَبَة: المسبة. والمَثْلُبَة. [انظر لسان العرب ١/ ٢٤١، والمصباح المنير ١/ ١٠٣].

الحديث صحيح في الشريعة. عن أبي هريرة [1] عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان عرض لي في الصلاة ليقطعها عليّ، فأمكنني / الله منه، ولقد هممت أن أوثقه ١٧٣
إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه». فذكرت قول سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي... (٣٥)﴾ [2] قال: "فمن له هذا السلطان على الشيطان، كيف يتسلط عليه الشيطان فيعبث به هذا العبث، ويخلط عليه الوحي؟" قال: "وقد تضمن هذا الحديث أن الشيطان متجسم. لقوله: "هممت أن أربطه إلى سارية" وهذا باطل لأن الشياطين بسائط مجردة عن المادة كالملائكة والنفوس. وهذا قول الأنبياء والفلاسفة".

هذا ما ذكره في هذا السؤال.

---

(١) الصحابي الفقيه الإمام المجتهد الحافظ الدوسي اليماني. اختلف في اسمه واسم أبيه وأرجحها أنه: عبدالرحمن بن صخر، أسلم في أول سنة سبع من الهجرة عام خيبر، كناه الرسول ﷺ أبا هر، وكان الناس يكنونه أبا هريرة، فقد كانت له هريرة يلعب بها فكنوه بها. دعا لنفسه عند رسول الله ﷺ فقال: اللهم إني أسألك علما لا ينسى. فقال النبي ﷺ: «آمين» وحصل له ما أراد فكان سيد حفاظ السنة، كان أجرأ الصحابة على سؤال النبي ﷺ توفي - رضي الله عنه - سنة سبع وقيل ثمان وخمسين للهجرة.

[انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨-٦٣٢، والإصابة ٤/ ٢٠٢-٢١١].

(٢) سورة ص: ٣٥. والحديث أخرجه البخاري في (العمل في الصلاة، باب ما يجوز من العمل في الصلاة) وأطرافه. وله ألفاظ أخرى في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وفي الصلاة، باب الأسر أو الغريم يربط في المسجد)، وغيرها من المواضع. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب جواز لعن الشيطان... حديث (٣٩) بغير هذا اللفظ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٨) بنحو لفظ مسلم، وأحد ألفاظ البخاري.

والجواب عنه: أما قصة إلقاء الشيطان على لسانه. ما ذكر في سورة النجم فقد استفاض نقلها بين الأمة، ورواها الثقات [1] ويدل على صحتها ما رواه

---

(١) أخرجها ابن سعد في الطبقات ١/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم والبزار "وقال لا نعلمه" [الشفاء ٢/ ١٠٨] وابن المنذر وابن مردويه والنحاس وابن إسحق في السيرة وأبومعشر في سيرته. [فتح الباري ٨/ ٤٣٩] وابن جرير في تفسيره (١٧/ ١٨٦- ١٩٠) بطرق متعددة، بعضها موصولة وأكثرها مرسلة، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٩) وقد صحح هذه القصة الطوفي ـ رحمه الله ـ وغيره من العلماء ولكن اختلف الناس في صحتها على قولين.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الجواب الصحيح (١/ ١٧٩) عن هذه القصة: "هذا فيه قولان للناس منهم من يمنع ذلك... وطعن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم. ومن جوز ذلك قال: إذا حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن في ذلك محذور..." اهـ وقال ابن حجر بعد أن أورد أقوال العلماء فيها وطرقها في الفتح (٨/ ٤٣٩- ٤٤٠): "وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع منها مما يستنكر وهو قوله: "ألقى الشيطان على لسانه "تلك الغرانيق..." فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته" اهـ. وقال ابن عطية: "وهذا الحديث الذي فيه الغرانيق العلا وقع في كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب أهل الحديث أن الشيطان ألقى، ولا يعنون هذا السبب ولا غيره، ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة، بها وقعت الفتنة" اهـ [تفسير القرطبي ١٢/ ٨١].

وقال القاضي عياض في الشفاء (٢/ ١٠٧): "... هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب=

البخاري[1] والترمذي وصححه [2] عن عكرمة عن ابن عباس قال: "سجد رسول الله ﷺ في سورة النجم فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس".

قلت: فسجود المشركين كان السبب المذكور [3] / لأنهم ظنوا أنه قد وافقهم ٥١م
بمدحه آلهتهم وصار الدين واحدا، أو أنهم سجدوا لآلهتهم إعظاما لما سمعوا من مدحها.

وأما الجن فلعلهم جاءوا يستمعون القرآن كما حكى عنهم فيه.

ولا محذور في هذه القضية بوجه من الوجوه لأن الأنبياء في الحقيقة بشر

= المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم" اهـ. وقد أورد عدة روايات وأقوال تدل على عدم صحة القصة. وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٢٩): "ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم" اهـ. وقال القرطبي في تفسيره (١٢/ ٨٠): "وليس منها شيء صحيح" اهـ قلت: مما تقدم يتبين لنا عدم صحة هذه القصة. وعلى فرض صحتها فليس للطاعنين بها متمسك إذ يكون المعنى: كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها. ويؤيد هذا أن تمنى في الآية بمعنى تلى. "حتى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ويحكم ما يريد" وقد قال بعض العلماء بذلك ـ والله أعلم ـ.

(١) في كتاب: سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين، وفي كتاب التفسير "تفسير سورة ٥٣- النجم - باب: "فاسجدوا لله واعبدون"[الآية : ٦٢] عن ابن عباس.

(٢) في كتاب الجمعة، باب ما جاء في السجدة في النجم، عن ابن عباس، قال الترمذي: "وفي الباب عن ابن مسعود، وأبي هريرة. قال: أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح".

(٣) نقل ابن حجر في الفتح (٨/ ٦١٤) عن الكرماني قوله: "وما قيل من أن ذلك بسبب إلقاء الشيطان في أثناء قراءة رسول الله ﷺ لا صحة له عقلا ونقلا" اهـ.

يجري عليهم الخطأ والنسيان ويتطرق عليهم الشيطان [1].

وقد اختلف العلماء [2] في أنهم معصومون من المعاصي مطلقا أو من الكبائر فقط أو منها عمدا أو من الصغائر كذلك؟ وجوز بعض الناس عليهم الكفر بناء على أن مطلق المعصية جائز عليهم / وهو كفر في خلاف كبير [3]، لكن اتفقوا على أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله من الوحي بحيث لا يلحقهم فيه خطأ، ١٧٤أ

---

(١) هذا في غير ما يبلغونه للناس من الشرائع، ثم إنهم ينبهون عليه أيضا. كما في قوله تعالى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ الآيات. قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ في الفصل (٤/ ٦): "ونقول: إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد، ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى، والتقرب به منه، فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقر على شيء من هذين الوجهين أصلا، بل ينبه على ذلك ولابد إثر وقوعه منهم، ويظهر عز وجل ذلك لعباده، ويبين لهم، كما فعل النبي ﷺ في سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين، وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه ـ عليه السلام ـ في أمر زينب أم المؤمنين، وطلاق زيد لها ـ رضي الله عنهما ـ، وفي قصة ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ وربما يبغض المكروه في الدنيا كالذي أصاب آدم، ويونس ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بخلافنا في هذا فإننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه، ولا بما قصدنا به وجه الله ـ عز وجل ـ فلم يصادف مراده تعالى، بل نحن مأجورين على هذا الوجه أجرا واحدا".

(٢) ليس علماء السلف بل أهل الكلام أما السلف الصالح فإنهم متفقون على عصمتهم فيما يبلغون عن الله وعن الكبائر والفواحش.

(٣) انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ٤/ ٥-٥٩.

وإن لحقهم فيه خطأ بسهو منهم أو تلبيس من شيطان إنسي أو جني نبهوا عليه، ولم يقروا عليه، وهكذا جرى في هذه القصة وأخبر الله أنه يحكم آياته وينسخ ما يلقي الشيطان [1].

وأما تشنيعه /بقوله: "حاشى لله ومعاذ الله أن يتسلط الشيطان على الأنبياء ٤٢ش
بمثل هذا" فلعمري أن هذا ليس غيرة منه على الأنبياء ولا تعظيما لهم. فإن اضطرابه في هذا الكتاب بين الفلسفة والشرع يدل على أنه محلول الرابطة بالكلية أو مذبذب لا إلى هذا ولا إلى هذا. ولكن عنادا للإسلام كما قيل:

وما من حبه يحنو عليه ** ولكن بغض قوم آخرينا [2]

ولعمري إن منصب الأنبياء محفوظ، ولكن هذا أمر جائز عليهم عقلا وشرعا، ولسنا نعطيهم ما ليس لهم ولا هم يرضون بذلك.

---

(١) اتفق السلف والأئمة وجمهور المسلمين على أن الرسل يجري عليهم من الخطأ والنسيان ما يجري على غيرهم في غير ما يبلغونه عن الله تعالى من وحي الله وشريعته، لأن عدم العصمة في ذلك مناقض لمقصود الرسالة، والخطأ فيه وإن لم يتعمد يخرج المبلغ عن الرسالة فلا يكون رسولا. لكن اختلفوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركونه ويبينونه فلا ينافي مقصود الرسالة؟ كما نقل من ذكر "تلك الغرانيق العلى..." وكما ذكره الطوفي هنا. والراجح والله أعلم أنه معصوم من الخطأ فيما يبلغه عن الله عز وجل.

[انظر الجواب الصحيح ١/ ١٧٨ - ١٨٠، وهامش ص:٣٩٨ من هذا الكتاب.

(٢) لم أعرف قائل هذا البيت مما اطلعت عليه من المراجع.

ولهذا قال نبينا ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» [1] يعني حيث اتخذوه إلها، ولكل أحد رتبة لا يتجاوزها فرفعه عنها إفراط ووضعه عنها تفريط.

أما جواز ذلك عليهم عقلا فلأنه لا يلزم منه محال لذاته ولا لغيره.

وأما جوازه شرعا فثبت في شرعنا: أن إبليس سلط على آدم فأخرجه من الجنة [2] وما ذكر في التوراة من أن الحية أغوته لا ينافي ذلك. لأن إبليس دخل في فم الحية إلى الجنة فأغواه [3].

وورد في الآثار: أن موسى لما ذهب لمناجاة ربه على الجبل كان إبليس يدور حوله، فقال / له بعض ملائكة الرب: ويحك يا إبليس بم تطمع من موسى وهو ١٧٥
في هذا المقام؟ قال بما طمعت به من أبيه حين أخرجته من الجنة [4].

---

(١) أخرجه البخاري عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ولفظه: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبدالله ورسوله) وأخرجه الدارمي في كتاب الرقاق، باب قول النبي: « لا تطروني. . . » عن عمر أيضا بلفظ: (لا تطروني كما تطرئ النصارى عيسى بن مريم، ولكن قولوا عبدالله ورسوله» وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٣، ٢٤) أحدهما بلفظ البخاري عن عمر أيضا.

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ...﴾ الآية [سورة البقرة، آية: ٣٦].

(٣) القصة في سفر التكوين الأصحاح الثالث. وأوردها ابن جرير في تفسيره (١/ ٢٣٥) عن وهب ابن منبه.

وسلط على أيوب حتى أتلف جسده وماله امتحانا من الله له بالصبر [1] وسلط بعض الشياطين على سليمان فأخذ خاتمه وألقاه في البحر بعد أن ألقى عليه شبه / سليمان فجلس على كرسيه أياما [2]. وذلك تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٥٢م سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [3] وكان سليمان مسلطا على أصناف العالم.

وبهذا يحصل الجواب عما ذكره في سياق حديث البخاري.

وقوله فيما سيأتي من كلامه: "هذا من الخرافات التي جاء بها القرآن" دعوى مجردة، غاية مستنده فيها سكوت التوراة وكتب الأوائل عنها، وذلك في الحقيقة استدلال على نفي العلم الوجودي بالجهل العدمي، وهو قلة معرفة بالمناظرة.

---

(٤) لم أجد هذا الأثر.

(١) هذه القصة من الإسرائيليات المروية عن وهب بن منبه أوردها المفسرون كالطبري في تفسيره (١٧/ ٥٧) وانظر سفر أيوب الأصحاح الأول والثاني والثالث.

وقد ذكر الله في القرآن الكريم قصة صبر أيوب وما ابتلاه به قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص، آية: ٤١-٤٤]، وذكر المفسرون عند تفسير هذه الآيات شيئا مما تعرض له من الابتلاء. والله المستعان.

(٢) هذه القصة من الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون منهم ابن جرير في تفسيره (١٣/ ١٥٧، ١٥٨)، وابن كثير في تفسيره أيضا (٤/ ٣٤-٣٧) وقال: "وهو غريب جدا". اهـ.

(٣) سورة ص، آية: ٣٤.

وقد صح عندكم في الإنجيل: أن المسيح لما اعتمد من يوحنا المعمداني سلط عليه الشيطان امتحانا له. فقال له: "إن كنت محفوظا فألق نفسك من أعلى هذا الهيكل. فقال له: مكتوب لا تمتحن ربك. وقال له: اسجد لي وأعطيك ممالك العالم كلها ـ وكانت قد رفعت له ـ فقال له يسوع: مكتوب اعبد ربك وحده" [1]. معنى القصة هذا.

وإذا جاز أن يتعرض الشيطان للأنبياء ويسلمون منه فما المانع من [2] أن يتعرض لهم، وينال [3] منهم. بل هذا ألزم عليكم. لأن المسيح عندكم هو الله أو ابن الله، وقد عارضه الشيطان حتى لقي منه شدة على ما أشار إليه الإنجيل، أو صرح به فالأنبياء لا يبعد أن ينال / منهم ثم يتداركهم ١٧٦
الله بعصمته. وقد سحر نبينا محمدا ﷺ بعض شياطين اليهود [4] حتى أثر ذلك في أفعاله، ثم شفاه الله تعالى [5] من ذلك [6]، وأنزل عليه

---

(١) إنجيل متى أول الأصحاح الرابع.

(٢) من: ساقطة من (م).

(٣) في (أ): وبيان منهم.

(٤) هو من بني زريق واسمه: لبيد بن الأعصم، قيل: كان من اليهود وقيل كان من حلفاء اليهود وقيل كان يهوديا وأسلم نفاقا. والصحيح أنه يهودي من بني زريق كما صرح بذلك مسلم في روايته للحديث.

(٥) كلمة: "تعالى" ليست في (أ) و (ش).

(٦) أخرجه البخاري في الطب باب السحر عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله. حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، لكنه دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند =

المعوذات [1].

وبالجملة. الأنبياء بشر، والبشر عرضة لهذه الآفات وغيرها. ثم يتدارك الله بعصمته من شاء./ وإذا كان إلهكم المسيح سلط عليه شياطين اليهود، الذين ٤٣ش
كيدهم دون كيد الشيطان الحقيقي بكثير فصلبوه وأهانوه ودفن ثم بعث ثلاثة أيام - على زعمكم - فكيف لا يتطرق على الأنبياء - الذين هم دون رتبة الإلهية بكثير - شيطان الجن الذي هو أقوى كيدا من شياطين الإنس بكثير؟ [2] هذا مما لا يحيله عاقل ولا عادل.

= رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجفّ طلع نخلة ذكر. قال: وأين هو؟ قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعه الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا. فأمر بها فدفنت" وأخرجه أيضا في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، وفي كتاب الأدب باب قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ...﴾ وفي الدعوات، باب تكرير الدعاء. بألفاظ غير هذا اللفظ. وأخرجه مسلم في كتاب السلام باب السحر حديث ٤٣، وأخرجه ابن ماجه في الطب، باب السحر بلفظ مسلم، وأحمد في المسند (٦/ ٥٧) بلفظ مسلم أيضا.

(١) هكذا في النسخ الثلاث بالجمع والصواب: المعوذتين. وعبارة: "وأنزل الله عليه..." في الأثر الذي أورده الإمام الثعلبي في تفسيره: "وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مسطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين - يعني الفلق والناس - فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة..." الخ روايته [انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٤]. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٤٦-٣٤٧، من غير إسناد.

(٢) روي أثر منقطع أن النبي ﷺ قال عندما سأله أبو ذر: «وهل للإنس من شياطين قال: نعم هم شر من شياطين الجن» ولكن الصحيح ما قاله المؤلف - والله أعلم - أن شياطين الجن أضر على الإنس لملازمتهم الناس كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في كتاب صفات=

ثم نقول لهذا الخصم: ما نرى مثلك في تنزيهك للأنبياء عما ذكرت إلا ما حكي عن بعض النساء الخفرات [١] أنها [٢] مرت على رجال فاستحيت منهم فكشفت ثوبها عن استها حتى غطت وجهها، وكرجل قال لرسوله: إذا وصلت إلى فلان فسلم لي عليه وصك لي قفاه.

فإنك تنزه الأنبياء عن أن يتعرض لهم الشيطان تعرضا مأمون العاقبة متداركاً بالعصمة الإلهية. ثم إنك تصدق ما في التوراة من أن روبيل [٣] بن يعقوب وطىء سرية أبيه، ونجس فراشه [٤].

٥٣م وأن يهوذا وجد كنته - زوجة ابنه - على الطريق في صورة زانية فزنى بها بجدي ثم رهنها به [٥] خاتمه وعمامته وقضيبا كان في يده، ثم إنه لما ظهر حملها أمر برجمها [٦] فلما عرّفته أن الحمل منه وأرته العلامة أمر بتركها [٧].

= المنافقين حديث ٦٩: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا: وإياك يارسول الله" قال: «وإياي إلا أن الله قد أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» أما شياطين الإنس فلا يلازمون الإنسان في كل وقت ملازمة شياطين الجن.

(١) من الخفر وهو شدة الحياء. [لسان العرب ٤/ ٢٥٣، ومختار الصحاح ١٨٢].

(٢) أنها: ساقطة من (م) و(ش).

(٣) في التراجم الحديثة: رأوبين.

(٤) انظر سفر التكوين الأصحاح الخامس والثلاثين.

(٥) به: ليست في (م).

(٦) في التراجم الحديثة أنه أمر بحرقها.

(٧) انظر سفر التكوين الأصحاح الثامن والثلاثين.

وأن عظيم ساليم قرية سجيم [١] زنا ببنت يعقوب ثم خطبها، وأن ذلك أغضب إخوتها حتى خدعوهم باقتراح الختان / عليهم، ثم دخلوا وهم مرضى من ألم الختان فقتلوهم، وأخذوا أموالهم [٢]. ١٧٧

وأن لوطا لما نجا من عذاب قومه أسقته ابنتاه الخمر، ثم ضاجعتاه فوطئهما فأحبلهما [٣].

وهذا منصوص مصرح به في التوراة التي بأيديكم وأنتم مع ذلك تحتجون علينا بما فيها. وهذه حكايات ـ والله ـ يتنزه سوقة [٤] الناس ورعاعهم وأراذلهم عنها. بل عما هو دونها. وأنتم تنسبونها إلى الأنبياء فلعن الله من قال ذلك، ومن يصدقه، فما أسرع ما نسيتم العدل والإنصاف الذي أمركم به المسيح في الإنجيل. لقد أطعتموه في ذلك كما أطاعته اليهود حيث فعلوا به ما فعلوه من الإهانة والصلب [٥] فعليكم جميعا من الله ما تستحقونه.

فإن صدّقت بما في التوراة من هذا الهذيان فيكفيك ذلك جهلا وحمقا وقلة

---

(١) في التراجم الحديثة: شكيم.

(٢) انظر سفر التكوين الأصحاح الرابع والثلاثين.

(٣) انظر سفر التكوين الأصحاح التاسع عشر.

(٤) في (م): "يتنزه عنها سوقة الناس" والسّوقة: الرعية من دون الملك سموا سوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم. يقال للجماعة والواحد والمذكر والمؤنث.

[انظر لسان العرب ١٠/ ١٧٠، ومختار الصحاح: ٣٢٣، والمصباح المنير ١/ ٣٥٠.

(٥) هذا على زعم النصارى واليهود.

عقل، وسخافة رأي وزندقة؛ حيث تنسبون الأنبياء المعصومين المعظمين إلى المكر والخذاع والزنا بالأجانب وبالبنات وسراري الآباء، وإن لم تصدقوه فكيف تحتجون علينا بكتب فيها مثل هذا الفشار؟ (١).

قوله: "تضمنت هذه القصة باطلين. أحدهما: نسبة الرسل إلى هذه المثلبة والافتراء عليهم بذلك".

قلنا قد بينا أن هذا لا غضاضة عليهم فيه، وليس هذا افتراء عليهم لأنه نبي معصوم مثلهم. وقد أخبر عنهم بما أوحي إليه.

وأما الباطل الثاني وهو إخباره بأن للأصنام شفاعة فليس ذلك من إخباره، وإنما الشيطان أخبر به على لسانه. وقد بينا أن لا محذور في ذلك ثم نسخه الله. وإنما كان يتجه القدح أن لو لم ينسخ واستمر لكنه لم يستمر بحمد الله. / ١٧٨

وفسر بعض العلماء إلقاء الشيطان في أمنيته وعلى لسانه بأنه/ نطق بما نطق به مقارنا لنطقه فاشتبه صوته بصوته (٢). وهو أولى ما يقال. وبهذا يلتغي (٣) المحذور بالأصالة جدا، ثم ننبه ههنا لدقيقة وهي أن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ... (٥٢) ﴾ (٤) لا يقتضي ٤٤ش

---

(١) الفشار: كغراب: عامية تستعمل بمعنى الهذيان. [انظر تاج العروس ٣/ ٤٧٠].

(٢) هذا على فرض صحة القصة وإلا فقد نقلت أقوال العلماء في بطلانها فيما سبق.

(٣) في (أ): يكتفى. وفي (ش): يتغي.

(٤) سور الحج، آية: ٥٢.

أن [1] كل رسول ونبي تمنى وألقى الشيطان في أمنيتـه، / بل يقتضي أن من وجد منه التمني كمـا وجد منك "ألقى الشيطان في أمنيته" كـما ألقى في أمنيتك وذلك لأن الإلقاء وقع في جواب إذا الشرطية التي ينتفي مشروطها لانتفاء شرطه، فحينئذ نقول: قد يوجد التمني من بعض الأنبياء فيوجد الإلقاء من الشيطان وقد لا يوجد التمني فلا يوجد الإلقاء. هذا مقتضى الآية لفظا [2]. ٥٤م

أما عـقلا فيقـتضي أن كلهم تمنوا وكلهم ألقي في أمنيـته لأن الله سبـحانه بعـثهـم رحـمـة للخـلق، فمـن المحـال عادة أن نبـيا يبـعث إلى أمة، ولا يتـمنى رشادها [3] وهداها واتباع ما جاء به من الحق، وترك هواها.

وأما قوله فـي حديث البخاري: "من له هذا السلطان على الشـيطان؟ كيف يعبث به الشيطان هذا العبث؟" فقد سبق جـوابه عند ذكر عبث الشيطان بسليمان،

---

(١) أن: ليست في (أ). (ش)

(٢) قلت: ثم تمنى قد جاء تفسيرها عن ابن عـباس بمعنى حدّث وقرأ فيكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسـول ولا نبي إلا إذا حدّث ألقى الشـيطان في حديثـه أو قراءته فينسخ اللـه ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته. . . ، [انظر صحيح البخاري كتاب التفسير ٢٢ سورة الحج، وتفسير السعدي ٥/ ٣٠٩].

(٣) التمني له معنيان يقال: تمنى: أي: قرأ، أو قال، أو تلا، أو حدّث ويقال: تمنى: اشتهى حصول الأمر المرغوب فيـه، وهو حديث النفس بما يكون وما لا يكون، وتمنى الشيء أراده، والآية على المعنى الأول، وليس على الثاني كمـا سار عليه المؤلف هنا، فإنه غيـر المقصود في الآية. [انظر لسـان العرب ١٥/ ٢٩٤-٢٩٥، وتفسير القرطبي ٢/ ٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٠].

ونزيد ههنا بأن نقـول: هو وإن كان له على الشيطان هذا السـلطان لكن يجوز أن يسلط عليه الشيطان بإذن الله لحكمة. وقد بين الله سـبحانه الحكمة في ذلك حيث يقول: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] يعني الكفار والمنافقين كانوا قد أيسوا من محمد أن يـعبد آلهتهم، / أو يسكت عن ذمها، وقد ٢٧٩أ ضجـر بعضـهم وهمّ أن يدخل في الإسلام فـألقى الشيطان على لـسانه[2] مدح الأصنام ليظنوا أنهم منها على شيء فيتمسكوا بعبادتها، وأن لها قدرا عند محمد، فيطمعون في إجابتـه إلى عبادتها أو الكف[3] عنها، فأمسك من كان أراد الدخول في الإسلام عنه بهذا السبب حتى مات كافـرا، وظنوا أن رجوع محمد عن مدحها بعد إلقائه على لسانه عناد لها ورجوع عن الحق في أمرها [4]. وهذه الآية من أكبر الأدلة على إثبات القدر. وسيأتي عند ذكر هذا الخصم له.

---

(١) سورة الحج، آية: ٥٣.

(٢) قال الإمام القـرطبي في تفسيـره (١٢/ ٨٢): "والذي يظهر ويترجح في تأويلها على تسـليمه أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا، ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصـد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيهـا ما اختلقه من تلك الكلمات، مـحاكيا نغمة النبي ﷺ. بحـيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قـول النبي ﷺ وأشاعوها، ولـم يقـدح ذلك عند المسلمين لحـفظ السورة قبل ذلك على مـا أنزلها الله، وتحققـهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبها . . ." اهـ.

(٣) في (ش): والكف.

(٤) كل هذا الكلام الذي ذكـره الطوفي بناء على مـا رآه من صـحة القـصـة، ولذلك بنى رده على النصراني في هذه المسألة على أنها صحيحة، وليست كذلك ـ والله أعلم ـ.

وأما قوله: "تضمن هذا الحديث أن الشيطان متجسم": [تجسم الشياطين]

قلنا: نعم.

قوله: هذا باطل: لأن الشياطين بسائط مجردة عن المادة.

قلنا: عن المادة العنصرية الكثيفة التي هي كمواد الآدميين؟ أو عن المادة مطلقا؟.

الثاني: ممنوع. والأول: مسلم فإن لهم مادة لطيفة، وكذا الملائكة فإن الشياطين خلقوا من نار، والملائكة من نور، كما صح في السنة النبوية [1]. ثم كيف تصح دعوى تجردهم عن المادة مطلقا.

وقد ذكر في الأناجيل في نحو عشرين موضعا. منها: أن المسيح كان يخرج الشياطين من الناس / وأن بعض الشياطين استغاث منه وقال: "مالنا ولك يا ٥٥م مسيح ابن الله" [2] وأنه أخرج الشياطين في بعض المرات/ إلى قطيع خنازير ٤٥ش فأخذوها حتى رموها في البحر فغرقت [3]، وأنه أخرج من "مريم المجدلية" سبع شياطين، ولذلك لازمت خدمته حتى مات، وكانت أول من رآه بعد قيامه من

---

(١) أخرج مسلم في الزهد، باب في أحاديث متفرقة حديث رقم ٦٠، وأحمد في المسند (٦/١٥٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» وهذا لفظ مسلم.

(٢) انظر إنجيل مرقس الأصحاح الخامس.

(٣) انظر إنجيل مرقس الأصحاح الخامس.

الأموات، وبشرت [1] به التلاميذ [2].

١٨٠ فهل يصح عند عاقل / أن يدخل في الحيوان ويخرج منه ويستغيث ويصوت إلا جسم؟.

وأما قوله: إن هذا هو قول الأنبياء والفلاسفة. فهو كذب وافتراء على الطائفتين، أما على الأنبياء فلأن إبراهيم وإسحق ويعقوب كانوا يرون الملائكة أجساما [3]. وقد صرح في التوراة أن "يعقوب" لما عاد من "حوران" إلى "كنعان" عرض له عند قرية "بالق" [4] رجل فصارعه إلى أن أسفر الصبح وقال له في آخر القصة: "أنت إسرائيل لأنك قاومت الملك والرجل" [5].

فنقول: هذا: إما ملك أو شيطان، وأيهما كان بطلت دعوى هذا في أن ما ذكره مذهب الأنبياء.

لكن رأيت بعض النصارى قد تدمّغ [6] وزعم أن المصارع ليعقوب هنا كان هو الله وهذا رأي المجانين، وهو نظير قولهم إن المسيح هو الله، وبذلك استدل على هذا.

---

(١) في (ش)، (أ): وبشر به التلاميذ.

(٢) انظر الأصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ الآيات [سورة الحجر ٥١-٦٠].

(٤) في التراجم الحديثة: يبّوق. ولم أجد لها ذكرا.

(٥) انظر سفر التكوين الأصحاح الثاني والثلاثين.

(٦) المدمغ: الأحمق: كأن الشيطان دمغه... سمي دميغ ومدموغ لوفور حمقه. فدمغ: كثر فيه الحمق... وكأن الشيطان غلبه حتى قهره. فعلى هذا يكون معنى "تدمّغ" أي: بالغ في الحمق، والله أعلم. [تاج العروس ٦/٨-١٠].

يعني: أن الله سبحانه [1] لا يظهر للناس حتى يتأنس بهم ويظهر في مظاهرهم. وأما على الفلاسفة فلأنهم يزعمون: أن الملائكة قوى الأفلاك، والشياطين قوى النفوس الأمارة [2]. والله أعلم.

قال: "ولقد قال [3] في إخباره عن ملك سليمان خرافات. أفصح بها [بين القرآن والنصارى فيما أوتي سليمان عليه السلام] القرآن من ذلك في سورة النمل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ إلى قوله: ﴿...وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [4] وذكر كلاما يتعلق بتفسير ذلك عن ابن عطية حكاه عن ابن سلام وابن عباس وغيرهما.

ثم قال: "فانظر بعقلك أيها المسترشد إلى هذه الحكاية، وما تحتوي عليه من الأمور التي لو كانت لسليمان أو بعضها لسبق ذكر ذلك في المصاحف لأنها من العجائب التي تتوفر الدواعي على نقلها. فعلم أن تلك خرافات/ موسوسة". ١٨١أ

---

(١) "سبحانه" مكررة في (أ).

(٢) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦١): "وإنما الملائكة عندهم ـ أي الفلاسفة ـ ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية، هي العقول عندهم، وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه" وذكر أنهم ينفون أن يعملوا شيئا أو يؤمروا بشيء ثم قال: "وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال: الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد. والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة" اهـ.

(٣) «قال» ليست في (أ)، (م).

(٤) سورة النمل، آية: ١٦-٤٤.

قلت: أما ما ذكره ابن عطية وغيره من المفسرين فلسنا بصدد الجواب عنه، لأنا لسنا على يقين من صحته، وهم ليسوا معصومين. وإنما نحن بصدد الجواب عن القرآن الكريم، الصادر عن المعصوم [1] على لسان المعصوم بواسطة المعصوم[2].

والجواب: أن ما ذكر في سورة النمل وغيرها من سور القرآن من الحكايات [3] / والقصص والعجائب ممكن أخبر به الصادق. وكل ممكن أخبر به ٥٦م

---

(١) العصمة لغة: المنع يقال: عصمته عن الطعام: منعته عن تناوله، وعصمته من الكذب أي منعته منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [هود، آية: ٤٣] أي لا مانع. وفي الحديث الذي رواه البخاري في الإيمان باب ١٧ ومسلم في الإيمان حديث ٣٤-٣٦، وغيرهما "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله" أي منعوا مني دماءهم.

وهي في الاصطلاح: حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المحرمات. [النبوة والأنبياء للصابوني ص ٥٣، ٥٤، ولسان العرب ١٣/ ٤٠٣-٤٠٤].

قلت: ومن هذا التعريف يظهر أن لفظ "معصوم" اسم مفعول من عصم ويدل على أن غيره عصمه فاطلاقه في حق الله غير صحيح، لأنه هو العاصم لغيره سبحانه، وإن كان كثير من العلماء يطلقونه على أنه صاحب الكمال سبحانه الذي لا صدر منه كذب ولا نقص، ولكن الأولى عدم اطلاق لفظ "معصوم" على الله لما ذكرنا. والله أعلم.

(٢) جبريل عليه السلام.

(٣) الحكايات: جمع حكاية من حكيت الشيء حكاية إذا أتيت بمثله على الصفة التي أتى بها غيرك فأنت كالناقل. [انظر لسان العرب ١٤/ ١٩١ والمصباح المنير ١/ ١٧٦] قلت: والحكاية تستعمل عادة في الأخبار غير الصحيحة أو التي سمعت من الناس دون معرفة صحتها. وهذا لا يليق أن نعبر به عما في كتاب الله من الأخبار الموحى بها. والمؤلف هنا قال حكايات تنزلا لا موافقة للنصراني. والله أعلم.

الصادق فهو حق واقع. فما ذكر في سورة النمل وغيرها حق واقع. أما إمكانه فلا نزاع فيه عند من سمعه من العقلاء. إذ الممكن ما لا يلزم من فرض وقوعه محال.

٤٦ش وأما / كون الذي أخبر به صادقا فلوجوه:

أحدها: ظهور المعجزات الخوارق على يديه. وسنذكرها، وبرهان إثباتها فيما بعد عند قدحك في القرآن في شرط المعجز.

الثاني: ما اشتهر من أن قريشا ما كانت تسميه منذ كان صبيا حتى ادعى النبوة إلا الأمين [١] وإنما كذبوه فيما بعد ذلك، لكونه أخبرهم بحقائق إلهية لم تدركها عقولهم. وذلك جهل منهم بأحكام الشرائع. وأنت قد قدمت عند بيان ضرورة النبوة: أن العقل لا يستقل بمعرفة الحقائق الإلهية بدون تأييد إلهي وكتكذيب اليهود للمسيح، وكان صادقا.

الثالث: الطريق التي استدل بها "هرقل" [٢] ملك الروم على صحة نبوته. وأنا أسردها بكمالها تكميلا لفائدتها:

قال البخاري: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع [٣]، قال: أخبرنا

---

(١) وكانوا يسمونه: الصادق.

(٢) هرقل: هو ملك الروم. وهذا اسمه ولقبه: قيصر، كما يلقب ملك الفرس كسرى. [فتح الباري ١/ ٣٢].

(٣) أبواليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي، اشتهر بكنيته، يقال: إن أكثر حديثه عن شعيب بن أبي حمزة الآتي ذكره ـ وأبو اليمان ثقة ثبت، توفي ـ رحمه الله ـ سنة إحدى عشرة ومائتين، وقال البخاري وغيره سنة اثنتين وعشرين ومائتين من الهجرة. [انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٤١-٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٩-٣٢٥].

شعيب [1] عن الزهري [2] قال: أخبرني عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود [3] أن عبدالله بن / عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب [4] أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام، في المدة التي كان ١٨٢أ

---

(١) أبومعشر شعيب بن أبي حمزة الأموي الحمصي. أحد العبّاد، قال ابن معين: "من أثبت الناس في الزهري" توفي سنة اثنتين وستين ومائة للهجرة. وقيل: سنة ثلاث وستين ومائة. [انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٣٤٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ١٨٧-١٩١].

(٢) أبوبكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب من قريش، المدني أول من دون الحديث من كبار الحفاظ والفقهاء من التابعين، روي عنه أنه قال: "ما استودعت قلبي شيئا فنسيته قط" ومن أقواله: "العلم ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال" كان زاهدا في الدنيا، وكانت ولادته في آخر خلافة معاوية في سنة ثمان وخمسين من الهجرة. في سنة وفاة عائشة ـ رضي الله عنها ـ . [انظر صفة الصفوة ٢/ ١٣٦-١٣٩، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦-٣٥٠].

(٣) أبو عبدالله الهذلي أحد فقهاء التابعين بالمدينة جده عتبة هو أخو عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال الزهري ما جالست عالما إلا ورأيت أني أتيت على ما عنده إلا عبيد الله. . . فاني لم آته إلا وجدت عنده علما طريفا" توفي سنة تسع وتسعين للهجرة وقيل غير ذلك. [انظر تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٣١٢، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٥-٤٧٩].

(٤) ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. . . رأس قريش وقائدهم يوم أحد والخندق. . . ولكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مكره خائف. ثم بعد أيام صلح إسلامه. وشهد قتال الطائف فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذ يحرض المسلمين على الجهاد فكان يصيح: " يا نصر الله اقترب" وكان يومها تحت راية ولده يزيد، توفي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل غير ذلك.

[انظر سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٥-١٠٧].

رسول الله ﷺ مادّ [1] فيها [2] أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء [3] فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقلت: أنا. قال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل [4] لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة [5] لدينه بعد أن يدخل فيه [6]؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في / مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكنّي كلمة أدخل فيها شيئا غير ٥٧م
هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت:

---

(١) في (ش) هادن.

(٢) مادّ أبا سفيان: أي صالحه، وقد كان الصلح من قريش مع النبي ﷺ عشر سنين، وقيل: أربع سنين ثم نقضت قريش العهد. [انظر فتح الباري ١/ ٣٤].

(٣) ايلياء: اسم من أسماء مدينة بيت المقدس، عبري. قيل: معناه بيت الله. [انظر تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٠، ومراصد الاطلاع ١/ ١٣٨].

(٤) في (أ): قال لهم.

(٥) سخطة: ليست في (أ): والسخطة من السخط: الكراهية للشيء وعدم الرضا به. [انظر لسان العرب ٧/ ٣١٢-٣١٣، والمصباح المنير ١/ ٣١٩].

(٦) فيه: ليست في (أ).

الحرب بيننا وبينه سجال [1]، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب / وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك؟ هل أحد منكم ١٨٣ظ قال هذا القول؟ فذكرت أن لا. فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي [2] بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من [3] ملك؟ فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألت: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا. فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. / وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ٤٧ش ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطه لدينه، بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا. وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب [4]. وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا

---

(١) سجال: بكسر أوله: أي نوب، من ساجل الرجل الرجل: باراه، وأصله في الاستقاء بالدلو، والمساجلة: المفاخرة بأن يصنع مثل صنيعه في جري أو سقي أو غير ذلك. [انظر فتح الباري ١/ ٣٦، ولسان العرب ١١/ ٣٢٦، والمصباح المنير ١/ ٣١٧].

(٢) اتسى به: جعله أسوة، أي: اقتدى به. [انظر لسان العرب ١٤/ ٣٥-٣٦، ومختار الصحاح ص ١٧].

(٣) من: ليست في (م).

(٤) أي: يخالط الإيمان انشراح الصدر. [انظر فتح الباري ١/ ٣٦].

وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت [1] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدمه" [2].

قلت: فهذا حديث صحيح ثابت بإجماع المسلمين، ويستحيل عادة اختلاق مثله. ثم لو سلم أنه مختلق، لكن هذه القضايا التي فيه مشهورة مثل أنه لم يكن في قومه / نبي [3] ولا ملك، وأنه غير كاذب ولا غادر ونحوها. ٨٤أ

ووجه الاستدلال منها ظاهر جدا، فلو وفق النصارى كلهم لما وفق له هذا الملك [4]، لأفلحوا كل الفلاح، ثم مقصودنا منه: استدلاله على صدقه بقوله: "لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله". / ٥٨م

وهكذا النجاشي ملك الحبشة لما سمع ما أنزل على محمد في سورة مريم من صفة المسيح حيث يقول: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ [5]

---

(١) لتجشمت: أي تكلفت الوصول إليه. [انظر فتح الباري ١/ ٣٧، ومختار الصحاح ص ١٠٥].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، الباب السادس، وفي الجهاد، باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا...﴾ بلفظ مقارب للفظ الأول وأطرافه في مواضع أخرى من صحيحه. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل بلفظ مقارب لهذا اللفظ، وأحمد في المسند (١/ ٢٦٢) بنحوه.

(٣) كلمة: "نبي" ليست في (أ).

(٤) هذا الملك وفق لمعرفة الحق دون الانتفاع به، وليس في هذا فلاح.

(٥) سورة مريم، آية: ٣٠.

الآيات. قال: "ما عدا المسيح ما قال هذه" يعني عوده في يده [1]، وبكى في حديث طويل، وهو حديث أم سلمة [2] عند هجرتهم إلى الحبشة، وفيه وفي أصحابه أنزل الله سبحانه [3]: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ... ﴿٨٣﴾﴾ [4].

---

(١) في (ش): "قوله في يده، وفي (أ): في يده وفي أصحابه. وفي مسند أحمد فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: " ماعدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود".

(٢) أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة بن عبدالله المخزومية بنت عم خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ من المهاجرات الأول إلى الحبشة كانت زوجة لأخي النبي ﷺ من الرضاعة أبي سلمة عبد الأسد المخزومي ـ رضي الله عنه ـ. دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وهي آخر من مات من أزواجه ﷺ بعد مقتل الحسين سنة إحدى وستين وقيل تسع وخمسين للهجرة. [انظر الاستيعاب ٤/١٩٣٩-١٩٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٠١-٢١٠].

(٣) هذه القصة في حديث أخرجه أحمد في المسند (١/٢٠١-٢٠٣)، (٥/ ٢٩٠-٢٩٢) ويسمى حديث الهجرة والقصة مشهورة قد رواها أصحاب السير كابن اسحق وغيره، من طريق أم سلمة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤-٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح" اهـ. وقال أحمد البنا في الفتح الرباني (٢٠/٢٢٩). الحديث صحيح . . ." اهـ.

قلت: والقصة ليست سبب نزول الآية كما قد يفهم من سياق المؤلف ـ رحمه الله ـ لأن الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة إلى المدينة [انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٨٥].

(٤) سورة المائدة، آية: ٨٢-٨٣.

فهـؤلاء ملوك النصارى يعتـرفون بالحق، ويصيـرون إليه، فلا عبـرة بقدح حثالتهم ورعاعهم.

وإنما قلنا: إن كل ممكن أخبر به الصادق فهو حق واقع لوجهين:

أحدهمـا: أنه لو لم يكن كذلك لم يكن لأحد وثوق بإخـبارات الله ورسله وليس كذلك.

الثاني: لو لم يكن كذلك لم يكن المخبر صادقا. لكنا فرضناه صادقا.

هذا خلف.

وأما قوله: "لو كانت هذه الأمور لسليمان لسبق [1] ذكرها في المصاحف" فجـوابه سبق فـي غير مـوضع. وهو أن هذا اسـتدلال [2] على الوجود المحض بالعدم المحض وهو جهالة.

وكم من واقعة عظيمة وغيرها قد وقعت / في ملك الله لم تذكر في التوراة ٨٥أ
ولا في الإنجيل ولا في القرآن. وقـد قال الله سبحانه لمحمـد ـ عليه السلام ـ في القرآن: ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ [3] وقال لليهود لما سألوه عن الروح: ﴿ ...قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا ٤٨ش
أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)﴾ [4].

---

(١) لسبق: ليست في (أ).

(٢) في (أ): أن هذا الاستدلال.

(٣) عبارة: ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ليست في (م)، والآية في سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

[الرد على النصراني في إنكار الجن وتجسم الشياطين]

قال: "وفي سورة الأحقاف [1]: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ... ﴿٢٩﴾﴾ وفي سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ الآيات. وذكر [2] ما ذكره ابن عطية وغيره في تفسير هذا من رمي مسترقي السمع لمبعثه ﷺ وأنهم تفرقوا ينظرون ما السبب؟ فوجدوا النبي - عليه السلام - يقرأ فعلموا أنه سبب منعهم [3]، وذكر حديث مسلم من رواية ابن مسعود قال: فقدنا النبي ﷺ ذات ليلة فقلنا: اغتيل [4]، أو

---

(١) الآية: ٢٩.

(٢) في (أ): وذكره ما ذكره . . . .

(٣) يقصد المؤلف بذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الآذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، وفي كتاب التفسير، تفسير سورة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: (انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن» وأخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجن، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب سورة الجن، وفي لفظه زيادة عنهما وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٥٢).

(٤) اغتيل: أهلك سرا. واغتاله أهلكه سراً. [انظر لسان العرب ١١/ ٥٠٧، وشرح صحيح مسلم ٤/ ١٧٠].

استطير [1]، فلما كان وجه الصبح إذا هو يجيء من قبل حراء، فقال: إنه "أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. قال / الشعبي: سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال: "كل عظم ٥٩م يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم" قال: "فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن" [2] ورواه أحمد [3].

قال: "وقد تقدم العلم بأن الشياطين بسائط مجردة عن المادة فكيف تصطلي بالنار وتركب الدواب، وتغتذي بنخر العظام؟ إن [4] وافقك عقلك على أن هذا حق فتزحزح عن الآدميين والحق بالبهائم".

قلت: الجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أنا قد بينا فيما تقدم أن الشياطين / ليست مجردة عن المادة مطلقا ١٨٦أ بل إن صح أن لها تجردا عن المادة فعن الكيفية. وحينئذ يجوز [5] أن يرد عليها هذه

---

(١) افي (ش): اغتيل استطير، قلت: استيطر: طارت به الجن، من استطار إذا انتشر في أفق السماء.

[انظر لسان العرب ٤/ ٥١٢-٥١٣، وشرح صحيح مسلم ٤/ ١٧٠].

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن حديث ١٥٠: بسنده عن علقمة قال: سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟... الخ والترمذي في تفسير سورة الأحقاف وبعضه في الطهارة باب ما جاء في كراهية ما يستنجى به، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٣٦) ولم يلتزم الطوفي عند إيراد الحديث بلفظ أحدهم.

(٣) تقدمت ترجمته ص: ٥٦ في القسم الدراسي.

(٤) إن: ليست في (أ).

(٥) «يجوز» ليست في (ش).

الأفعال بحسب مادتها. ودلالة الإنجيل قاطعة في نحو عشرين موضعا منه على عدم تجردها. كما سبق.

الثاني: أن الباري ـ سبحانه وتعالى ـ إن قلتم ليس مجردا عن المادة فقد جعلتم الملائكة والشياطين أكمل منه. وإن جردتموه عن المادة فقد جوزتم تأنسه بالإنس حتى يمازجهم ويظهر في مظاهرهم كظهوره في ناسوت المسيح حتى صار يأكل ويشرب ويتغوط ويقتل ويصلب ويركب [1] الحمار ويشرب الخمر ويحي العظام النخرة فيجعلها أوفر ما كانت لحما ويصلي ويتعبد، فجواز ذلك على الجن الذين هم بعض خلق الله ـ سبحانه ـ بقدرته عليهم، وتصرفه فيهم أولى، وحينئذ لا يمتنع أن الجن إذا أرادوا الطعام خلق الله لهم على ما وجدوه من العظام لحما يأكلونه [2]، وإن كنا نحن لا نرى ذلك، إذ لا حاجة بنا إليه فلا يوجد اللحم عليها حين نراها.

فإن قيل: المسيح كان يفعل ما ذكرتم من الأفعال بناسوته لا لاهوته.

قلنا: هذا باطل. فإنكم صرحتم بأن المسيح هو مجموع اللاهوت والناسوت وأن المسيح هو الله، وأنه إنما ظهر ذلك المظهر بطريق التأنس بالإنس والانتقال من حال إلى حال.

---

(١) في (أ): ويرد الحمار.

(٢) أخرج البخاري في مناقب الأنصار، باب ذكر الجن (٣٢) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: "... وإنه أتاني وفد جن نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما" اهـ.

كذا قـرره "ابن الأمثل" [1] مطران [2] "حمص" [3] منكم بنحو عـشرين حجة من التوراة والإنجيل.

منها أن الله ـ سبحانه ـ ظهر ليعقوب حين قدومه من عند خاله فصارعه إلى الصبح [4]. وهذه من جملة الحجج عليكم.

الثالث: أن هذا وأمثالـه من الحقائق الإلهية التي لا يستقـل العقل / بدركها ١٨٧
فيجب علينا تسلمهـا عن الشرائع. وإنما ينكر هذا فيلسوف لم ترض [5] نفسه في

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) مطران: عند النصـارى في درجـة القـاضي عند المسلمين، ولكن ليـس في درجتـه في الفـضل والإيمان فذاك نصراني كافـر وهذا مؤمن موحد. ففي تتمة المختـصر لابن الوردي: إن البطريق: إمام كبير عندهم. ومطران: قاض. ،والأسقف: مفت، والقسيس: قارئ، والجاثليق: إمام الصلاة. والشماس: مؤذن ومقيم وخادم.

[انظر هامش الجواب الصحيح ١/ ٣١٧ بتحقيق الدكتور علي بن حسن العسيري].

(٣) المدينة المعـروفة بالشـام في منتصف الطريق بين دمـشق وحلب، وكانـت أشهر من دمـشق وهي مسماة باسم من بناها وهو: حمص بن مكنف العمليقي، قـبر بها جماعة من الصحابة وحمص أيضا بلدة بالأندلس، يقال: إنها مدينة اشبيلية، يسمونها حمص أيضا.

[انظر تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٨٦، ومراصد الاطلاع ١/ ٤٢٥].

قلت: والذي يظهر لي أن المقصود بها اشبيلية في الأندلس والتي سماها عبدالرحمن بن معاوية: حمص حينما دخلها فاتحا كما سمى بقـية المدن في الأندلس بما يشابهها من مدن الشام وافريقيا. وقد كان للنصارى فيها شأن أيام الحروب الصليبية ولعل ابن الأمثل هذا منها.

(انظر الكامل في التاريخ ٤/ ٣٦١).

(٤) انظر الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين.

(٥) أي: لم تتسع وتنبـسط وتطيب، ومنه يقال: افـعل ما دامت النفس مسـتريضة. [انظر المصـباح المنير ١/ ٢٩١-٢٩٢، ومختار الصحاح ص ٢٦٣].

علوم الشرائع.

على أني أراك أيها الخصم مذبذبا. / تارة فيلسوفا صلفا [1]. وتارة مشرعا ٤٩ش
جلفا [2] فأراك كما قال بعضهم لامرأته: / ٦٠م

إني رأيتك في الهوى ذواقة

لا تصبرين على طعام واحد [3]

قال: *وانظر أيضا إلى قوله في سورة الرحمن يصف نساء الجنة، الحور العين: ﴿... لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [4] قال ابن عطية في التفسير: *قال مجاهد [5]: الجن قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن، إذا لم يذكر الزوج،

---

(١) صلفا: الصلف: مجاوزة القدر في الظّرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا. وهي آفة وغلو مع تكبر. [انظر لسان العرب ٩/١٩٦].

(٢) الجلف: الرجل الجافي في خَلقه وخُلقه، شبه بجلف الشاة: أي أن جوفة هواء لا عقل فيه. [انظر لسان العرب ٩/٣١، وإكمال الإعلام بتثليث الكلام ١/١١٨].

(٣) لم أعرف قائل هذا البيت. مع كثرة البحث عنه فيما استطعت الاطلاع عليه من المراجع.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٥٦.

(٥) مجاهد بن جبر شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود المخزومي. أكثر ما أخذ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وقد روى عنه قال: "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة" وفي رواية: ثلاث عرضات أقفه عند كل آية، أسأله فيم نزلت، وكيف كانت". ولد مجاهد في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وشهد وفاة عمر بن عبدالعزيز كان يحمد الله ـ عز وجل ـ أن منعه من الانحراف إلى الرفض والقدر أو التجهم ويقول: "ما أدري أي النعمتين أعظم، أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء». والأشهر أنه توفي سنة أربع ومائة من الهجرة.

[انظر سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩-٤٥٧، والتفسير والمفسرون ١/١٠٤].

"الله تعالى"[1] فنفى في هذه الآية جميع المجامعات. قال ضمرة بن حبيب [2]: "الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف [3]" يعني النساء من الجن، فنفى في هذه الآية الافتضاض في البشريات والجنيات".

قلت: هكذا وجدت كلامه، وهو مخبط لا يظهر منه وجه الإشكال لكنا نقول: أما قول مجاهد وضمرة بن حبيب فلسنا منه في شيء ولا يرد علينا لو عارض غيره، وأما معنى الآية فهو: أن لمن خاف مقام ربه في الجنة نساء أبكارا لم يفضضهن قبلهم أحد، إنسي ولا جني ثم تلك النساء يجوز أن يكن نساءهم في الدنيا، يعدن أبكارا كما قال تعالى: ﴿ ...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ... (١٠٤) ﴾ [4] ويجوز أن يكن منشآت من الجنة.

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٩، وتفسير الطبري ٢٧/ ١٥١، ونص كلامه فيهما: "إذا جامع الرجل ولم يسم، انطوى الجان على احليله فجامع معه".

(٢) ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي أبو عتبة الحمصي، كان مؤذن المسجد الجامع بدمشق، وثقه علماء الجرح والتعديل. توفي سنة ثلاثين ومائة من الهجرة [انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٩].

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٧/ ١٥١، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٨١.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠٤. وهذه الآية دليل على البعث، وأوضح في الاستدلال على ما نحن فيه قوله تعالى في سورة الواقعة (٣٥-٣٧): ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فقد روي في الآثار أن المراد: نساء بني آدم يخلقهن الله ويعيدهن شبابا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا. [انظر تفسير الطبري ٢٧/ ١٨٥-١٨٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١٠-٢١١، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٩١-٢٩٢].

وذكر حديث: «إذا أذن بالصلاة أدبر الشيطان له ضراط» الحديث [1].

وحديث: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب [2] فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله [3]».

قال: "هذا كله تصريح باغتذاء / الشياطين وجماعها". ٨٨

قلت: هذا كله إشكال يورده بناء على ما قرره من أن الشياطين بسائط مجردة عن المادة، لا يتأتى منها ذلك.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في كتاب العمل في الصلاة، باب يفكر الرجل في الصلاة، وأخرجه بنحوه في الأذان، باب فضل التأذين، وفي السهو، باب إذا لم يدرك كم صلى سجد سجدتين... وفي بدء الخلق، باب صفة إبليس. عن أبي هريرة في كل المواضع. وأخرجه مسلم عنه بألفاظ مختلفة في كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، حديث ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، وفي المساجد باب السهو في الصلاة. حديث ٨٣. وأبو داود عنه في الصلاة باب رفع الصوت بالأذان، والنسائي عنه في الأذان، باب فضل الأذان، والدارمي في الصلاة، باب الشيطان إذا سمع النداء فر، ومالك عنه في باب ما جاء في النداء للصلاة، وأحمد عنه في المسند (٢/٣١٣، ٤٦٠، ٥٠٣، ٥٢٢).

(٢) في الأصل: "فليأكل بيمينه ويشرب..." وما أثبته: لفظ مسلم وأبو داود وأحمد، وفي سنن الدارمي والموطأ: "فليأكل بيمينه وليشرب...".

(٣) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في الأشربة، باب آداب الطعام، حديث ١٠٥ عن ابن عمر، وأبو داود كذلك في الأطعمة، باب الأكل باليمين، والدارمي في الأطعمة باب الأكل باليمين، ومالك في الموطأ في صفة النبي ﷺ، باب النهي عن الأكل بالشمال، وأحمد في المسند (٢/٨، ٣٣، ١٣٥، ١٤٦، ٣٢٥) عن ابن عمر وأبي هريرة.

قلت: وكأنه يورد تناقضا آخر بين قوله: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [1] وبين قول مجاهد: "الجن تجامع نساء البشر" وقول ضمرة بن حبيب "الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف".

قلت: وجوابه من وجهين:

أحدهما: منع التناقض بما بيناه من أن المراد بالآية أن كلا من أهل الجنة له زوجات أبكار لم يطمثهن قبله غيره. وهذا لا ينفي أن الجن يجامعون نساءهم أو نساء غيرهم في الدنيا أو في الآخرة.

الثاني: أن التناقض بين قول الله سبحانه وأقوال المفسرين لا يلزمنا. لأن الخلاف بينهم كثير. فإن التزمنا ذلك طال علينا. ولأنهم ليسوا معصومين فيجوز أن يخطئوا.

قال: "وفي البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [2] قال: "إذا استيقظ أحدكم من نومه، فليستنثر ثلاثا. فإن الشيطان يبيت على خيشومه" [3] وفيه: "لا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس وغروبها، فإنها

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٥٦.

(٢) صلى الله عليه وسلم: ليست في (أ).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة ابليس وجنوده، عن أبي هريرة بلفظ مقارب لهذا اللفظ، ومسلم في الطهارة، باب الإيثار في الاستنثار والاستجمار، حديث ٢٣، عنه بنحوه والنسائي في الطهارة باب الأمر بالاستنثار عند الاستيقاظ من النوم، وأحمد في المسند (٢/ ٣٥٢).

تطلع / بين قرني شيطان" [1]. ٦١م

قلت: وجه سؤاله من هذا ما قدمه من أن الشيطان بسيط مجرد عن المادة فكيف يبيت على خيشوم الآدمي؟ وذلك يستدعي أن يكون جسما. وكيف يكون له قرنان؟ وأيضا: الشمس مثل الأرض مرارا كثيرة فكيف تطلع بين قرني شيطان؟.

والجواب: قد تكلمنا قبل على بساطة الشيطان وتجرده عن المادة ومنعناه مطلقا. بل هو تجرد مقيد ـ كما سبق ـ.

١٨٩أ وحينئذ يقع [2] منه المبيت على خيشوم الآدمي وأم رأسه / ، ليزين له النوم [3] ويثقله فيه، كي لا يستيقظ بالليل فيصلي. كما ذكر في حديث آخر: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد، فكلما أراد أن يستيقظ قال له: ٥٠ش نم [4]. عليك ليل طويل،. فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة. وإن توضأ/

---

(١) في (أ): الشيطان، والحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، عن ابن عمر بهذا اللفظ. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها، حديث ٢٩٠، عن ابن عمر أيضا، والنسائي في المواقيت باب النهي عن الصلاة بعد العصر، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأول حديثها: "لا تتحروا . . ." الحديث.

(٢) في (ش)، (أ): يصح.

(٣) في (أ): اليوم.

(٤) في (أ): ثم.

انحلت عقدة، وإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا. وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" [1].

وهذا من الأسرار الإلهية التي اعترف الخصم في أول كتابه: أن العقول لا تستقل بدركها.

وقد ذكر في الإنجيل: أن المسيح بعد قيامه من الأموات صار روحا مجردا يظهر لمن شاء، ويختفي عمن شاء [2]. فكذلك الملائكة والشياطين في ظهورها واستخفائها.

وأما قوله: "تطلع بين قرني شيطان" [3] فقال بعض أهل العلم بغريب الحديث: أي ناحيتي رأسه وجانبيه [4].

قلت: وهذا لا ينافي عظمها في نفسها كما تقول خرجت بين الجبلين والجدارين[5]، كما سبق في قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ... ﴿٨٦﴾﴾ [6] ومعناه: أن

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس...، وفي بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، بهذا اللفظ. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، وأبو داود في التطوع، باب قيام الليل، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار، باب الترغيب في قيام الليل، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل، وأحمد في المسند (٢/٢٤٣)، كلهم عن أبي هريرة بالفاظ مختلفة.

(٢) انظر آخر إنجيل لوقا.

(٣) في (أ): الشيطان.

(٤) انظر كتاب غريب الحديث للخطابي ١/٧٢٥-٧٢٦، وفتح الباري ٦/ ٣٤٠.

(٥) في (ش): الجللين والجدار.

(٦) سورة الكهف، آية: ٨٦، وانظر ص: ٣٦٠ من هذا البحث.

الشيطان يقارنها على جهة المسامتة [1] لا الملاصق كما تقارن بعض الكواكب السبعة بعضا، وإن كانت في أفلاكها متباعدة المراكز والذوات ليزيّن للكفار [2] السجود لها.

وقال بعضهم: القرن: القوة. أي حين تطلع يتحرك الشيطان ويتسلط فيكون كالمعين لها، وقيل: بين قرنيه أي أمتيه الأولين والآخرين من الساجدين لها، المطيعين له في ذلك [3]، أي أن عادة الكفار مستمرة في عبادة الشمس عند طلوعها وغروبها [4]، فلا تصلوا [5] حينئذ لئلا يصير فيكم / شبه منهم. وهو ١٩٠
ـ عليه السلام ـ من شرعه: بغّض الكفار والتشبه بهم جدا حتى أنه يحسم مواد ذلك بكل ممكن، كما كرّه في شرعه الصلاة إلى محراب فيه نار تتقد لئلا يشبه

---

(١) المسامتة: المقابلة والموازاة. [انظر المصباح المنير ١/ ٣٤٠].

(٢) في (أ): الكفار.

(٣) يقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (٦/ ١١٢): "قيل المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه، وقيل: قوته وغلبته وانتشار فساده، وقيل: القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره، وهذا هو الأقوى. قالوا: ومعناه أنه يدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة، وحينئذ يكون له، ولبنيه تسلط ظاهر، وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها. . ." اهـ. وبقاء اللفظ على ظاهره دون تأويل هو الصحيح ـ والله أعلم ـ .

(٤) في (أ): أو غروبها.

(٥) في (أ): يصلوا.

فعل المجوس [1] . وأن لا يشد وسطه في الصلاة بما يشبه شد الزنار لئلا يشبه فعل النصارى [2] ، ولا يتعمم غير مذوب [3] لئلا يشبه / عمامة اليهود [4] . وأشباه ذلك كثير. قال بعضهم: وكل هذا تمثيل لمن يسجد للشمس عند طلوعها، فكأن الشيطان مقترن بها، يسول له ذلك. ٦٢م

---

(١) لم أجد في ذلك إلا ما ذكره ابن حجر في فتح الباري (١/٥٢٨) عند شرح ما قاله البخاري: "باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شيء مما يعبد فأراد به الله" قال ابن حجر: "وإنما خصه بالذكر - أي التنور - مع كونه ذكر النار بعده اهتماما به لأن عبدة النار من المجوس لا يعبدونها إلا إذا كانت متوقدة بالجمر كالتي في التنور، وأشار به إلى ما ورد عن ابن سيرين أنه كره الصلاة إلى التنور، وقال هو بيت نار، أخرجه ابن أبي شيبة" اهـ.

(٢) يقول ابن قدامة في المغني (١/٥٨٦): "فأما شد الوسط في الصلاة فإن كان بمنطقة أو مئزر أو ثوب أو شد قباء فلا يكره رواية واحدة... وإن كان بخيط أو حبل مع سرته وفوقها فهل يكره؟ على روايتين: إحداهما: يكره لما فيه من التشبه بأهل الكتاب، وقد نهى النبي ﷺ عن التشبه بهم وقال: «لاتشتملوا اشتمال اليهود» رواه أبو داود. اهـ.

قلت: الحديث عند أبي داود في الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقا يتزر به. ولفظه: "... ولا يشتمل اشتمال اليهود".

(٣) في (أ): غير مله، أو غير ملكه. ليست واضحة ومكانها بياض في (ش).

والمذوب: ماله طرف مرخي، وهي في الأصل: الضفيرة من الشعر. [انظر منال الطالب ص ١٤٨].

(٤) العمامة المقطعة التي لا ذؤابة لها ولا حنك يلبسها اليهود، وقد لبس النبي ﷺ العمامة ذات الذؤابة أي التي لها طرفان كما في حديث مسلم في الحج حديث ٤٥٣ عن عمرو بن حريث قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء. قد أرخى طرفيها بين كتفيه" كما أخرج مسلم أيضا في الحج حديث ٤٥٢: أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء" ولم يذكر أنها مذوبة. والذي قال بالنهي عن لبس العمامة غير المذوبة ليس له دليل غير أن اليهود يلبسونها. والله أعلم. [انظر زاد المعاد ١/١٣٥-١٣٦، ونيل الأوطار ٢/١٠٥-١٠٧].

قلت: ومثل هذه الإشارات كثيرة في كلام العرب خصوصا في كلام هذا النبي، فإنه كان أفصح العرب وأبلغها، فليس ينبغي لعلوج النصارى وأعاجمهم أن يناقشوه في ظواهر العبارات [1]، حتى يعلموا لغته فيكونوا مثله فيها [2]. والله أعلم.

قال: "وفي كتاب مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [3]: « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن. قالوا: وإياك يارسول الله [4]. قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير" [5] وقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" [6].

---

(١) في (أ): العبادات.

(٢) فيها: ليست في (أ).

(٣) صلى الله عليه وسلم: ليست في (م).

(٤) لفظ الجلالة: ليس في (م).

(٥) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وأن مع كل إنسان قرين، حديث ٦٩، وأحمد في المسند (١/ ٢٥٧، ٣٨٥، ٤٠١، ٤٦٠) بألفاظ متقاربة.

(٦) طرف من حديث أخرجه البخاري في الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم. . . ، وفي بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وفي الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، وباب هل يدرأ المعتكف عن نفسه؟ ومسلم في السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية. وأخرجه أبو داود في الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، وفي السنة، باب في ذرارى المشركين، وفي الأدب، باب في حسن الظن، والترمذي في الرضاع باب ١٧، وأخرجه ابن ماجه في الصيام، باب في المعتكف يزور أهله في المسجد، وأحمد في المسند (٣/ ١٥٦، ٢٨٥، ٦/ ٣٣٧)

قلت: ومن سبب هذا الحديث ما رواه الترمذي من حديث مجالد [1] عن الشعبي [2] عن جابر [3] عن النبي ﷺ قال: « لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم. قالوا: ومنك؟ قال: ومني. ولكن الله أعانني عليه فأسلم» [4].

---

(١) في (أ): مخالد. وهو أبو عمر مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني الكوفي، راوية للحديث والأخبار، اختلفوا في توثيقه في الرواية. قال البخاري: صدوق، وقال ابن حجر، لين الحديث من السادسة، روى عنه مسلم والأربعة، مات سنة أربع وأربعين ومائة من الهجرة.

[انظر تقريب التهذيب ٢/ ٢٢٩، والأعلام ٥/ ٢٧٧].

(٢) أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري الكوفي مولدا ونشأة ووفاة. راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه. قال: "ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته" وهو من رواة الحديث الثقات، وهو جليس عبدالملك بن مروان وسميره ورسوله إلى ملك الروم، وكان قاضيا في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فقيها شاعرا، اختلف في سنة وفاته. فقيل سنة ثلاث أو أربع ومائة من الهجرة وقيل: غير ذلك. [انظر تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤-٣١٩، والأعلام ٣/ ٢٥١].

(٣) أبو عبدالرحمن وأبو عبدالله جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، من أهل بيعة الرضوان والعقبة الثانية مع أبيه وهو صغير، شهد بدرا فكان ينقل الماء للصحابة لصغره ثم شهد ثماني عشرة غزوة مع النبي ﷺ، كان من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ، فقد بصره في آخر عمره وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وقيل سبع وسبعين من الهجرة. [انظر الاستيعاب ١/ ٢١٩- ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٨٩-١٩٤].

(٤) أخرجه الترمذي بهذا اللفظ في الرضاع باب ١٧، وقال: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد تكلم بعضهم في مجالد بن سعيد من قبل حفظه" اهـ. وأخرجه الدارمي من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر في الرقاق، باب الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، بلفظ غير هذا اللفظ، وأحمد في المسند (٣/ ٣٠٩) بلفظ الترمذي من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر أيضا.

والمغيبات: اللاتي غاب عنهن أزواجهن. وفي لفظ لمسلم[1]: « لايبيتن أحد عند امرأة إلا أن يكون ناكحا أو ذا محرم »[2].

قلت: ومستنده[3] في إنكار هذا ما قدمه / من أن الشيطان بسيط مجرد عن المادة فلا يوصف بأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم[4]. لأن ذلك يوجب جسميته ونحن قد منعنا ذلك عليه في موضعه. وبينا قواطع الإنجيل في جسمية الشياطين لكنها أجسام لطيفة للطافة مادتها وبذلك يصح عليها أن تجري من ابن آدم مجرى الدم وغيره، كالأرواح، والرياح، /فإنه قد قال بعض أهل العلم: "إن الروح جسم لطيف سار في هذا الهيكل الكثيف على شكله[5] والهوى يتخرق نواحي البدن، حتى قال بعضهم: الروح هو الهواء المتردد في مخاريق البدن[6]، على أنه يجوز أن يكون أراد بالشيطان هنا: النفس الأمارة، أو الهوى، لأن هذين يوافقان الشيطان على ما يريده وإذا اتجه ما قلناه، واحتمل ما عليه[7] حملناه، لم يبق للاعتراض به وجه.

١٩١

٥١ش

وروى عبدالرزاق في تفسيره قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله: «قال قرينه ربنا ما أطغيته»[8] قال: "قرينه الشيطان"[9].

---

(١) في كتاب السلام، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها حديث: ١٩، عن أبي الزبير عن جابر.

(٢) في (أ): "أو ذو رحم محرم" والمعنى الا أن يكون الداخل أو البائت زوجا أو ذا محرم، أو أن تكون المرأة ذات زوج حاضر، أو ذات محرم حاضر. [انظر شرح صحيح مسلم ١٤/١٥٣].

(٣) في (أ): ومسنده.

(٤) عبارة (أ): "بانه يجري مجرى من ابن آدم فجرى مجرى الدم".

(٥) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره (٣/ ٦١) عن السهيلي أنها: "ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر" اهـ.

(٦) ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح (ص: ٢٣٥) وما بعدها أقوال الناس فيها واختلافاتهم.

(٧) في (ش): على ماعليه.

(٨) سورة ق، آية: ٢٧.

(٩) قلت: وهذا مروي عن مجاهد. [انظر تفسير القرطبي ١٧/١٦].

قال: "وفي سورة غافر يصف الملائكة حيث يقول: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ... (٧)﴾[1]. [تجسم الملائكة]

قال ابن عطية في التفسير / : روى جابر بن عبدالله أن النبي[2] قال: «أذن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش: بين شحمة أذنه وعاتقه [3] مسيرة سبعمائة سنة »[4]. ٦٣م

قلت: إن كان إنكاره من هذا للإخبار بالعرش، أو لحملته أو لاستغفارهم للمؤمنين فهذا من الأسرار الإلهية التي لا يستقل العقل بدركها، كما سبق في المقدمة، فيجب تسلمها عن / أهل الشرائع كما تلقيتم عن المسيح [5] أنه بعد بعثه ١٩٢أ

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) في: (ش) : النبي ﷺ.

(٣) في سنن أبي داود: إلى عاتقه.

(٤) في سنن أبي داود: عام. والحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الجهمية، ورجاله رجال الصحيح. والسيوطي في كتاب الحبائك في أخبار الملائك ص ٥٦-٥٧، بلفظ غير هذا اللفظ، وابن أبي الشيخ في كتاب العظمة كما سيأتي عند المؤلف (٣/ ٩٤٩)، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٤) بسند ابن أبي حاتم وقال ابن كثير: "وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات" اهـ. وذكره الذهبي في كتاب العلو، وقال: "إسناده صحيح" اهـ.

(٥) في (ش): عن المسيح قلت: تلقي النصارى عن المسيح ليس بمنزلة تلقينا عن محمد ﷺ لأنه ليس لهم سند صحيح من المسيح إلى هذا النصراني أو غيره، والإسناد من خصائص هذه الأمة المحمدية ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر٩) أما غيرها فلم يتكفل الله بحفظ كتابها فلم يكن لها إسناد يحفظ لها كتابها. ولعل قول المؤلف لهذا إنما هو على وجه التنزل لتقريرهم بكتابهم الذي يدعونه. والله أعلم.

من الأموات صعد فجلس عن يمين أبيه. وأنه يأتي يوم القيامة في مجد أبيه على السحاب، وحوله الملائكة. [1] وإن كان انكاره لعظم خلقة هذا الملك المذكور فنقول[2] له:

إن هذا حديث لم نعرفه إلا في كتاب "العظمة" [3] لأبي جعفر بن حيان[4]، وليس مثله مما تصادم [5] به الشريعة [6].

وثانيا: إن هذا أمر ممكن قد أضيف إلى قدرة الله، وأخبر به الصادق فما ينكر من وقوعه؟ ثم إن الجبال والبحار، بل كرة الأرض، بل كرة العالم جميعه بأفلاكه ونجومه خلق عظيم من خلق الله فلا فرق بينه وبين هذا الملك إلا الشكل والحياة.

على أن الفلاسفة يرون الأفلاك ونجومها أحياء ناطقة متحركة بالإرادة فلا فرق إذن بينها وبين الملك المذكور، وهذه مشاهدة لكل بصير متبصر، فما وجه إحالة مثل هذا حتى يقدح به في كلام الأنبياء.

---

(١) انظر آخر إنجيل مرقس.

(٢) في (أ): فيقول.

(٣) ج٣ ص ٩٤٩، ط: الأولى. تحقيق رضاء الله بن محمد المبارك فوري.

(٤) انظر ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٨١-١٨٢.

(٥) في (ش)، (أ): "يصادم"، قال الذهبي ـ رحمه الله ـ عن أبي الشيخ: "... صاحب سنة واتباع لولا ما يملأ تصانيفه بالواهيات".

(٦) قلت: الحديث أخرجه أبو داود كما تقدم والسيوطي في الحبائك في أخبار الملائك. وهو حجة ولو كان من الآحاد.

قال: "وفي سورة القصص [1]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ... (٨٨)﴾ يعني الله ـ سبحانه ـ [2] فجعل الفناء شاملا لما سوى الله تعالى من الملائكة والنفوس".

قلت: كأن وجه إيراده: أن الملائكة والنفوس مجردات عن المادة لا يتصور فناؤها بناء على ما قدم من ذلك. وقد سبق جوابه، وأن الهلاك ممكن في الجميع، ثم ينشئه الله تعالى ـ كما أخبر ـ.

ثانيا: أو نقول: ليس المراد بالهلاك العدم المحض، بل هلاك هذه الهيئة التركيبية، كما أن الوعاء من زجاج أو ذهب إذا انكسر فقد هلكت وعائيته، لا زجاجيته وذهبيته وهذان قولان مشهوران / للمتكلمين [3] وهو أن الأجساد تعدم ١٩٣ أ
عدما محضا ونفيا صرفا أو تتفرق مع بقاء أجزائها المفردة. والمسئلة مبنية على مسئلة الجوهر الفرد، وهو الجزء / الذي لا يتجزأ [4]. وهي مشهورة بين الفلاسفة ٥٢ ش
والمتكلمين.

---

(١) الآية: ٨٨.

(٢) عبر بالوجه عن الذات. [انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٣].

(٣) ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ خلاف الناس في موت الأرواح وتذوق الموت على قولين: إنها تموت وتذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت. . . ، وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس من باب أولى وقال الآخرون: لا تموت وإنما الموت للأبدان، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب كما دلت عليه الأحاديث والقرآن: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. . .﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩]، هذا مع القطع بأن الأرواح تفارق الأجساد، وتذوق الموت. والصواب أنها لا تعدم وتضمحل فتصير عدما محضا، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، مع أنها تفارق الجسد وتذوق الموت.

[انظر الروح لابن القيم ص: ٤٥-٤٦].

(٤) لا بالفعل ولا بالقوة. [المبين في شرح معاني ألفاظ المتكلمين ص: ١١٠].

قال: "وفي أول سورة فاطر: ﴿ ...جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ... ﴿١﴾﴾.

قلت: كأنه ينكر الأجنحة للملائكة لاستلزامها الجسمية بناء / على ما سبق ٦٤م
من تجردها عن المادة. وقد سبق جوابه كافيا. وقد دفع الله سبحانه [١] هذه الشبهة بقوله متصلا بالكلام المذكور: "يزيد في الخلق ما يشاء" أي لا تستغربوا ملكا له جماعة أجنحة فإن لله التصرف والقدرة على ما يشاء.

قال في سورة الزمر [٢]: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ... ﴿٦٨﴾﴾ وذكر قول ابن عطية عن السدي [٣]: "استثنى جبريل وميكائيل وملك الموت ثم أماتهم بعد" [٤].

قال: "فصرح في هذه المواضع: أن الملائكة مجسمة وأن لها أجنحة وهي كما يبرهن عند العلماء: عقول بسيطة مجردة. والموت مفارقة الروح الجسد، ولا أجساد للملائكة".

---

(١) كلمة: "سبحانه" ليست في: (م).

(٢) الآية: ٦٨.

(٣) التابعي أبو محمد إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالي قريش، وثقه أحمد بن حنبل، وقبل حديثه جمع آخر من العلماء، وضعفه يحيى بن معين وغيره. أخذ عن أنس بن مالك وابن عباس وغيرهما، وعنه سفيان الثوري وشعبة وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة.

[انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤-٢٦٥، والنجوم الزاهرة ١/ ٣٠٨].

(٤) قلت: قد ذكر نحو هذا القول ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٢٩)، عن السدي، والقرطبي (١٥/ ٢٧٩) ولم يسنده القرطبي إلى السدي قلت: والله أعلم بمن استثنى الله من خلقه.

قلت: جـواب هذا كله سبق عند أول مكان ادعى تجـرد الملائكة والشيـاطين عن المادة [1]. وبينا أن ذلك لا مذهب للأنبياء ولا الفلاسفة.

ثم يقال له: التـجرد عن المادة إن كان صفـة نقص وجب تنزيه الملائكة عنها لأنهم أولى بالكمـال فيلزم أن يكونـوا ذوي مادة، وإن كان صـفة كـمال. فـالله سبحـانه إن لم يكن / متجـردا عن المادة فقد جعلتم الملائكة أكـمل منه، وإن كان ١٩٤
متـجردا عن المادة فـقد جـوزتم عليه التلبـس بالمادة حيث اعـتقدتم اتحـاد لاهوته بناسوت المسيح، أو جعلتم الثلاثة واحدا. وقد سبق جميع هذا وإنما أعدناه بيانا.

[الـرد على النصارى في إنكار صفات البـــاري]

قال: "ومما روى عنه من أوصاف الله سبحانه".

وذكر حـديث: « ينزل ربنا كل ليلة إلى سمـاء الدنيا» [2] وحديث جهنم:

---

(١) انظر ص: ٤٠٩ من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه بنحـو هذا اللفظ البخاري في التهـجد، باب الدعاء والصلاة من آخـر الليل، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل، وفي التوحيد، باب قول الله. . .﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل. حديث ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، بألفاظ مـختلفة، وأخرجه أبو داود في السنة، باب في الرد علي الجهمية بهذا اللفظ. والتـرمذي بنحوه في الصلاة، باب ما جاء في نزول الرب. . . ، وفي الدعوات، باب ٧٩، وابن ماجه في إقـامة الصلاة. . . ، باب مما جاء في أي ساعـات الليل أفضل، والدرامي في الصلاة، باب ينزل الله إلى الـسماء الدنيا، وأحـمد في المسند (٢/ ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٢) وغيرها من المواضع. وكلهم أخرجوه عن أبي هريرة.

«فيضع الرب قدمه فيها فتقول: قط» [1] وحديث: « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة» [2] وحديث المعراج: «فدنا رب العزة حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى» [3] وحديث: «رأيت ربي في أحسن صورة، ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي» [4] وحديث أم الطفيل [5] امرأة أُبي بن كعب

---

(١) جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري في تفسير سورة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه: "يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط" وأخرجه في مواضع أخرى بألفاظ غير هذا اللفظ وهي بمعناه. وأخرجه مسلم في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، بألفاظ بمعناه متقاربة. وأخرجه الترمذي بنحو هذا في تفسير سورة (ق)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٩، ٥٠٧، ٣/ ١٣).

(٢) طرف الحديث الذي أخرجه البخاري في تفسير سورة ن والقلم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسير سورة النجم (٢٧/ ٤٥) بسنده موقوفا على أنس بن مالك.

(٤) كلمة: "ثدّيي" غير واضحة في النسخ الثلاث. وأثبتها من مراجع الحديث وفي بعض الألفاظ: "صدري" وفي بعضها "نحري" وقد أخرج الحديث الترمذي في تفسير سورة ص، من طرق بألفاظ متعددة منها عن معاذ رضي الله عنه وقال عن حديثه: "هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح" اهـ. وأخرجه الدرامي في الرؤيا، باب في رؤية الرب تعالى في النوم، عن عبدالرحمن بن عائش، وأخرجه أحمد في المسند(٥/ ٢٤٣)، قال ابن الجوزي في العلل (١/ ٣٥) وقد رواه أحمد في مسنده، بإسناد حسن" اهـ. وقد ذكر بعض العلماء أن في بعض ألفاظه غير المذكورة هنا زيادات شاذة وأن له طرقا بعضها منكرة. [انظر العلل المتناهية ١/ ٣٠ـ٣٣، وكشف الخفاء ١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧]. واستدل بالحديث من يقول أن محمدا ـ ﷺ رأى ربه ليلة المعراج ولكن ذلك مناما كما يتضح من سياق الحديث عند من أخرجه.

(٥) أم الطفيل: إحدى الصحابيات الجليلات، كنيت بابنها: الطفيل بن أبي بن كعب، وهي إحدى الراويات عن النبي ﷺ [انظر الإستيعاب ٤/ ١٩٤٤].

أنها سمعت النبي يذكر أنه رأى ربه في صورة شاب موقر في خَضِر [1] على رأسه فراش من ذهب، وفي رجليه نعلان من ذهب» [2].

قال: "فتقرر بهذا كله: أن الله جسم، وهذا مخالف للعقل ولمصاحف الأنبياء. ويمتنع أن يكون الله سبحانه جسما لوجهين:

أحدهما: لو كان جسما لكانت [3] جملته معلولا لأجزائه ومفتقرة إليها، وما علل بغيره جاز عدمه عند عدم علته، وواجب الوجود هو ما لا يعدم لعدم / غيره، بل لعدم ذاته. ٦٥م

الثانية: أن الجسم مركب من الصورة [4] والهيولى [5]. فينعدم بانعدام كل

---

(١) هكذا في النسخ الثلاث، وفي بعض ألفاظ الحديث: "عليه حلة خضراء"، وفي بعضها: "في روضة خضراء" وفي بعضها: "عليه حلة حمراء".

(٢) هذا الحديث له طرق وألفاظ كلها غير صحيحة، ذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية في كتابه العلل المتناهية (١/ ٢٩) والهيثمي في الزوائد (٧/ ١٧٩) والسيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٨ـ٣٠) وقال عنه: إنه منكر.

(٣) كلمتا: "جسما لكانت" سقطتا من: (أ).

(٤) الصورة في اللغة: الشكل والهيئة والصفة. وفي اصطلاح المتكلمين: أحد جزئي الجسم، وهو حال في الجزء الآخر منه. وهي بمنزلة شكل السرير بالنسبة إلى السرير. [انظر المبين للآمدي ص ١٠٩، ١١٨، والمعجم الفلسفي ١/ ٧٤١ـ٧٤٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لفظ الصورة مشترك: يراد بالصورة الشكل والهيئة كصورة الخاتم والشمعة، والمادة الحاملة لهذه الصورة هي الجسم بعينه. ويراد بالصورة نفس الجسم المتصور، وهذا الجسم المتصور ليس له مادة تحمله، فإن الجسم القائم بنفسه لا يكون شائعا في جسم قائم بنفسه، لكن خلق من مادة كما خلق الإنسان من المني. . . "اهـ.

(٥) الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. وفي اصطلاح أهل الكلام: أحد جزئي الجسم، وهو محل الجزء الآخر منه. أو أجسام قائمة بنفسها أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية" [انظر درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٨٤، والمبين للآمدي ص: ١٠٩، والمعجم الفلسفي ٢/ ٥٣٦].

منهما. والواجب لا ينعدم لانعدام غيره. كما سبق.

وأما بيان ذلك في كتب الأنبياء فإن في الإنجيل: "الله روح".

قلت: هذا حاصل ما ذكر في هذا السؤال، وقرره به. ولعمري أن هذا مما [1] لا / يقضي منه العجب من هذا الشخص. فإن التوراة والانجيل مملوءان من التجسيم. ١٩٥أ

فإن في أول التوراة: "وكانت روح الله ترف على الماء" [2] والروح فيما نشاهده جسم. والحجج على جسميتها كثيرة [3]، لكن نكتفي منها بحجة طبيعية/ ذكرها الأطباء، وهو اضطراب الصدر وحركته لها عند النزع. ٥٣ش

فإن قال: إن روح الله ليست جسما، وإن كانت روح غيره جسما.

قلنا: فقد أجبت عنا. كذلك كل ما حكي في دين الإسلام من صفات الله تعالى ليست على المتعارف من صفات الآدميين، ويسقط هذا التشنيع خصوصا وقد ذكرت أنت في بيان ضرورة النبوة عن "أرسطو" وغيره ما ذكرت من أن الحقائق الإلهية لابد فيها من التوقيف الشرعي.

وفي التوراة: "قال الله[4]: نخلق بشرا على شبهنا قد رسمنا فضله ليكون

---

(٤) في (م): مالا يقضى.

(٢) انظر سفر التكوين الأصحاح الأول.

(٣) ذكر ابن القيم رحمه الله شبه المنازعين في جسمية الروح والنفس ورد عليها في كتاب الروح ص ٢٦٧-٢٨٩.

(٤) «قال الله»: ليست في (ش).

كصورتنا ومثالنا وأسلطه على سمك البحار وطير السماء"[1] إلى أن قال: "وخلق الله آدم بصورته، صورة الله خلقه ذكرا وأنثى، خلقهما الله وبارك عليهما" [2].

وفيها إن آدم وامرأته: "سمعا صوت الرب يمشي في الفردوس فاستترا من بين يدي الرب بين شجر الفردوس، وقال الله لآدم: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك تمشي في الفردوس ورأيت أني عريان فاستترت فقال الله الرب: ومن أدراك أنك عريان؟ لعلك أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها" [3].

وهذا فيه تشانيع. منها: وصفه بالمشي حتى يسمع صوت مشيه في الفردوس، وهو من خواص الأجسام، وأصعب من النزول المذكور في السنة الإسلامية. / ومنها قوله أين أنت؟ ومنها: قوله: "من أراك أنك عريان؟ لعلك ١٩٦ أكلت من الشجرة" فإن ذلك ظاهر في أن الله سبحانه لم يعلم أين هو؟ ولا هل أكل من الشجرة أو لا حتى أعلمه آدم".

---

(١) لم يناقش الطوفي هذا القول في التوراة ويبين إساءة الأدب من اليهود والنصاري مع الله وإشراكهم معه غيره فأقول: يتضح من هذا النص أنهم جعلوا آدم عليه السلام إلها فقولهم: "على شبهنا" أي على مثلنا، وهذا باطل شرعا وعقلا أن يكون أحد من المخلوقات شبيها بالله ومماثلا له، وحاشا الله أن يكون له مثل أو شبيه. ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى: ١١] وهذا من أكبر الأدلة على تحريفهم التوراة: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

(٢) انظر سفر التكوين الأصحاح الأول.

(٣) انظر سفر التكوين الأصحاح الثالث.

وفيها: "وأكمل الله أعماله في اليوم السادس، واستراح في اليوم السابع"[1]. والاستراحة من لواحق الأجسام [2]. وهذا في التوراة كثير [3].

٦٦م وأما في الإنجيل فقولكم: لما اعتمد / المسيح من يوحنا المعمداني ثم صعد من الماء جاءه روح القدس في جسد حمامة بين السماء والأرض وسمع قائلا يقول: هذا ابني الحبيب الذي به سررت" [4].

ثم إنكم تقولون: "الآب والإبن وروح القدس: إله واحد" وهذا مستلزم للجسمية لوجهين:

أحدهما: أن الصوت لا يتصور عقلا وحسا إلا من جسم إذ هو عرض لا يقوم بنفسه [5].

---

(١) انظر سفر التكوين الأصحاح الثاني.

(٢) الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب، وأما من يقول للشيء: كن فيكون فإن ذلك ممتنع في حقه سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ [سورة ق: ٣٨] أي ما مسنا من تعب.

(٣) انظر كتاب على التوراة للباجي فقد ناقش أهل التوراة فيما فيها من الانحراف الذي وضعوه بأيديهم.

(٤) انظر آخر الأصحاح الثالث من إنجيل متى

(٥) هذا على مذهب الفلاسفة وغيرهم من الفرق التي ضلت في هذا، كالأشعرية الذين يرون أن الله لم يتكلم بصوت لأن الأصوات من خواص الأجسام والله ليس بجسم، ولكن الصوت إذا سمع وفهم فإنه يدل على أن قائله نطق به أما أنه لا يتصور إلا من جسم ففي المخلوقات من يتكلم وليس له جوارح فالجلود والأرجل وغيرهم من المخلوقات تتكلم وستتكلم بغير جوارح جسمية تدل على قدرتها على الكلام. والله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت مسموع دون أن يكون جسما مكونا من مادة وصورة كحال المخلوقات. والله أعلم.

الثاني: أن الآب والابن والروح في هذه الحال - أعني صعود المسيح من الماء - بعضهم منفصل عن بعض حسا وحقيقة وإنكاره مكابرة. فإن كان ذلك بعد اتحاد الروح والمسيح بالله فقد انفصل عنه جسمان، فيكون هو جسما لأن بعض الجسم جسم، وإن كان قبل الإتحاد، وأن إتحادهم حدث بعد ذلك فقد اتحد بذات الله جسمان: جسد الحمامة الذي هو الروح، وجسد الإبن الذي هو المسيح، ولا يتحد بالجسم إلا جسم هذا على قول من يقول منكم: إن المسيح ابن الله.

أما من [1] يقول: هو الله، فالأمر فيه واضح.

وقرر ذلك "ابن الأمثل" [2] مطران "حمص" بأن قال: "إن الله لا يمكن ظهوره إلى العالم حتى يتأنس ويتحد بهم، وله مظاهر يظهر فيها، كما ظهر في حقيقة [النار لموسى في العليقة ولإبراهيم في حقيقة] [3] / كبش فدى به ولده، وليعقوب في حقيقة رجل فصارعه فكذلك ظهر في حقيقة المسيح".

١٩٧، ٥٤ش

وفي الفصل الخامس من إنجيل متى: "لا [4] تحلفوا بالسماء فإنها كرسي الله ولا بالأرض فإنها موطئ قدميه".

وفي السادس والخمسين منه [5]: "من حلف بالسماء فهو يحلف بكرسي الله والجالس عليه" فوصفه بالقدمين والوطء بهما، وبالجلوس على الكرسي، والجلوس[6]

---

(١) من: سقطت من (م).

(٢) في النسخ الثلاث: ابن الأشل. وقد سبق أن ذكرت بأن ابن الأمثل أو ابن الاشل لم أجد له ترجمة.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من (أ).

(٤) في (م): "وذلك لا تحلفوا...".

(٥) في التراجم الحديثة: الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متي.

(٦) في (ش)، (أ): "على الكرسي وذلك من خواص الأجسام".

من خواص الأجسام، وإن لم يكن هذا تجسيما، فما في الوجود تجسيم أصلا. فإذا كان هذا مضمون كتبكم المعتمدة، وتقرير أئمتكم وفضلائكم، فكيف تنكرون علينا ما هو دونه في ذلك بكثير. وعذرنا فيه أوسع من عذركم على ما سيأتي ولكن في المثل: "رمتني بدائها وانسلت" [1].

وفي الشعر:

لا تـنه عـن خـلق وتأتي مثله ** عار عليك إذ ا فعلت عظيم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم[2]

وأما الأحاديث التي ذكرت فصحيـحة ثابتة إلا حديث أم الطفيل فإنه حديث موضوع [3] لا أصل له حكم بذلك أئمة الحديث. ثم لو صح لكان محمولا على رؤية المنام كحـديث: «رأيت ربي في أحسن صورة» فـإنه كان مناما باتفـاق علماء المسلمين. صرح الترمذي وغيره بأنه كان مناما [4].

وأما حديث النزول والقدم / والساق وغيرها من أحاديث الصفات فلطوائف ٦٧.
المسلمين فيها ثلاثة أقوال:

---

(١) هذا المثل لإحدى ضرائر رهم بنت الخزرج امرأة سعد بن زيد مناة، رمتها رهم بعيب كان فيها، فقالت الضـرة" رمتني بدائها وانسلت" فـصار يضرب لمن يعيـر صاحبه بعيب هـو فيه. [انظر مجمع الأمثال ١/ ٢٨٦].

(٢) نسب البيت الأول إلـى أبي الأسود الدؤلي مع مجـموعة من الأبيـات، ونسـب للأخطل ونسـب لحسان ونسـب إلى المتوكل الكناني ونسب إلى سابق البـربري، ونسب إلى الطرماح بن حكيم. [انظر شذور الـذهب بتحقـيق محـمد مـحي الدين ص ٢٣٨، شرح التـصريح على التـوضيح ٢/ ٢٣٨، التبصرة والتـذكرة للصيمري النحوي ١/ ٣٩٩] والـبيتان فيهمـا مثل يضرب لمن ينهي غيره عن أمر سيء وهو يأتيه.

(٣) «موضوع» ليست في (ش).

(٤) انظر هامش ص: ٤٤٠ فقد نقلت أقوال العلماء فيه هناك.

أحدها: اعتقاد مفهومها المشاهد منها [1]. وهو قول المجسمة [2] وهم عندنا في ذلك كالنصارى واليهود في ذلك.

والثاني: تأويلها [3] على ما يصح في الشاهد، ولو كان بعيدا / كالنزول ١٩٨
على نزول العلم أو الرحمة، أو نزول ملك ينادي، أو فعل من أفعال الله. والقدم على قوم يقدمهم إلى النار، والساق على شدة الأمر وكرب المحشر ودنو الله سبحانه على تعطفه، ورفقه [4] بعبده ونحو ذلك وهو مذهب الأشعرية والمعتزلة ونحوهم.

---

(١) أي أن الله ـ على مذهبهم ـ له يد كيد المخلوق، ورجل كرجل المخلوق، وساق كساق المخلوق... الخ.

(٢) افي (ش): القسمة. والمجسمة: هم الذين يقولون إن الله جسم. واختلفوا في قدر الجسم وهل له لون أو طعم أو رائحة، إلى أقوال كثيرة ويسمون الممثلة أيضا لأنهم يقولون إن أسماء الله وصفاته كأسماء وصفات المخلوقين لا فرق في ذلك. وظنوا ألا حقيقة لها إلا ما فهموا من ظاهر النصوص. ومن أول من أفرط في ذلك السبأئية - أتباع عبدالله بن سبأ من الشيعة.

[انظر لوامع الأنوار ١/ ٩١، ومقالات الإسلاميين ص ٢٠٧ وما بعدها، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠٣ وما بعدها، والفرق بين الفرق ص ٢٢٥].

(٣) التأويل لغة: ما يؤل إليه الشيء. وفي الاصطلاح له ثلاثة معاني:

الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهو ما وافق القرآن والسنة وهذا هو قول السلف.

الثاني: تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه. وهو اصطلاح المفسرين فهذا يؤخذ حقه ويرد باطله.

الثالث: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة توجب ذلك. وهذا في اصطلاح المتأخرين. فالواجب فيه قبول ما هو الحق منه ورد الباطل. وتأويل هؤلاء هو من باطل هذا النوع وهو صرف اللفظ من معناه الظاهر إلى معناه المرجوح من غير قرينة توجب ذلك.

[انظر مختصر الصواعق المرسلة ١/ ١٠، وما بعدها، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٣٢ ومابعدها].

(٤) في (أ): وروية بعبده، وفي (ش): رقته.

والثالث: اعتقاد ما يليق بـجلال الله ـ سبحانه ـ منها [1]، مع القطع بتنزيه الله ـ سبحانه ـ عن مـشابهة مخلوقاته أو بعضها، بوجه مـن الوجوه اعتمادا على قوله تعالى: ﴿ ...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [2] فأول الآية تنزيه، والثاني إثبـات فهو أولى مـن الإثبات المفضي إلى التـمثيل، والتنـزيه المفضي إلى التعطيل وهذا هو الذي أقول به [3]، ولي أن التزم القول قبله في هذا المقام، لأني وهذا الخصم، نبـحث في دينين متقابلين، لا في مـذهبي دين واحد، على أني أي القولين التزمت لا يلزمني من قبح التجسيم ما لزمك [4].

وأما ما ذكـرت من الحجتين على نفي الجسـمية فقـد سبقك إليه الفـلاسفة والمتكلمون.

وقد قرر المسلمـون في ذلك براهين كثيرة، فلم تأت أنت بـغريبة ولا بشيء نازعناك فيه، بل نحن أحق به منك، فـإنا نحن يمكننا الجمع بينه وبين ما عندنا من آيات الصفـات وأخبارها بما قـدمناه من القولين المختـارين. وأنت لا يمكنك الجمع بينه وبين أن المسيح هو الله، أو القـول بالثالوث إن كنت نصرانيـا حقا. وإن كنت فيلسوفا فمالك ولمذهب النصارى. تكلم في رأي أرسطو ونحوه:

---

(١) اعتقاد أهل السنة والجماعة في نصوص الصفات: اعتقاد معانيها الصحيحة المعروفة في اللغة دون تحريف لها أو تأويلها بمعنى مرجوح.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) هذا هو المذهب الحق الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

(٤) لعل المؤلف قال هذا على وجـه التنزل بأنه ولو كان يقول بما قالـه أصحاب القول الثاني المتقدم على هذا فلا يلزم منه التجسيم والله أعلم.

ودع عنك الشرائع لست منها ** ولو غبرت وجهك بالتراب/ [1] ٥٥ش

فإنك رجل مذبذب بين الرأيين كالشاة العائرة [2] بين / الغنمين. ١٩٩أ

وأما قوله: "إن هذا مخالف للعقل، ولمصاحف الأنبياء": فإن أراد أن المخالف لذلك كون الله جسما فهو صحيح ونحن نقول به، وإن أراد وصف الله سبحانه بنحو النزول والقدم والساق فباطل عن [3] الأنبياء، فإن في أول الأصحاح الخامس عشر [4] من كتاب أشعياء:

"هذا اسم الرب جائي من بعيد، / يشتعل غضبه، ووجنه ماجد [5]، ٦٨م
شفتاه [6] ممتلئتان غضبا، ولسانه كالنار المتقدة، وروحه كالوادي الذي يجر كلما تمر به تقطع بغضبه إلى العنق ليزجر الشعوب" [7].

---

(١) لم أجد هذا البيت فيما اطلعت عليه من المراجع ولعل الطوفي نظمه على منوال قول أحد الشعراء:

حمار في الكتابة يدعيها ** كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ** ولو غرقت ثوبك بالمداد

[انظر العقد الفريد ٤/ ٥٣].

(٢) العائرة: السائرة الساقطة التي لا يعرف لها مالك. [انظر لسان العرب ٤/ ٦٢٢] ومنه ما أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث ١٧: "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين. تعير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة" اهـ.

(٣) في (أ): من. (٤) في التراجم الحديثة: في الأصحاح الثلاثين.

(٥) في (ش): وجيه ماجد، (م): "ووجيه ماخذ" وغير معجمة في (أ). وفي التراجم الحديثة "والحريق عظيم" ولعل ما أثبته موافق لنص المؤلف. والوجن: ما ارتفع من الخدين للشدق والماجد: الواسع. [انظر لسان العرب ١٣/ ٤٤٣، ٣/ ٣٩٥].

(٦) في (ش): شفتا.

(٧) النص في التراجم الحديثة هكذا: "هو ذا اسم الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم. شفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكلة، ونفخته كنهر غامر يبلغ الرقبة لغربلة الأمم بغربال السوء..." اهـ.

فإن قلت: هذه صفات اسم الرب، لا صفات الرب.

قلت: الاسم إن كان هو المسمى فهذه صفات الرب بلا شك، وإن كان غيره فالاسم معلوم الحقيقة [1]، وهو لا يتصف بهذه الصفات ويجب رجوعها إلى الرب [2]. ويكون ذكر الاسم صلة كقول القائل:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما [3] **

وقول الآخر:

... ... ** تناديه باسم الماء وهو كثير [4]

---

(١) في (م): للحقيقة.

(٢) هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ هذه المسألة من الألفاظ المجملة التي يجب التفصيل فيها، وغلط فيها كثير من الناس، وجهلوا الصواب في ذلك: فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ تارة أخرى. فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، أو قال الرحمن كذا ونحو ذلك. فهذا المراد به المسمى نفسه. وإذا قلت: الله اسم عربي والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله ونحو ذلك، فالاسم ههنا هو المراد لا المسمى ولا يقال: غيره لما في لفظ الغير من الاجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا أعظم الضلال والإلحاد في أسمائه سبحانه". [شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣١ بتصريف بسيط].

(٣) هذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة العامري أوصى بها ابنتيه ومنها:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ** وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما فنوحا بالذي تعلمانه ** ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا: هو المرء الذي لا صديقه ** أضاع ولا خان العهود ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ** ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

[انظر ديوان لبيد ص ٢١٣ ط الكويت ١٩٦٢م، ووفيات الأعيان ٦/ ٤٨].

(٤) لم أعرف قائله فيما رجعت إليه من مراجع.

وفي الأصحاح الثالث والعشرين منه [1] : "اسمع قولي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوت. أنا الأول وأنا الآخر، ويدي أصلحت أساس الأرض، ويميني بسطت السماء".

وفي الأصحاح التاسع عشر منه [2] : "هذا الله الرب، يأتي بعزه وذراعه بقوة، ثوابه[3] معه، وعمله بين يديه" إلى أن قال: "وشبر [4] السماء بشبره، وكال تراب الأرض بكفه، ووزن الجبال بالمثقال والآكام بالميزان".

وهذا كثير في كتب الأنبياء لو تتبعته لطال. وهذه صفات ظاهرها المتعارف التجسيم، فجوابك عنها هو جوابنا [5] عما ذكرت من الأحاديث. / ١١٠٠

[القضاء والقدر، وأفعال العباد]

قال: "ومن هذه الأوصاف الواردة في حق الله تعالى عنها ما جاء في سورة البقرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ... ۝٧ ﴾ [6] الآية.

وفي سورة النساء [7] : ﴿ ...أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ... ۝٨٨ ﴾ الآية.

---

(١) في التراجم الحديثة: في الأصحاح الرابع والأربعين.

(٢) في التراجم الحديثة: في الأصحاح الأربعين.

(٣) في (ش): وابه.

(٤) في (أ): وسير.

(٥) في (أ): جوابها.

(٦) سورة البقرة، آية: ٦، ٧.

(٧) الآية: ٨٨.

وفي الاسراء [1]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [2] وقال: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ اللَّهِ.. (٧٨)﴾[3]، والقرآن مصرح في مواضع كثيرة غير هذه بأن أفعال الخلق خيرها وشرها هي بإرادة الله وخلقه، لا بإرادة الخلق وفعلهم".

ثم ذكر أحاديث القدر من الصحيحين وهي مشهورة. ثم قال: "فثبت بهذه الأحاديث ما ثبت بالآيات المذكورة آنفا: من أن الله سبحانه خالق جميع أفعال العباد من الخير والشر، كالقتل والكذب والزنا وغير ذلك، وهو الذي يعاقب ويثيب. وهذا مذهب أهل سنة الإسلام.

وحجتهم عليه: ما أوردناه من الآيات والأحاديث. وإذا تبين لهم فساد هذا المذهب وشناعته، وأن هذا الذي يصفون به الله لا يوصف به إلا الشيطان، لجأوا إلى التمسك بهذه الآية: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [4].

قال: "والدليل على فساد هذا المذهب: الحجة والتنزيل.

أما [5] الحجة فمن وجهين:

---

(١) الآية: ٦٠.

(٢) سورة الصافات، آية: ٩٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٣.

(٥) عبارة: "الحجة والتنزيل. أما" سقطت من: (أ).

أحدهما: ما تقرر في المعقول / من أن مريد الخير خيرٌ ومريد الشر شرير، / ٦٩م، ومريد العدل عادل، ومريد الظلم ظالم، فلو كان الله سبحانه مريدا للشر والظلم لكان ٥٦ش موصوفا بالخيرية والشرية، والعدل والظلم وذلك محال. وشنع في حق الله تعالى.

الوجه الثاني: أن كل آمر بشيء فهو مريد له، فيستحيل من الله تعالى / أن ١٠١أ يأمر عبده بالطاعة ثم لايريدها. والجمع بين اقتضاء الطاعة وطلبها بالأمر بها، وبين كراهة وقوعها جمع بين نقيضين. وذلك بمثابة الأمر بالشيء والنهي عنه في حالة واحدة".

هذا تلخيص حجته. ثم ذكر كلاما بعده يرجع إليه.

وأما التنزيل: فقول الله في التوراة لقابيل [١]: "إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت سيطلع على إساءتك لأنك مالك إرادتك، وأنت مسلط عليها بالاختيار"[٢].

وقول داود النبي في الزبور [٣]: «روحي في يدي أبدا" يعني: تحت قدرتي.

وقول سليمان: "إن الله صنع الإنسان مستقيما وهو أدخل نفسه في مسائل غير متناهية" [٤] يعني بإرادته المخصوصة.

ثم شنع بأن ضرب مثلا، وهو "من أوثق إنسانا شدا وكتافا، ثم ألقاه من

---

(١) انظر سفر التكوين الأصحاح الرابع.

(٢) قلت: دليل هذا النصراني من التوراة فيه تناقض يدل على فساد ما اداعاه ففي النص ما يدل على أن قابيل يملك إرادته فلا إرادة لأحد عليه "لأنك مالك إرادتك" ثم آخر النص يدل على أن له اختيارا وأنه مسلط على إردائه" وأنت مسلط عليها بالاختيار" فإرادته تحت إرادة غيره.

(٣) لم أهتد إلى موضع هذا في التراجم الحديثة "مزامير داود".

(٤) لم أهتد إلى موضع هذا في التراجم الحديثة من الأمثال.

جبل. وقال له في حال هويه: إن لم تقف أو ترجع إليّ، وإلا فعلت بك وفعلت" فهذا سفه وحمق، وتكليف ما لا يطاق.

وحكى قول الزمخشري [1] في الكشاف: "إن كان الله ينهى عن الذنب ثم يلجئ إليه، ويعاقب عليه، فأنا أول من يقول: إنه شيطان وليس بإله" [2].

هذا ملخص [3] ما ذكره في هذا السؤال من غير إخلال بمهم.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا الخصم بصدد القدح في النبوة. وإيرادك هذا السؤال لا يحصل لك المقصود، لأنه ليس كل طوائف المسلمين يقولون بهذه المقالة. فلو ناظرت في هذا معتزليا لخالفك في الإسلام ووافقك في القول بالقدر فانقطعت في هذا المقام. وأنا الذي قد تصديت لمناقضتك لو التزمت مذهب القدرية في هذا، لساغ لي في حكم النظر، لأن البحث بين / مسلم ونصراني، لا بين قدري وسني. ١١٠٢أ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧٤ من قسم الدراسة وهو من نفاة القدر. زعم أن العبد يخلق فعله بنفسه... ويقولون: كيف يخلق الله أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها؟ وهذا مردود بأن الله خالق العباد وأفعالهم ولا يخرجون عن ملكه وسلطانه. لكنه جعل لهم اختيارا وقدرة لا تخرج عن قدرة الله وإرادته. يعاقبهم عليها. وله حكمة هو يعلمها فيما قدره على العبد. من خير أو شر.

(٢) النص ليس بهذا اللفظ عند الزمخشري وقد بالغ النصراني في تغليط العبارة كما سيأتي في كلام الطوفي، ولكن له كلام قريب من هذا عند تفسيره لآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة، آية: ٦، ٧].

(٣) في (أ): تلخيص.

الوجه الثاني: أن هذه مسئلة من فروع الشريعة [1] تثبت بثبوت أصلها وتنتفي بانتفائه [2]، فهي تابع لا مقصود، فيغنيك عنها القدح في أصل الدين [3] / إن يثبت [4] لك. وإنما ذكرك لمسئلة القدر في هذا المقام كمن يقدح ٧٠م

---

(١) مسألة القدر هي من أصول الدين التي يجب على المسلم الإيمان بها، والقدر أحد أركان الإيمان فلا يصح الإيمان إلا به، كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "من وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده" لكن المؤلف ـ رحمه الله ـ يقصد بأن مسألة القدر فرع بالنسبة للأصل وهو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والتي هي أول واجب، كما هو مقرر في علم أصول الدين فلا يصح أن يتكلم الإنسان في القدر أو اعتقاد القدر قبل أن يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإذا أتى بالأصل وهو الإسلام فإنه يلزمه المرتبة الثانية من مراتب الدين وهو الإيمان الذي منه الإيمان بالقدر خيره وشره. يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في التدمرية ص ١٩٣: "والاقرار بالأمر والنهي والوعد والوعيد مع انكار القدر خير من الاقرار بالقدر مع انكار الأمر والنهي والوعد والوعيد" ثم يقول ـ رحمه الله ـ في الرد على من أخل بالنبوة وما جاء فيها من الأمر والنهي ص ١٩٩: "فهؤلاء المتصوفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم، أولئك يشبهون بالمجوس، وهؤلاء يشبهون بالمشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الانعام ١٤٨] والمشركون شر من المجوس، فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه، فإنه أصل الإسلام الذي يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر، وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله" اهـ.

(٢) في (أ): بانتفائها.

(٣) أي: القدح في النبوة التي لا يتحقق الإيمان بالقدر إلا بها ولا يعرف الإنسان الحق إلا بها.

(٤) في (م): "إن ثبت".

في دين النصرانية بقبح التعميد [1]، وبناء المذبح [2]، وتقريب القربان، فإنك أنت كنت تقول له: تكلم فيما هو فوق هذا. ثم انزل إليه.

الوجه الثالث: أما الآيات والأحاديث فصحيحه. ونحن نقول بها على وجه نقرره، وهو أن المسلمين أجمعوا على أن القرآن حق وصدق، وأن بعضه يوافق بعضا، فما أوهم منه التعارض تلطفوا للجمع بينه بما أمكن من الأسباب الجائزة. ثم إنهم رأوا الآيات المتضمنة لأفعال العباد موهمة للتعارض. تارة تضاف الأفعال فيها إلى الله، نحو ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ [3] وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...(٦٢)﴾ [4]، ﴿...وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)﴾ [5]، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) التعميد عند النصارى تغطيس المرء في الماء مرة أو مرتين أو ثلاثا على اختلاف بين طوائفهم، فهم يفعلونه للذي يريد الدخول في دينهم، أو يتوب من المعاصي ويتقدم إلى القسيسين فيمنعونه من اللحم والخمر أياما ثم يعلمونه اعتقادهم وإيمانهم فإذا تعلم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم ثم يغطسونه في ماء يغمره.

[انظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٠٣].

(٢) ما يذبحون فيه قرابينهم من العجول، والجزور، والخرفان، وهذا في شريعة التوراة على ما يقال، غير أن النصارى استثقلوا هذه الحيوانات لارتفاع ثمنها وبخلهم ولأنه لا يوجد فيها ما يوجد في الخمر من اللذة والطرب، فاستبدلوا الحيوانات المذكورة بالخمر زاعمين أن المسيح قال لهم: "من أكل لحمي وشرب دمي كان فيّ وأنا فيه" ولأن القسيس المنصوب من الله على زعمهم "ملكي صادق" أول من قرب الخمر والخبز.

(انظر الإعلام ص ٤٢٧-٤٢٩).

(٣) سورة الصافات، آية: ٩٦.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٥) سورة الرعد، آية: ٣٣.

علْمٍ﴿٢٣﴾﴾ [1] ونحوها.

وتارة تضاف إلى العباد نحو ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ... ﴿٣٨﴾﴾ [2] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [3] - ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [4]؟ ونحوها. وهي من الطرفين كثيرة. / ففي هذا المقام انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق، فرقة قالت بمقتضى القسم الأول، وألغت الثاني وهم الجبرية [5]: زعموا أن الله موجد أفعال خلقه استقلالا والعباد في وقوعها على جوارحهم مضطرون إليها كاضطرار السعفة إلى الحركة في الريح العاصف وسلبوهم الاختيار. ٥٧ش

وفرقة قالت: بمقتضى القسم الثاني وهم القدرية [6] / زعموا أن العباد ١٠٣أ

---

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٢٤.

(٤) سورة المطففين، آية: ٣٦.

(٥) الجبرية: هم الذين يسندون فعل العبد إلى الله ويقولون إن العبد مجبور على فعله وهم صنفان: الجبرية الخالصة: وهي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا. كجهم بن صفوان وأصحابه. والجبرية المتوسطة: وهم الذين يثبتون للعبد قدرة ولكنها غير مؤثرة وتنسب الفعل إليه على جهة الكسب والمباشرة كالأشعرية.

[انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨، مجموعة فتاوى ابن تيمية ٨/١١٨، ١٣/٣٧].

(٦) هم الذين قالوا بأن لا قدر وأول من قال ذلك: معبد الجهني المتوفى سنة ٨٠هـ: فهو الذي قال: "لا قدر والأمر أنف" أي مستأنف لم يسبقه قدر. ثم تبعهم في ذلك المعتزلة أتباع واصل بن عطاء وغيرهم من الجهيمة.

[انظر منهاج السنة ١/٣٦٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٦ - ٣٧].

موجدون لأفعالهم استقلالا وأن الله ـ تعالى ـ [1] لا تعلق له بها بخلق ولا إرادة.

وفرقة توسطت الطرفين المنحرفين، وقالت [2] بمقتضى القسمين. فنسبوا الأفعال إلى الله إرادة وخلقا، وإلى العباد اجتراحا وكسبا، وفسروا الكسب بأنه أثر القدرة القديمة في محل القدرة الحادثة، وساعدهم على ذلك ظواهر نصوص الكتاب والسنة من الطرفين [3]. وورد على كل واحدة من الفرقتين الأوليين ما قالت به الأخرى، فاحتاجت إلى تأويله، والتعسف في تبطيله، فلزم الجبرية

---

(١) ـ تعالى ـ : زيادة من (ش).

(٢) في (أ): أو قالت.

(٣) هذا قول الأشعرية. ومن وافقهم من الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي وأحمد الذين يقولون: إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل. لكن الأشعرية يقولون: إن الله فاعل فعل العبد وإن عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسب له وإنما هو فعل الله فقط. وأما قول جمهور أهل السنة فغير هذا فهم يقولون: إن العبد فاعل حقيقة وإن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية، لها تأثير لفظا ومعنى كما قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، [يس: ١٢] وهذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها فالله تعالى خالق الأسباب، والمسببات. يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وخلقه لفعل العبد لا يدل على أن العبد لا يفعل باختياره، وأنه لا قدرة له، وإلا فما الحكمة من خلقه؟ إنه خلقه ليعمل ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات ٥٦] "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" [صحيح البخاري تفسير سورة والليل إذا يغشى].

ولكن عمل العبد وقدرته تحت مشيئة الله وقدرته: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. [من مراجع هذه الفقرة: منهاج السنة ١/ ٣٥٨ ومابعدها، شفاء العليل ص ٢٤ ومابعدها، خلق أفعال العباد للبخاري ص ٣٩ وما بعدها].

التجوير [1] ، والقدرية تعجيز القدير، والإشراك معه في آثار المقادير. ولهذا سموا مجوس الأمة، تشبيها بالمجوس القائلين بخالقين.

إذا عرفت هذا فنقول: إنا إذا اشتققنا اسم فاعل من فعل أو صفة نحو شرير وظالم وضارب وقاتل، فتارة يراد به موجد ذلك الفعل وخالقه وعلة وجوده / ٧١م وتارة يراد به كاسبه وسببه. فقولك: لو كان الله مريدا للشر، والظلم لكان شريرا ظالما، إن عنيت بالشرير والظالم كاسب الشر، وسببه. فلا نسلم، إنما ذاك الآدمي[2].

وإن عنيت خالقه وعلته فهو صحيح، لكن يكون في اطلاق لفظ [3] الشرير عليه إساءة أدب. إذ لم ترد الشرائع بإطلاق مثل هذا عليه [4].

---

(١) من الجور: وهو نقيض العدل. والميل عن القصد. ومنه قوله تعالى في سورة النحل ٩ : ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي عادل عن الحق فلا يهتدي به.

وقيل: عادل عنه فلا يهتدي إليه. والمقصود أهل الأهواء المختلفة ومنهم اليهود والنصارى (انظر لسان العرب ٤/ ١٥٣، تفسير القرطبي ١٠/ ٨١) والجبرية ينسبون الله بهذا إلى الجور ضد العدل، وسلكوا فيه غير القصد.

(٢) الله سبحانه خالق الإنسان وعمله كما تقدم والآدمي فاعل حقيقة فيضاف الفعل لله من حيث الخلق وللعبد من حيث أنه فاعل له حقيقة. وإضافته إلى الله إضافة خلق لا مباشرة واضافته إلى العبد إضافة مباشرة وتحصيل.

(٣) لفظ: ليست في (أ).

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن ١٠) فقد أضيف الخير إلى الله صراحة، وحذف فاعل الشر وبني الفعل للمجهول تأدبا مع الله تعالى. وإضافة مثل: الشر إلى الله تعالى ووصفه بذلك فهذا فيه نقص من وجه، ولا يليق ذلك بجلاله إلا في مقابلة مثلها، لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن =

والأشهر عندنا: أن أسماء الله توقيفية [1] لا قياسية وبهذا التفصيل يندفع ما ذكرته من المحال والتشنيع.

وأما قولك: "كل آمر بشيء فهو مريد له، فممنوع. فإن هذا محل وهم، ومزلة قدم. وذلك لأن الإرادة تستعمل تارة بمعنى الطلب وتارة بمعنى رجحان [2] / وجود الممكن في نفس المرجح [3]. فالأول ترجيح طلبي بمعنى ١٠٤ظ
الأمر، والثاني: ترجيح وجودي، وهو: موضوع الإرادة في الأصل. وأحد الأمرين يشتبه بالآخر، لأن الأول أثر الثاني، فإنه إنما يصدر الطلب غالبا بعد

= مقابلة عدوه بمثل فعله، كما قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال ٣٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق ١٥-١٦]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء ١٤٢] إلى غير ذلك (انظر تفسير الكريم المنان للسعدي ٧/ ٤٩١، وشرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص ١٠).

(١) أي أن الله يسمى بما سمى به نفسه في كتبه المنزلة وبما سماه به أعلم الناس به وهم الأنبياء عليهم السلام.

(٢) في (أ): رجوح.

(٣) الإرادة في نصوص الشرع نوعان: قدرية كونية خلقية: أي شاملة لجميع المخلوقات قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس، آية: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٢٥].

والثانية: إرادة أمرية طلبية شرعية. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٨٥] وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [سورة النساء، آية: ٢٦].

رجحان الوجود في النفس [1]. وحينئذ نقول: ما تعني بقولك: "كل آمر بشيء فهو مريد له؟" الارادة الطلبية أو الوجودية؟ الأول: مسلم. لكن هذا يصير كقولك كل آمر بشيء فهو أمر به، لأن الإنسان قد يقول لصاحبه أو لعبده: أطلب منك، أو آمرك أن تفعل كذا. وأريد منك أن تفعل كذا بمعنى. والثاني: ممنوع، فلا يصح قولك: كل آمر بشيء فهو مريد له، أي: مرجح لوجوده.

وقد ضرب الأصوليون لهذا مثلا، وهو: من أمر عبده بما لا يريده منه تمهيدا لعذره عند من لامه[2] على ضربه. فإن هذا جائز عقلا. وفيه حكمة مقصودة [3]، فجاز أن يكون / لله سبحانه في الأمر بالشيء، وعدم إرادته [4] حكمة، وإن لم ٥٨ش

---

(١) الفرق بين الارادة الكونية القدرية الخلقية والأمرية الشرعية: أن الأولى متعلقة بخلق فعل العبد إن شاء الله خلقه وإن لم يشأ لم يخلقه وإذا أراد الله خلق فعل العبد فلابد من وجود المراد ووقوعه. ولا يستلزم أن تتضمن المحبة والرضا فالله يريد الكفر والمعاصي كونا وقدرا ولا يرضاهما. أما الأمرية الشرعية فهي متعلقة بأمره سبحانه فهو يريد من العبد الفعل ولا يلزم إعانته عليه. ولا يستلزم وقوع مرادها إلا إذا تعلقت بالكونية، وهذه الأمرية متضمنة للمحبة والرضا والكونية والأمرية تجتمعان في حق المطيع المؤمن البر، وتنفرد الكونية في حق العاصي والكافر، فالأمرية خاصة بحزب الله وعباده الصالحين.

[انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧، ١٣٧، ١٣٨].

(٢) في (ش): لانه.

(٣) قال الله تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [سورة النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[سورة النساء: ٦٤].

(٤) أي عدم محبة وقوعه، وتقدير ضده.

ندركها [1].

وقد ذكر "بقطينوس الحكيم" [2] ـ وهو من فضلاء النصارى وعلمائهم ـ من شأن الله ـ سبحانه ـ مع ملائكته ما إن صح، صلح أن يكون حكمة لهذا. وقد أشرت إليه في التعليق على الإنجيل. ولا يسهل عليّ الآن ذكره [3].

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : "فالذي يفعله ـ أي الله ـ لحكمة اقتضت ذلك، كما أن الذي يمتنع من فعله لحكمة تقتضي تنزيهه عنه، وعلى هذا فكل ما فعله علمنا أن له فيه حكمة، وهذا يكفينا من حيث الجملة، وإن لم نعرف التفاصيل، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة علمنا بكيفية ذاته، وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا، وأما كُنه ذاته فغير معلوم لنا فلا نكذب بما علمناه وما لم نعلمه. وكذلك نحن نعلم أنه حكيم فيما يفعله ويأمر به، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته، فلا نكذب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها. . . " اهـ.

[مجموع الفتاوى ٦/١٢٨].

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) سئل بقطينوس الحكيم عن فائدة ظهور المسيح إلى البشر، فقال كلاما معناه: "إن الله لما خلق الملائكة جعلوا يتقربون إليه بالعبادة، ويزيد هو في إكرامهم، وكان فيهم مقدم جاهل، قال لهم: إني أرى أن الله إنما يزيد في إكرامنا خشية أن نقهره على ملكه، فهو يصانعنا، فهلموا نغلبه على ملكه ونكون مكانه، فوافقته فرقة وخالفته فرقة، فالذين خالفوا بقوا على ملكيتهم، والذين وافقوه ركب الله سبحانه أرواحهم اللطيفة النيرة في هذه الأجسام الكثيفة المظلمة، ثم كلفهم أنواع التكاليف، فمن أطاع ههنا رفع بعد الموت إلى حيث كان من الملائكة، ومن عصى أهبط إلى أسفل، وجعل الله سبحانه مقدم الملائكة الذين أشار عليهم بذلك الرأي إبليس في دار التكليف، ومغويهم كما كان مغويهم في عالم السماء، ثم إن الله أدركته الرحمة للملائكته فظهر للبشر ليستنقذهم من حبائك شيطانهم ومغويهم" هذا كلام بقطينوس الذي ذكر الطوفي في التعليق على الأناجيل. وفيه ما ترى من التخبيط. [انظر تعاليق على الأناجيل للمؤلف ص ٣٠-٣١ مخطوط].

وحينئذ لا يلزم التناقض بين اقتضاء الطاعة وطلبها وبين كراهة فعلها [1]، لأن اقتضاءها خطابي وكراهتها نفسية. وقد يوجد هذا من البخلاء كثيرا، حيث يقول أحدهم لصاحبه: إذن فكل معي، تجملا [2] وهو يكره ذلك منه لآمة وبخلا، وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين / الأمر بالشيء والنهي عنه. لأن الأمر والنهي خطابان محلهما اللسان، نحو افعل. / لا تفعل. بخلاف الكراهة فان محلها النفس، فلا تناقض الأمر. ٧٢م ١١٠٥أ

وأما ما ذكر من نصوص كتب الأنبياء فحق نقول به. وقد ورد به شرعنا. فإن الإنسان له قدرة واختيار يكتسب بهما، لكنهما تابعان لقدرة الله واختياره، فهما ناقصان نقص التبعية، وكون الشيء ناقصا لا يقدح في وجود مسماه، إنما يقدح في تمامه وكماله [3].

---

(١) الله سبحانه لا يكره فعل الطاعة. بل يحب من العبد أن يفعلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤][سورة الصف: ٤] وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]. والآيات في هذا كثيرة تبين أن الله يحب فعل الطاعة وإن كان لا يعين المأمور بها أحيانا لحكمة يعلمها سبحانه ويعود إليه الأمر فيها.

(٢) التجمل: تكلف الجميل والحياء والمودة. [انظر لسان العرب ١١/١٢٦-١٢٧].

(٣) قلت: ذكر الفرق بين إرادة الخالق سبحانه وإرادة العبد يوضح هذا: فإرادة الله لا تعدم في وقت من الأوقات: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فإرادته وفعله متلازمان فما أراده كونا فعله وما فعله فقد أراده، أما العبد فإنه قد يريد شيئا ولا يفعله وقد يفعل شيئا ولا يريده وهذا يدل على أن إرادته تحت إرادة الله ومشيئته.

[انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٧-١٣٨، وشرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص ٥٤-٥٦].

وأما المثل الذي ضنع به من ربط الشخص وإلقائه من جبل. ثم يقال له: ارجع وإلا عاقبتك، فليس نظير ما نحن فيه، لأن هذا [1] إلجاء محض، وقسر صرف، وصاحبه جائر قاسط، وتعالى الله وحاشاه أن يفعل هذا، وإنما الله سبحانه لطيف لما يشاء، فتلطف إلى بلوغ مراده من شقوة من أراد شقوته من خلقه على وجه لا يلجؤهم إلى مراده ولا يهملهم حتى يخرجوا من تحت قهره وقدرته، وسلط [2] على عبده نفسا أمارة، وهوى داعيا، وشيطانا مزينا للشهوات، وفي مقابلة هذه روحا وعقلا ودينا، فالقبيلان كجيشين يصطدمان على فعل الشر وتركه، ويترجح أحدهما بالتوفيق أو الخذلان.

ثم قطع حجته بأن قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [3] يعني طريق الخير والشر، ليجتلب ويجتنب، فإذا أراد الله سبحانه شقوة عبد خذله فيرجح جيش شيطانه، وإذا أراد إسعاده وفقه فيرجح جيش عقله، والتوفيق والخذلان للإنسان في مدة عمره، كالخفير وقاطع الطريق في مسافة سفره، فكما أنك إذا استرشدك من لك به عناية عن [4] طريق أريته جهته، ثم سيرت معه غلامك، أو سرت [5] معه بنفسك، فخفرته فيها - / من أن يضل ١١٠٦
عنها، أو يطأ فيها مهلكا، أو يقع في مغارة - حتى يقطعها إلى مقصده.

---

(١) في (ش): لانه إلجاء.

(٢) في (ش)، (م): فسلط.

(٣) سورة البلد، آية: ٨-١٠.

(٤) في (ش): من.

(٥) في (أ): أو شرب.

وإن لم يكن لك به عناية، قلت له: هذا الطريق. ثم تركته بلا تخفير، فمر على عماه [1]، فوقع على سبع فافترسه، أو لص فقتله، أو مهلك فتلف فيه، أو مغارة فمات عطشا، كذلك الله ـ سبحانه ـ إذا اعتنى بعبده جعل التوفيق له إلى الموت خفيرا، يمنعه من مفارقة الطاعات، ومقارفة المعاصي، وإذا غضب عليه لم يصحبه التوفيق وذلك هو خذلانه له، فقارف [2] المعاصي، وفارق الطاعات فكان شقيا.

فحقيقة القدر إذا حُقّقت وجدت عدمية، وهي كون الله سبحانه / لا ٧٢م
يتفضل على عبده[3] بالتوفيق العاصم من الهلاك، وليس عليه سبحانه ذلك بناء
على أصلنا/ في أنه لا يجب عليه رعاية الأصلح لخلقه، بل يتفضل به تفضلا [4]، ٥٩ش
فالله سبحانه لا يلجئ أحدا إلى شر، لكن يخلي بينه وبين الشر.

وفرق بين أنك تترك تخفير رجل في الطريق فيقتل وبين أن تقطع عليه الطريق فتقتله، وبين أنك تراه يريد أن يلقي نفسه من جبل فلا تمنعه، وبين أن تدفعه منه فيقع. فإن الأول ترك نفع، وهو عدم محض، والثاني: فعل ضرر محض، ولهذا أجمع الفقهاء على: أن من أخذ شخصا فغطه في الماء حتى اختنق

---

(١) من العمه وهو التحير والتردد في الطريق، فهو لا يدري أين يتوجه.
[انظر لسان العرب ١٣/ ٥١٩].

(٢) في (ش)، (أ): "فقارن" وقارف المعاصي: أي لزم فعلها وخالطها. [انظر منال المطالب ص ٣٠٠، ولسان العرب ٩/ ٢٧٩- ٢٨٠، ومختار الصحاح ص ٥٣١].

(٣) في (ش): ضده.

(٤) انظر هامش ص: ٢٥٤ من هذا الكتاب.

يقاد به [1]، وعلى أن من رأى إنسانا في الماء قد كاد يغرق، وقدر على تخليصه فلم يخلصه حتى غرق، لا يقتل. لكن في ضمانه له بالدية خلاف. الأصح أيضا النفي، وما ذاك إلا لما ذكرنا من الفرق.

وأصل هذه المسئلة إذا حققت رعاية للأصلح [2].

وقد أشير في نبوة ارمياء إلى حقيقة القدر، حيث يقول الرب سبحانه لعصاة بني إسرائيل: "كما لا يقدر / الهندي أن يغير سواد جلده، والنمر تبقيعه، كذلك ١١٠٧ أنتم لا تقدرون على الإحسان والخير، لأنكم قد تعودتم الشر" [3].

وتقرير هذا: أن الباري ـ سبحانه ـ ركز في طباع العالم وجبلاتهم الميل إلى أفعالهم من خير وشر، كما ركز الإحراق في طبيعة النار، والإغراق في طبيعة الماء، وكما وضع السواد في الجسم [4]، والتبقيع في النمر والفهد والغراب الأبقع، والسم في الحية والظلم والاستيلاء في طبع السبع، لكنه أجرى فعل تلك الطبائع على كسب أهلها. فعلى الكسب يترتب الجزاء، وعلى ركز الفعل في الطبع، وتحريك الداعي له ـ وهو خلقه، المنسوب إلى الله سبحانه ـ يترتب التسليم، والله بكل شيء عليم.

---

(١) هذا من أنواع القتل العمد. [انظر المغني لابن قدامة ٧/ ٦٤٠-٦٤١، والمقنع ٣/ ٣٣٣, ٣٣٤].

(٢) في (أ): الأصل. وفي (ش): الأصلح. وانظر هامش ص: ٢٥٤ من هذا الكتاب.

(٣) انظر نبوة ارمياء: الأصحاح الثالث عشر وهذا قول الله على زعمهم.

(٤) هكذا في النسخ الثلاث، والأصح: في الجلد.

وقد استقصيت القول في مسألة "القدر" في كتاب مفرد، سميته: "درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح" [1] على وجه بليغ لمن عقل الأسرار الإلهية. والله أعلم.

وأما ما حكى عن الزمخشري فهو صحيح. لكنه أسرف في تغليط العبارة [2] فإنا ننزه الله تعالى عن أن يعاقب على فعل ألجأ إليه كما بينا.

ثم نقول: إن الزمخشري رجل معتزلي غال في الاعتزال، / حرف القرآن ٧٤م
عن مواضعه، ليوافق مذهبه، واضطره ذلك فيما حكى عنه السخاوي [3] - حتى حمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ... ﴿٢٨﴾﴾ [4] على معنى: أصبناه غافلا، كما يقال: أجبنت الرجل وأبخلته إذا وجدته كذلك [5]. وتشبث

---

(١) انظر عن الكتاب ص٧٧ من قسم الدراسة.

(٢) أسرف النصراني في تغليط عبارة الزمخشري لأن العبارة ليست بهذا اللفظ الشنيع. [انظر ص: ٤٥٤ من هذا الكتاب هامش: ٢].

(٣) هو علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي. عالم بالقراءات والتفسير والنحو، وله مصنفات كثيرة منها: المفضل شرح المفصل للزمخشري - خ في أربعة أجزاء، وله شعر كثير. قيل: إنه من أذكياء بني آدم. توفي في ثاني عشر من شهر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

[انظر طبقات الشافعية ٥/١٢٦-١٢٧، والأعلام ٤/٣٣٢].

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٥) عبارة الزمخشري في تفسيره (٢/٢٥٨): "من أغفلنا: من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلا عنه، كقولك: أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك... وقرئ "أغفلنا قلبه" بإسناد الفعل إلى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين. من أغفلته إذا وجدته غافلا"، قلت: وهذا ضلال كبير، لأن الآية تدل على أن ما يعرض للعبد من غفلة ومعصية، إنما هو =

فيه بما لا حاصل له على ما بينته غير ههنا، وأضله الله على علم، حتى نسي قوله: ﴿ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [1] الآية ونظائرها.

بقي ههنا سؤال إذا ضويق القدرية فزعوا إليه، وهو: أن الله سبحانه وتعالى [2] / إذا خلق الفعل، فإما أن يمكن العبد تركه، أولا، والأول: تعجيز ١١٠٨ أ للرب حيث لم يتم مراده، والثاني: إلجاء للعبد، إذ لا يعني بالالجاء إلا اضطراره إلى الفعل على وجه لا يمكنه التخلص منه.

فنقول: إن الله سبحانه إنما يخلق أسباب الفعل ودواعيه الأولية. ثم حقيقة الفعل توجد بكسب العبد مرتبة على تلك الأسباب. والالجاء لا نعرفه إلا بالمباشرة كما مثلتم في من / ربط شخصا، وألقاه من جبل ثم توعده على السقوط. أما ٦٠ ش حتم وقوع الفعل بفعل الأسباب والوسائط فلا نراه إلجاء. فإن سميتموه إلجاء فهو نزاع في عبارة، ثم يلزمكم أن لا يستحق على الطاعة ثوابا لأن فاعلها ملجأ إليها، والثواب إنما هو لمن أطاع اختيارا. وذلك لأن الطاعات مترتبة بكسب الآدمي على أسبابها المخلوقة لله، كما أن المعاصي كذلك.

والقدرية يجعلون ثواب الطاعة مستحقا عليها ومعلولا لها.

= بمشيئة الله إذ لا يقع شيء البتة كائنا ما كان إلا بمشيئته الكونية القدرية. ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠]، أما الزمخشري فيزعم أن العبد بقدرته وإرادته بأفعاله، مستقل بها دون مشيئة الله. وهذا لا يخفى على العاقل بطلانه. وقوله: "حسبنا قلبه غافلين" هذا على زعمه أن الله لا يعلم أفعال العباد قبل وجودها.

(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٣.

(٢) وتعالى: ليست في (م) و (ش).

ثم يقال لهم: هل يلزم من خلق الفعل والعقوبة عليه غير القبح والتجوير؟ ثم هو لازم على قولكم في خلق القدرة على الفعل؟ فإن الله سبحانه يخلقها ويتسبب بها إلى إيقاع المعاصي من خلقه، ولو لم يخلق لهم قدرة عليها لم تقع منهم.

وأجمع العقلاء على أن التسبب إلى القبيح قبيح، وإذا لزم القبح على المذهبين لم يكن أحدهما أولى بالفساد من الآخر، ثم يرجع إلى نصوص الشرع وهي في طرفنا. والله أعلم.

[تكذيب النصراني للسنة]

قال: "نبذ من صحيح الحديث تنضم إلى ما نحن فيه" يعني من القدح في الصدق.

[كلام الأموات]

ذكر منها قوله ـ عليه السلام ـ: "إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة / قالت: ياويلها، أين تذهبون بها؟ [1] / يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق"[2].

١١٠٩أ

م٧٥

---

(١) في النسخ الثلاث: " أين تذهبون بي؟ والمثبت من جميع ألفاظ الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني، وباب كلام الميت على الجنازة، وأخرجه النسائي في الجنازة، باب السرعة بالجنازة، وأحمد في المسند (٣/ ٤١, ٥٨) بألفاظ متقاربة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - .

قال: "وهذا أبين من أن يتكلم على بطلانه، إذ كيف يكون لميت صوت تسمعه البهائم والجمادات دون الإنسان، لأن شرط المسموع أن يكون صوتا خارجا، يتموج به الهواء، فيقرع صماخ الأذن [1]، فهل للبهائم والجمادات أسماع فضلا عن أن تكون أفضل فيها [2] من الإنسان؟ ".

هذا حاصل ما قرر به [3] هذا السؤال، مع تشنيع ذكره يسير.

قلت: الجواب العام عن كل حديث ذكره في هذا الكتاب: أنه من أخبار الآحاد التي توجب العمل لا العلم، فلا يثبت بها أصل، ولا يقدح بها في أصل وإنما يقدح في الشرائع ما تثبت بمثله الشرائع، وقد قرر هذا في المقدمات [4]، وفي آخر شرط الصدق بعد هذا [5]. ولكنا نتبرع بالجواب[6].

وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن الكلام في هذا وأمثاله من الحقائق الإلهية التي يقصر العقل عن

---

(١) الصماخ من الأذن: الخرق الباطن الذى يفضي إلى الرأس، ومنه حديث أبي داود في الطهارة، باب صفة وضوء النبي ﷺ- " وأدخل أصابعه في صماخ أذنيه" وهذا في لغة تميم، ويقال: السماخ بالسين المهملة، وهي لغة فيه، ويقال: أن الصماخ الأذن نفسها.
(انظر لسان العرب ٣/ ٣٤)

(٢) فيها: ساقطة من (أ).

(٣) في (أ): قررته هذا.

(٤) انظر ص: ٢٤١ من هذا الكتاب، وانظر ص: ١٤٧ وما بعدها من قسم الدراسة. ونحن لا نوافق الطوفي في قوله هذا كما سبق.

(٥) انظر ص: ٥١٩ من هذا الكتاب.

(٦) في (ش): الجواب.

ادراكها[1]، فرع على ثبوت النبوة وتابع لها، كمسألة القدر، فحق الكلام أن يكون في رتبة قبلها. وأنت فقد قدمت من كلام "أرسطو" وغيره، أن نسبة إدراكاتنا إلى المبادىء الأولى كنسبة الخفاش إلى ضوء الشمس، ثم إنك في الاعتراض على هذه الأخبار تناقض [2] ذلك. فأنت هناك مشرع جامد، وههنا فيلسوف محلول، وحالك لا ينضبط.

الثاني: أن العلماء نقلوا عن موسى، أنه لما ناجاه ربه أمر الريح فأخذت على أسماع الناس، ولولا ذلك لماتوا من صوته ـ تعالى [3] ـ، ونحن عندنا أن الكلام والادراكات ليس من شرطها الأدوات، بل يجوز أن يخلقها الله ـ تعالى ـ في الجمادات كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ [4]. ١١٠أ

وهو عند المحققين على حقيقته التي تليق بكل شيء بحسب قوته واستعداده وما يهيئه الله له، فكذلك يجوز أن ينطق الله تعالى الميت كما أحيى الموتى لعيسى/ ويحجب صوته عن الإنسان لئلا يصير إيمانه بهذه الحقائق الغائبة ضروريا، ٦١ش فتبطل فائدة التكليف بالإيمان بالغيب، ويسمع صوتها [5] غير الإنسان على حسب ما يليق بالأشياء، لأنها ليست مكلفة فلا محذور.

---

(١) قلت: هذا وجه من وجوه إلزام المؤلف بأن الآحاد الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول حقائق إلهية يقصر العقل عن إدراك حقائقها، فيجب عليه التسليم بهذه الأحاديث وأنها تفيد العلم والعمل معا. وقد تناقض الأصوليون فى هذه المسألة مع أنفسهم فتارة ينكرون إفادة الآحاد العلم وذلك عند استدلالهم بها على شيء من مذاهبهم وتارة يقولون إنها تفيد العمل لا العلم وهذا تناقض واضح. مع أنهم لا يرفضون العمل بخبر الآحاد بل يوجبون العمل دون العلم.

(٢) كلمة "تناقض" ساقطة من (أ).

(٣) لم أجده بعد البحث الكثير.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٥) «صوتها»: ليست في (ش).

وإذا كان الله سبحانه هو خالق الذوات من حيوان ناطق وصامت وجماد فهو خالق / صفاتها وادراكاتها، وكما أخرج تلك القوى والادراكات من العدم إلى ٧٦م
الوجود، كذلك هو قادر على أن يقوي ضعيفها ويضعف قويها، حتى يبلغ مراده، وهو بالغ أمره، وكل ما ينسب إلى قدرة الله ـ تعالى ـ من الممكنات لا ينبغي أن يصادم بالانكار، خصوصا إذا اقترن به أخبار أهل النواميس [١] الدالة على صدق أصحابها، وليس في هذا وأمثاله من الاستبعاد، إلا كونه غير مدرك لنا، ولو أدركناه لزال الاستعباد، كما أننا لو لم تثبت عندنا معجزات الأنبياء كقلب العصا حية، وتفجير الماء من الحجر [٢]، وإخراج ناقة عظيمة من جبل [٣]،

---

(١) نواميس: جمع ناموس. وصاحب الناموس هو صاحب السر، وقيل: صاحب سر الخير. ومن معاني الناموس: وعاء العلم. وصاحب سر الملك، أو الرجل الذي يطلعه على سره وباطن أمره، ويخصه بما يستره عن غيره وجبريل عليه السلام يسمى الناموس والمقصود هنا: الذين أتاهم الوحي. والله أعلم. [انظر فتح الباري ١/ ٢٦، والروض الأنف ١/ ٢٧٣، ولسان العرب ٦/ ٢٤٣-٢٤٤].

(٢) وهاتين المعجزتين لموسى عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه ١٧- ٢٠] وقد بين الله تعالى في نفس السورة أنها أصبحت تلقف ما يأفك سحرة فرعون وذلك في الآيات من ٦٤- ٧٠. وقال الله تعالى عن المعجزة الاخرى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا...﴾ الآية [سورة البقرة: ٦٠].

(٣) هذه معجزة صالح في قومه ثمود فقد جعل الله لهم الناقة معجزة فقال لهم: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة الأعراف: ٧٣]، وأما أنها أخرجت من جبل أو هضبة أو صخرة تسمى الكاثبة وأنهم طلبوا من صالح ذلك، فهذا لم يرد فيه نص صريح بأنها من جبل أو صخرة أو هضبة ولكن ذكر ذلك المفسرون ومنهم الطبري في تفسيره (٨/ ٢٢٤) والقرطبي في تفسيره (٧/ ٢٣٨)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٢٨) وابن عطية في تفسيره (٧/ ٩٨) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٤).

وإحياء الموتى[1] ونحوه، لما صدقت به العقول بادىء الرأي، إلا بعد نظر دقيق واستدلال[2].

وهكذا ما نحن فيه، لمّا نظرنا فيه قد اتجه إمكانه، وأما وقوعه فيعتمد [على][3] خبر الصادق، وقد بينا صدقه، وسنبين.

ويجوز أن يحمل قوله: "سمع صوتها كل شيء إلا الإنسان" على السماع التقديري، أي لو كانت هذه الأشياء مما يسمع لسمعته، ويكون فائدة ذلك: الاخبار بصياح / الميت عن داع وحرقه [4]، تنبيها على أسفه وشدة ندمه[5] ليتعظ به ١١١ا الأحياء، كما قال الشاعر في صفة الفرس:

... ... ** وشكى إليَّ بعبرة وتحمحم [6]

---

(١) هذه من معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ التي أتى بها إلى بني إسرائيل وقال لهم ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل إني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤٩].

(٢) في (ش): واستدلالي.

(٣) كلمة [على] زدتها لستقيم العبارة.

(٤) الأولى الوقوف عند النص، وأنه يسمع الصوت الحقيقي كل شيء إلا الإنسان، ولا حاجة إلى هذا التأويل. والله أعلم بكيفية ذلك.

(٥) في (ش): وشدة نكبته.

(٦) قائله" عنترة في معلقته: وهذا عجز البيت وصدره:

فازورّ من وقع القنابلبانه ... ...

وقد فسر عنترة هذا البيت بالبيت الذي بعده:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى * ولكان لو علم الكلام مكلمي

[انظر تفسير القرطبي ٢٦/١١، وجمهرة أشعار العرب ٥٠٢/٢، شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٢٥٦].

وقال في صفة الحوض:

امتلأ الحوض وقال: قطني ** مهلا [1] رويداً، قد ملأت بطني [2]

أي لو كان ممن يتكلم لقال ذلك، وأنتم تستبعدون هذا التقدير، لأن لغتكم وأذهانكم قلف [3] مثلكم، مقصورة على إرادة الحقائق، وليس فيها توسع في المجاز، على أن المجازات في كتب الأنبياء كشعياء وغيره كثير [4] جدا [5]، وهو خفي بعيد حتى أنه في بعض المواضع رمز عقد بمرة [6].

---

(١) في لسان العرب والمشوف المعلم" سلا رويدا" وسلا بمعنى أي ارفق بصب الماء لئلا يفيض.

(٢) حكى هذا البيت يعقوب بن إسحاق المشهور بابن السكيت في معنى القطن.

[انظر لسان العرب ١٣/ ٣٤٤، والمشوف المعلم ٢/ ٦٥١]

(٣) هكذا في (م) وفي(أ): قلفا. والقلف: قشر الشجرة ونحوها والرجل الأقلف الذي لم يختتن [لسان العرب ٩/ ٢٩٠] والذين لم يختتنوا هم: النصارى.

(٤) هكذا في النسخ الثلاث. والأصح: كثيرة.

(٥) قلت: لو ترك الطوفي هذا التقدير لكان أولى لأمور منها:

١- أنه أثبت المجاز في شريعة الأنبياء الذي معناه أن الألفاظ التي تكلم بها الأنبياء لا تدل على الحقيقة وإنما استعملت في غير معناها الحقيقي وهذا خطأ لا يقبل.

٢- أن الأنبياء منزهون من أن يخبروا الناس ويأمروهم بأمور، وهم لا يريدون حقيقة ماتدل عليه الألفاظ.

٣- أن كلام الله ووحيه للأنبياء يصير مجازا لا حقيقة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فنقول إن الإخبار بهذه الأحاديث إخبار عن حقيقة وإن لم يدرك العقل كنهها وكيفيتها وهذه من المغيبات التي يحتاج الناس فيها إلى وحي من الله لعدم قدرتهم على إدراك ذلك بعقولهم والله أعلم.

(٦) رمز عقد بمرة: مرة الحبل: طاقته وقيل حبل طويل دقيق أجيد فتله. وهذه العبارة كناية عن حسن المجاز وكثرته في لغة العرب. [انظر لسان العرب ٥/ ١٦٨-١٦٩].

[عذاب القبر ونعيمه]

ومنها قوله في حديث ابن عمر: «الميت يعذب ببكاء أهله عليه» وأنكرت ذلك عائشة [1] وقالت: "إنما قال: إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه" [2] قال: "وهذا باطل لأن الله تعالى لا يعذب أحدا بفعل غيره" [3].

قلت: هذا اعتراض صحيح، لكنه ليس على النبي ﷺ، بل على الراوي الذي روى ذلك عنه [4]. فإن هذا الحكم على خلاف نص القرآن، وهو قوله

---

(١) تقدمت ترجمتها في قسم الدراسة ص: ٩١.

(٢) أخرج الحديث الإمام البخاري بألفاظ مختلفة في(الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببكاء أهله. . .) وفي (المغازي، باب قتل أبي جهل). ومسلم في (الجنائز باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه) بعدة ألفاظ، والترمذي في (الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت) بثلاثة ألفاظ، وابن ماجه في (الجنائز، باب ما جاء في الميت يعذب بمانيح عليه)، وأحمد في المسند (١/ ٤١، ٢/ ٣١، ٣٨).

(٣) في (ش): الغير.

(٤) أخرج البخاري في الجنائز، باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) ومسلم في الجنائز، حديث ٢٣: عن عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة قال: "توفيت ابنة لعثمان ـ رضي الله عنه ـ بمكة وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وإني لجالس بينهما ـ أو قال: جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي فقال عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء؟ فإن رسول الله ﷺ قال: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قد كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول بعض ذلك، ثم حدث قال: صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة، حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب قال: فنظرت فإذا صهيب، فأخبرته، فقال: ادعه لي. فرجعت إلى صهيب فقلت: ارتحل فالحق بأمير المؤمنين. فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول: واأخاه وصاحباه. فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه). قال ابن عباس ـ رضي=

تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ... (١٦٤)﴾ [١] ومن المحال عادة أن من يقرر ناموسا وشريعة يخالف ما يدعي أنه أنزل عليه بما يقوله، ونسبته في ذلك / إلى الغلط ٧٧م والوهم ممتنع عادة، لأن هذا مما لا يخفى عن عاقل، فضلا عن ذي ناموس.

فالحاصل: أن راوي هذا الحديث وهم في روايته، وقد صح عن عائشة أنها قالت: "وهل [٢] أبوعبدالرحمن - تعني ابن عمر- إنما مر رسول الله ﷺ / بقوم يبكون[٣] ٦٢ش على يهودي، أو يهودية، فقال: «إنهم ليبكون عليها / وإنها تعذب في قبرها» [٤]. ١١١٢أ

= الله عنهما -" فلما مات عمر - رضي الله عنه - ذكرت ذلك لعائشة - رضي الله عنها - فقالت: "رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه)، وقالت: حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - عند ذلك: والله قال ابن أبي مليكة: والله ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئا" اهـ. قلت: لقد صح من طرق عند البخاري ومسلم وغيرهما ما رواه عمر وابنه عن رسول الله ﷺ وصح قول عائشة - رضي الله عنها - أن ذلك يوهم معارضة الآية المذكورة، ولكن يمكن الجمع بينهما بما قاله الجمهور من العلماء والذي سيورده المؤلف قريبا وهو أن قوله ﷺ: (إن الميت يعذب ببكاء أهله أو ببكاء الحي) محمول على من وصى أن يناح عليه أو علم أنه سيناح عليه ولم ينه عن ذلك. وكان الأولى للطوفي الاقتصار على هذا في الحديث مع هذا النصراني. والله أعلم.

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٤، والإسراء، آية ١٥، وفاطر، آية، ١٨، والزمر، آية: ٧.

(٢) وهل: أي أخطأ ونسي وسها. [انظر لسان العرب ١١/ ٧٣٧، وشرح مسلم للنووي- ٦/ ٢٣٤] وهذه الكلمة جاءت في نص آخر غير هذا النص.

(٣) في (ش): وهم يبكون.

(٤) أخرجه مسلم في الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله، حديث رقم ٢٥، ٢٧ وأحدهما: (عن عمرة بنت عبدالرحمن، أنها سمعت عائشة، وذكر لها أن عبدالله بن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي. فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبدالرحمن. أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى عليها فقال: (إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها).

فالبكاء والعذاب في هذا ليس بينهما ارتباط سببي، بل هو اتفاقي اتفق أن بكاءهم عليها صادف وقت تعذيبها. هذا على أن لحديث ابن عمر وجها صحيحا في التأويل، وهو أنه محمول على من وصى أن يناح عليه [1]، أو علم من أهله أنهم ينوحون عليه فلم ينههم، وكان ذلك عادة العرب، وزجرهم عليها [2] بهذا، لأن النوح على الميت يدل على التسخط بقضاء الله ـ سبحانه ـ فيكون الميت والحالة هذه متسببا إلى إيقاعه بوصيته به وإقراره عليه، والعذاب يترتب على التسبب كما يترتب على المباشرة، وقد قررت هذا الحكم في القواعد [3].

ومنها: حديث عائشة أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فسألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر، فقال لهم: «عذاب القبر حق» قالت عائشة: "فما رأيت النبي [صلى الله عليه وسلم] [4] بعد [5] صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر" [6].

---

(١) هذا قول الجمهور [انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٦/٢٢٨، وإثبات عذاب القبر للبيهقي ص ٩١].

(٢) في (ش)، (م): "فزجرهم عنها بهذا".

(٣) هذه المسألة تحدث عنها الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة. وابن حجر رحمه الله في فتح الباري ٣/١٥٢ وما بعدها. ولم أجد كتاب الطوفي لأعرف موضع هذه المسألة منه.

(٤) "صلى الله عليه وسلم" ليست في النسخ الثلاث. وهي من ألفاظ الحديث في مظانه.

(٥) بعد: ساقطة من (أ).

(٦) أخرجه البخاري بألفاظ مختلفة في كتاب الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر، وباب صلاة الكسوف في المسجد، وفي كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر...، وفي كتاب الدعوات باب التعوذ من عذاب القبر، وأخرجه مسلم، في كتاب المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، من طرق بألفاظ مختلفة. وأخرجه النسائي في كتاب السهو، باب التعوذ في الصلاة. وأحمد في المسند (٦/ ١٧٤) ولفظ أحمد أقرب الألفاظ لهذا اللفظ الذي ذكر المؤلف.

وذكر حديث أنس في عذاب القبر، وسؤال الملكين للميت فيه إلى قوله في الكافر: "يضرب بمطرقة [من حديد] [1] ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين" [2].

قال: فتأمل هذا الحديث المصرح بعذاب القبر، وكيف أثبت عليه هذه الأضحوكة من كلام اليهودية مع عائشة؟ وكيف يسمع صياح الميت من يليه [3] إلا الثقلين؟ وكيف يسمع من لا يسمع، ولا يسمع من يسمع؟ ولا [4] يحتاج من له أدنى مسكة من تمييز إلى أن نبين له ما في هذا من الافتراء".

قلت: هذان الحديثان صحيحان، وأجمعت الأمة المحمدية على إثبات عذاب القبر إلا قليلا منهم، وهم بعض المعتزلة [5] الموافقون للنصارى / في ذلك وفي القدر ـ كما سبق ـ . ١١١٣أ

---

(١) ما بين المعكوفتين زيادة من صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال. بهذا اللفظ. وفي باب ما جاء في عذاب القبر. . . ، بلفظ آخر، وأخرجه ابن ماجه في كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر. بلفظ طويل غير هذا اللفظ.

(٣) في (أ): يلائه.

(٤) لا: ساقطة من (م).

(٥) كضرار بن عمرو، وبشر المريسي ومن وافقهما، أما أكثر المعتزلة فعلى خلاف ذلك. ولكن بعضهم كالجبائي يرى عذاب القبر لأهل التخليد من الكفار والفساق دون المؤمنين، ويرى ابن حزم رحمه الله أن عذاب القبر على الروح دون الجسد ، ومذهب السلف أن عذاب القبر على الروح والبدن جميعا. [انظر فتح الباري / ٢٣٣، ولوامع الأنوار ٢/ ٢٣، والفصل في الملل والنحل ٤/ ١١٧، والروح لابن القيم ص ٦٨-٦٩، وشرح الطحاوية ص ٤٥١].

ويكفي أهل السنة من المسلمين فضلية: أن كلام أعداء الإسلام إنما يتجه معهم [1]، وعلى رأيهم، وأن أهل البدع لا يتجه عليهم لموافقتهم أعداء الدين [2] فإن هذا العلج لما قدح في النبوة، إنما وجه شبهه إلى أهل الحديث. / ٧٨م

قلت: والجواب على هذا من وجوه [3]:

أحدها [4]: أنك لو ناظرت في هذا معتزليا لسلمه لك، وخالفك [5] في دعوى الإسلام، فيكون قد أجابك بالقول بالموجب فتنقطع في هذا المقام. ولنا أن نلتزم مذهبه في جدالك، لأنه على كل حال من فرق الإسلام [6]، وإن كان مسلما نجسا [7]، كما أنك أنت نصراني نجس، لأنك تارة تثبت الشرائع وتارة توغل في الفلسفة والتعطيل، العائدة على النبوات بالتبطيل.

الثاني: أن هذا الحكم من فروع الشريعة، ولهذا يذكره الفقهاء في كتب الفقه عند ذكر مشروعية التلقين، فهو تبع لا مقصود.

---

(١) بنى المؤلف هذا على موافقة اليهودية ـ ومن على مذهبها من اليهود ـ لأهل السنة في الإيمان بعذاب القبر.

(٢) أي لا يتجه كلام أهل البدع المعتزلة وغيرهم على المسلمين لموافقة المبتدعة أعداء الدين ـ مثل هذا النصراني ـ في إنكار عذاب القبر.

(٣) في: (م): من أوجه.

(٤) في (أ): إحداهما.

(٥) في (م): وخالف.

(٦) لو عبر المؤلف ـ رحمه الله ـ بتعبير غير هذا لكان أولى، لأن الإسلام ليس فرقا فلو قال: "من إحدى فرق الأمة الإسلامية" أو "من إحدى فرق أهل القبلة".

(٧) نجاسة معنوية.

الثالث: أن جوابه التفصيلي هو جواب تكلم الجنازة بعينه من حيث التوجيه، ثم نجيب عن كلماته التي أساء بها أدبه.

قوله: "أثبت هذه الأضحوكة بكلام يهودية" قلنا: هذه أضحوكة عند عقلك. لأن الله ـ سبحانه ـ يريد ضلالك[1]، حتى يوقعك فيها، وما ينفعك السيد المسيح. ثم إنه لم يثبتها بقول يهودية، بل بالوحي الصادق النازل على سبب إخبار اليهودية. / والقرآن والوحي كان ينزل على أسباب ووقائع[2] تقتضيه. ٦٣ش

ودليل عذاب القبر في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3] ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[4]: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ ١١١٤أ

---

(١) في (ش): صلاحك.

(٢) في (ش): «وقائع».

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه، آية: ١٢٤] ، والمعنى: أن الله يضيق على العاصي قبره حتى تختلف أضلاعه وهذا قول أبوسعيد الخدري وعبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ ورواه أبوهريرة عن النبي ﷺ «فإن له معيشة ضنكا» قال "عذاب القبر" وسنده جيد، وقيل: إن المراد بالمعيشة الضنك في الدنيا، وقيل: شدة عيشه في النار.

[انظر تفسير القرطبي ١١/ ٢٥٩، وزاد المسير ٥/ ٣٣٠-٣٣٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٦٨-١٦٩].

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[سورة التوبة: ١٠١]، فالآية فيها دليل على وقوع العذاب على المنافقين مرتين قبل عذاب يوم القيامة. فقيل: العذاب الأول في الدنيا بفضحهم بالنفاق والثاني: عذاب القبر. وقيل: الأول: ضرب الملائكة لوجوههم ولأدبارهم عند الموت. والثاني: في القبر بمنكر ونكير. وقيل غير ذلك. وأغلب المفسرين على أن عذاب القبر أحد العذابين قبل عذاب اليوم العظيم.

[انظر تفسير ابن عطية ٨/ ٢٦٢-٢٦٣، وتفسير القرطبي ٨/ ٢٤١، وتفسير ابن الجوزي ٣/ ٤٩٢- ٤٩٣، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٨٥].

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [١].

قوله: "كيف يسمع صياح الميت [٢] من يليه إلا الثقلين؟" قلنا: كما وجهناه فيما سبق.

قوله: "كيف يسمع من لا يسمع؟". قلنا: يخلق الله قوة السمع فيه.

قوله: "وكيف لا يسمع من يسمع؟".

قلنا: يخلق الحجاب المانع للسمع على سمعه، كما سبق في مناجاة موسى [٣].

قوله: "لا يحتاج من له أدنى تمييز إلى أن يتبين له أن هذا افتراء".

[قلنا: أما هذا فلا يشك عاقل أنه ممكن. وقد أخبر به الصادق.

وأما ما يدعيه من إلهية المسيح أو بنوته، واتحاد الأقانيم، ونحو ذلك فلا يشك عاقل أنه افتراء] [٤]، على الله ورسله، وأول خصم يكون لك يوم القيامة: المسيح. على ذلك. وأنت شخص متحير متردد، لا مسيحي ولا فيلسوف. بل كما قال [٥] القائل:

حدا باسمك الحادي وناحت حمامة ** فلم أدر أي الداعيين أجيب؟[٦]

---

(١) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٢) في (أ): صياح الديك.

(٣) انظر ص: ٤٧١ من هذا البحث وقد سبق أن بينا أن ما نقله الطوفي من أن الله أمر الريح فأخذت على أسماع الناس عند مناجاة الله لموسى ولولا ذلك لماتوا من صوت الله تعالى. لم أجد له أصل فالله أعلم بصحة ذلك.

(٤) مابين المعكوفتين ساقط من (م).

(٥) قال: ساقطة من (أ).

(٤) لم أعرف قائل هذا البيت رغم البحث الطويل. وحدا من الحدو وهو: سوق الإبل والغناء لها. والحادي سائق الإبل. ونوح الحمامة ما تبديه من سجعها على شكل النوح الذي هو البكاء بصوت حزن يبكي غيره.

[انظر لسان العرب ١٤/١٦٨-١٦٩، ٢/٦٢٧].

ومنها: في كتاب الزكاة [1]:

[الحشر والحشر يوم القيا، ٧٩م

حديث أبي هريرة: « ما من صاحب ذهب، ولا فضة، لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة / صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه » [2].

وفي الحديث الآخر: « من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا [3] يأخذ بلهزمته [4] ثم يقول له: أنا مالك. أنا كنزك. ثم تلا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [5] الآية [6].

---

(١) أي مما يدخل في باب الزكاة. أو المروي في كتاب الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، حديث ٢٤.

(٣) الشجاع: ضرب من الحيات لطيف دقيق، وهو- كما زعموا- أجرؤها. وهو الذكر منها. وقيل: هو الحية مطلقا. وقيل: الذي يقوم على ذنبه ويواثب الفارس. وقيل: الأقرع من الحيات الذي ابيض رأسه من السم. [انظر فتح الباري ٣/ ٢٧٠، ولسان العرب ٨/ ١٧٤]

(٤) في صحيح البخاري ومسند أحمد والموطأ: (شجاعا له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه) يعني شدقيه. والزبيبتان: زبدتان في الشدقين أو نقطتان سوداوان فوق عينيها. [انظر لسان العرب ١/ ٤٤٥، فتح الباري ٣/ ٢٧٠].

(٥) سورة آل عمران: ١٨٠، وتمامها: ﴿ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وفي تفسير سورة آل عمران، باب ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله... والنسائي في كتاب الزكاة، باب مانع زكاة ماله. وابن ماجه في كتاب الزكاة، باب ماجاء في منع الزكاة، ومالك في الموطأ في الزكاة، باب ماجاء في الكنز، وأحمد في المسند (٢/ ٩٨) وغيرها من المواضع. وهذا لفظ البخاري.

وفي حديث أبي ذر: «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم، لا يؤدي حقها إلا بطح لها يوم القيامة بقاع قرقر [1]، تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس » [2]. وحديث أبي سعيد [3]: « تكون / الأرض يوم القيامة ١١١٥أ خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ [4] أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة. فأتى رجل من اليهود. فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم [5]. ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة،

---

(١) القاع: المستوي الواسع من الأرض، والقرقر: كذلك المستوي من الأرض

[انظر شرح صحيح مسلم ٧/ ٦٤، ومنال الطالب ص ٣١٤، ولسان العرب ٨/ ٣٠٤، ٥/ ٨٥].

(٢) أخرجه مسلم عن جابر في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وهو طرف من حديث عند أبي داود في الزكاة، باب في حقوق المال، عن أبي هريرة. وأخرجه النسائي عن أبي ذر أيضا بنحو لفظ النسائي في كتاب الزكاة، باب ماجاء في منع الزكاة، وأحمد في المسند بمعناه (٢/ ٦٢, ٣٨٣) وغيرهما.

(٣) أبو سعيد الإمام المجاهد مفتي المدينة: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الخدري مشهور بكنيته، أول مشاهده الخندق، وشهد بيعة الرضوان ، وكان ممن حفظ من الرسول ﷺ-سننا كثيرة، وروى عنه علما جما. وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، عرضه أبوه يوم أحد وهو ابن ثلاث عشرة فرده النبي ﷺ، واستشهد أبوه فيها. توفي أبوسعيد ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وسبعين من الهجرة على أصح الأقوال. [انظر الاستيعاب ص ٦٠٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٨-١٧٢].

(٤) يتكفؤها: أي يميلها الجبار بيده، من كفأت الإناء إذا قلبته. كما يكفؤ المسافر خبزته أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها. [انظر فتح الباري ١١/ ٣٧٣، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٣٥، ولسان العرب ١/ ١٤١].

(٥) في (م) : القسم.

كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي - صلى الله عليه وسلم [1] - إلينا وضحك [2] حتى بدت نواجذه ثم ذكر أن إدامهم بالام ونون[3] وهما ثور ونون يأكل من زائدة[4] كبدهما سبعون ألفا» [5].

وحديث: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين [6]، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتمسى [7] معهم حيث أمسوا » [8] وفيه: "يقتص للشاة الجماء [9] من القرناء [10]، والعود لم خدش العود؟" [11].

---

(١) صلى الله عليه وسلم: ليست في: (م)، (ش).

(٢) في صحيح البخاري: ثم ضحك.

(٣) في (ش): نور.

(٤) في صحيح البخاري: "حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام ونون. وقالوا وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل . . . " ولفظ مسلم نحوه. وبالام: لفظ عبري معناه: الثور الوحشي. والنون: الحوت. وزائدة كبدها: هي القطعة المنفردة المتعلقة في الكبد، وهي أطيبها. [انظر فتح الباري ١١/ ٣٧٤، شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٣٥- ١٣٦].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة. ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة، حديث ٣٠.

(٦) في صحيح البخارى: وراهبين.

(٧) في الصحيحين: "حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم . . . ".

(٨) إلى هنا لفظ البخارى في كتاب الرقاق، باب الحشر، حديث ٦٥٢٢، ومسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث ٥٩، والنسائي في كتاب الجنائز، باب البعث. كلهم عن أبي هريرة.

(٩) في صحيح مسلم وسنن الترمذي: الجلحاء. وهما مترادفان ومعناهما: التي لا قرون لها.

(١٠) القرناء: التي لها قرون.

(١١) أخرج مسلم في كتاب البر، باب تحريم الظلم، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ماجاء في =

وحديث ابن عباس وعائشة: « يحشر الناس [1] حفاة عراة غرلا » [2] وحديث أبي هريرة: «إذا كان يوم القيامة دفع الله [3] إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك [4] من النار » [5].

ثم قال: "فانظر إلى هذه الأحاديث، وما تضمنته من الأخبار بأن مال الإنسان الذي يبخل به يصير صفائح من نار، ويصير أيضا شجاعا أقرع. وكيف أخبر عن حشر الحشرات والبهائم والعيدان، وأن الله يقضي [6] بينهن. وكيف تمشي الجمال والبقر على الناس؟ وكيف يحشر الناس[7] على الجمال ركابا؟".

=شأن الحساب والقصاص، وأحمد في المسند (٢/ ٢٣٥) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » وهذا لفظ مسلم، وله ألفاظ كثيرة عند أحمد. أما قوله: "والعود لم خدش العود" فلم أجده في روايات الحديث.

(١) في سنن الترمذي وسنن النسائي: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة...".

(٢) هذا طرف من الحديث الذي أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ماجاء في شأن الحشر، والنسائي في كتاب الجنائز، باب البعث. وله ألفاظ أخرى عند الإمام البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥] وغيره من المواضع. وعند مسلم في كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة. وغرلا: جمع أغرل وهو الأقلف الذي بقيت غرلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر. [انظر فتح الباري ١١/ ٣٨٤، ولسان العرب ١١/ ٤٩٠].

(٣) لفظ الجلالة: "الله" غير موجود في: (أ)، وفي صحيح مسلم: (دفع الله عز وجل إلى كل...).

(٤) فداؤك: في ألفاظ أحمد، ولفظ مسلم: فكاكك.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل...، حديث(٤٩) بهذا اللفظ، وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٠٢، ٤٠٧) بألفاظ غير هذا اللفظ.

(٦) في (أ): يقتضي.

(٧) «الناس» ليست في (ش).

قلت: والجواب عن هذا / من وجوه: ٦٤ش

أحدها: أن كل هذا ممكن، لا شك في إمكانه وقد أخبر به الصادق فيجب قبوله.

الثاني: أنه ليس عندك في إنكاره إلا كونه لم يذكر في كتابك / ونحوه وقد قدمنا: أن هذا استناد إلى الجهالة، واعتماد على الضلالة، ونحن عندنا أن محمدا ﷺ أكمل الأنبياء وأشرفهم، فلا يمتنع أن يختص من العلم بما لم يعلموه، على أن أصول دين الإسلام مشتركة بين سائر الأديان لقوله تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا/ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [(١)]. ١١٦أ ٨٠م

ولكن ذلك بدّل وغير في كتبكم لتطاول العهد، واعتوار [(٢)] اللغات والألسنة عليه [(٣)].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٢) من التعوير، والعوار مصدر عور الشيء أفسده، بالتداول. [انظر إكمال الإعلام بتثليث الكلام ٢/ ٤٥٦، والمصباح المنير ٢/ ٥٢٣].

(٣) لأن الله لم يتكفل بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم وسنة محمد-ﷺ-. قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [سورة الحجر: ٩] ولأن الله أكرم أمة محمد ﷺ بحفظ شريعة الله بالسند المتصل من محمد ﷺ أما اليهود والنصارى فليس عندهم مايروونه بالسند المتصل الصحيح عن أنبيائهم، ثم إن أمة محمد ﷺ لم تغير لسان شريعتها وخاصة القرآن الكريم لأن نقل الكلام من لغة إلى لغة بمفهومات مختلفة سبب في ضياع معناه الأصلي. فهي الأمة الوحيدة التي حافظت على شريعتها حتى في رسم الكلمات وهيئتها والحمد لله الذي أكرمها بذلك ووفقها إليه.

الثالث: أن هذا من الأمور الإلهيـة التي اعترفت أنت وحكيت عن أرسطو: "أن قوتنا بالنسبة إلى ادراكها، كإبصار الخفاش إلى الشمس" [1] وأن فائدة النبوات تعريف مـثل ذلك، فليس لك أن تعترف بقـصور عقلك عن أمر تعـود فتنكره بناء على أن عقلك لا يدركـه، بل إن اعترفت بأن الشرائع وردت بما يقصـر عنه العقل البـشري، لزمك تسليم مـثل هذا إذا أخبـر به صادق، ولا يبـقى لك نزاع إلا في صدقه وعـلينا بيانه، وإن أنكرت ذلك فلست من أهل الشرائع حـتى نتكلم معك، لأن أهل الشرائع أجمعوا على خلافك[2].

الرابع: أن العـالم بأسـره لما أنكر عليكم دعـواكم: أن الله هو المسيح وأنه عبـارة عن ثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس، إله واحـد، لجأتم إلى إمكان ذلك في قدرة الله، مع أن دعـواكم إذا حققت كانت باطلة قطعـا عند كل عاقل، وتمحلتم [2] لاثباتها بتشبـيهه بالشمس المتحدة في نفسهـا المشتملة على جرم وضوء وشعاع، وبالزبرة [3] المحماة المشتملة / مع وحدتها على حديد ونار وشرر، وأشباه ١١١٧أ هذا من الأشياء التي لا حاصل لها واستروحتم [4] إلى ذلك، مع أنه مكابرة جبناء فنحن أولى أن نلجأ في هذه الأمـور الغائبة عنا، الممكنة في نفسـها بلا خوف إلى قدرة الله سبحانه.

---

(١) انظر ص: ٢٣٧ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٢) في (ش): خلاف ذلك.

(٣) من تمحل: أي احتـال. [انظر لسان العـرب ١١/ ٦١٩، ومختـار الصحـاح ص٦١٧، والمعجم الوسيط ٢/ ٨٥٦].

(٤) الزبرة: القطعة من الحديد. [انظر لسان العرب ٤/ ٣١٦، ومختار الصحاح ص٢٦٧].

(٥) أي سررتم به ونشطتم، من راح الإنسان إلى الشيء يراح ويستـروح إليه، وإليه سكن واطمأن". [انظر لسان العرب ٢/ ٤٦٠، والمعجم الوسيط ١/ ٣٨٠].

الخامس: أن هذه الأحاديث ممكنة، وفيها فوائد وحكم، ومن أتى بشيء ممكن فيه حكمة وفائدة وجب قبوله منه، نبيا كان أو غيره، ما لم يقم دليل على[1] بطلانه.

أما امكانها فظاهر.

وأما فائدتها:

أما في حديث الصفائح والشجاع الأقرع، فتخويف الناس وحضهم على أداء حقوق الفقراء من أموالهم [2].

وفيها: حق لله، وهو تعبدهم بإخراج المال المحبوب، ووجه الجمع بينهما: إما بأن يحمل على أن بعض الناس يكوى بماله، وبعضهم يمثل له شجاعا، أو بأن مال الإنسان الواحد يكوى به تارة، ويمثل له شجاعا أخرى، ومعنى تمثيله له شجاعا: أن الله ـ سبحانه ـ يرسل عليه حية يعاقبه بها على ترك الزكاة.

وقوله: "أنا مالك، أنا كنزك" أي عقاب مالك، وجزاء منع حق كنزك. أو أن الله يخلق من الذهب والفضة شكل حية، ثم ينفخ فيها الروح / فتفعل ذلك [3]، كما أنه نفخ الروح في خشبة بيد موسى، فصارت حية تلقف ما ٨١م

---

(١) في (أ): "إلى بطلانه".

(٢) هذه حقائق ثابتة يجب الأيمان بها، فذكرها في السنة تخويف وإخبار بما سيكون لبعض الناس يوم القيامة.

(٣) هذا تكلف لا حاجة إليه.

صنعوا [1].

وأما بطح صاحب الأنعام لها حتى تطأه وتنطحه فظاهر الامكان وفائدته: ما ذكر.

وأما حديث « تكون الأرض خبزة » فهو شيء قد أخبر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ [2] ووافقه عليه حبر من أحبار اليهود، ولهذا فرح النبي ـ عليه السلام ـ بموافقته لئلا يستبعد ذلك منه جلف مثلك، وذلك يدل على أن اليهود يجدون ذلك في التوراة/ وهي حجة عليك. ٦٥ش

فإن قلت: لم نجد / هذا في التوراة عندنا الآن، ثم يجوز أن اليهودي واطأه على ذلك، أو خاف من مخالفته لئلا يقتله. ١١١٨أ

قلت: الجواب عن الأول: أن التوراة حرفت عما كانت في ذلك العصر فلا يلزم من عدم وجدانكم له عدمه حينئذ.

وعن الثاني: بأن اليهود [3] كانوا يوردون عليه المسائل ويمتحنونه، ويصدقونه في شيء ويكذبونه في أشياء، وما نقل عنه: أنه قتل منهم على ذلك أحدا، بل إنما كان يقتلهم في المحاربة[4]، ولو كان قاتلا أحدا منهم على شيء من ذلك لقتل

---

(١) قال الله تعالى عن عصا موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [سورة طه: ٦٩].

(٢) صلى الله عليه وسلم : ليست في (م)، (ش).

(٣) في (أ): "بأن اليهود بأن اليهود".

(٤) «المحاربة» ليست في (ش).

"ابن صياد" [1] لما قال له: "أتشهد [2] أني رسول الله؟" قال أنت رسول الأميين. ثم قال له ابن صياد: أتشهد أني رسول الله؟" فقال: "آمنت بالله ورسله" فقال له عمر بن الخطاب: دعني أقتله يا رسول الله ـ وكانوا يرونه الدجال ـ فقال: "لا" إنه إن يك هو فلن [3] تسلط عليه، وإن لم يكن هو فلا

---

(١) صبي اسمه صاف بن صياد أو ابن صائد. يهودي ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ فخاف الصحابة أن يكون الدجال فذهب إليه النبي ﷺ وكان قد خبأ له آية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ﴾ [سورة الدخان: ١٠] فقال له النبي ﷺ قد خبأت لك خبأ فقال: ابن صياد: هو الدخ. فقال النبي ﷺ اخسأ فلن تعدو قدرك، يعني إنما أنت كاهن، وقال ابن صياد يأتيني صادق وكاذب وأرى عرشا على الماء. فقال النبي ﷺ هو عرش الشيطان. وقد أخرج قصته الإمام البخاري وغيره في المواضع التي سأشير إليها في تخريج الحديث إن شاء الله، وقد ادعى الإسلام وسافر إلى مكة يقول أبوسعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ: "صحبت ابن صائد إلى مكة فقال لي: أما قد لقيت من الناس يزعمون أني الدجال. ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لا يولد له؟ قال: قلت بلى. قال فقد ولد لي، أوليس سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يدخل المدينة ولا مكة. قلت: بلى. قال: فقد ولدت بالمدينة، وهذا أنا أريد مكة، قال: ثم قال لي في آخر قوله أما والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو. قال فلبسني" وفي بعض ألفاظ الحديث قال ابن صياد عن الدجال: هو كافر وأنا مسلم، وقد أورد الأحاديث في ذلك مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، واختلف العلماء في صحة إسلامه وحجه وجهاده واقلاعه عما كان عليه وهو صبي. والله أعلم.

[انظر شرح صحيح مسلم ٤٦/١٨ وما بعدها].

(٢) في (م): أشهد.

(٣) في (ش)، (م) : لن.

خير في قتله"[1].

ولقتل "لبيد بن الأعصم" الذي سحره حتى اضطرب حالة السحر [2]، ثم لما ظهر عليه عفا عنه [3]، وكم بلغه السب والشتم من اليهود وغيرهم فعفا عنهم عن قدرة.

وأما حشر الناس على الإبل والدواب، واقتصاص بعضها من بعض فتحقيقا لإقامة العدل، في كل شيء من خلقه، والآخرة لا تقلب الحقائق، فكما يركب الناس الدواب الآن يركبونها هناك. وهذا يكون في الأرض لأن الله ـ سبحانه ـ يطوي السموات والأرض بيمينه [4] ويبدل الأرض غير الأرض [5].

---

(١) أخرج القصة الإمام البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات. . .وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، وفي كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي؟، ومسلم في كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد، والترمذي في كتاب الفتن، باب ماجاء في ذكر ابن صائد.

(٢) في (ش): حاله لسحره. قلت: كان ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله. وفي بعض روايات الحديث في هذا" حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن". ولم يتأثر في حالة السحر في أمر النبوة والوحي والعبادات كما أنه لا يليق إطلاق لفظ الأضطراب على رسول الله ﷺ، أما أنه يخيل إليه فهذا صحيح وهو ما ورد في الصحيح من الحديث.

(٣) انظر ص ٤٠٢ من هذا الكتاب.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[سورة الزمر: ٦٧].

(٥) قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨].

وأما حشر الناس حفاة غرلا، فتحقيقا لقوله تعالى: ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا ﴾ [1].

وأما كونه يدفع إلى كل / مسلم يهودي أو نصراني، يكون فداءه من النار، ١١١٩أ فلأن اليهود قتلوا الأنبياء وكذبوهم [2]، وصلبوا إلهكم المسيح بعد ظهور الخوارق على يده [3]، والنصارى [4] ادعوا إلهيته وإنما هو نبي كريم [5]. فأولئك فرطوا فيه وهؤلاء أفرطوا فيه [6]، / وكفرتم جميعا بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ [7] بعد ٨٢م مجيئه بالبينات والهدى [8] وما جزاء من يفعل ذلك إلا النار. وأنا أرجوا أن تكون أيها العلج فدائي من النار، لما حصل بيني وبينك من النظر والجدال في الله فنحن خصمان اختصموا في ربهم إن شاء الله تعالى [9].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٢) قال الله تعالى في اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٧]

(٣) هذا على زعم اليهود والنصارى.

(٤) كلمة: "والنصارى" مكررة في: (أ).

(٥) قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ... ﴾ [سورة المائدة: ٧٢ـ٧٥].

(٦) «أفرطوا فيه»: ليست في (ش).

(٧) صلى الله عليه وسلم: ليست في: (م)، (ش).

(٨) قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. [سورة الصف: ٦]

(٩) كلمة «تعالى» ليست في (ش).

ومنها: حديث: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله» [1].

وفي سورة آل عمران [2]: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾. وذكر عن تفسير ابن عطية [3]، حديث: «إن أرواح الشهداء على باب الجنة في أجواف طير خضر» [4] في أشياء مما يتعلق بهذا.

قلت: وذلك مما لا إشكال فيه. فإن الأرواح عندنا أجسام لطيفة فلا يمتنع أن يكرم الله الشهداء بأن يعلقها بأشكال الطيور [5]، ليدوم نعيمها حتى القيامة جزاء على جودهم بأنفسهم في سبيل الله.

---

(١) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، وفي كتاب الجهاد، باب الشهادة سبع سوى القتل. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، والترمذي في كتاب الجنائز، باب ماجاء في الشهداء من هم؟، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٥، ٥٣٣).

(٢) سورة آل عمران ،الآية: ١٦٩.

(٣) انظر تفسير ابن عطية ٣/ ٢٩٣.

(٤) أخرجه بألفاظ غير هذا اللفظ: مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة، والترمذي في تفسير سورة آل عمران، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر، والدرامي في كتاب الجهاد، باب أرواح الشهداء، وأحمد في المسند (٦/ ٣٨٦).

(٥) هذا رأى بعض العلماء، مستدلين بإحدى روايات الحديث السابق" أرواحهم كطير خضر" وأنه يطابق الحديث الذي أخرجه النسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين، وغيره: "إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله يوم القيامة".

رد هذا الرأي الإمام ابن القيم في كتاب الروح ص ١٥٠ وما بعدها، وقال إنها في أجواف طير خضر أي أرواح وطير، هي في أجوافها تطير وتروح إلى قناديل مستقرة تحت العرش هي مأوى لتلك الطير. مستدلا بحديث: «إن أرواح الشهداء. . .في أجواف طير خضر» وهو أصح من الحديث السابق ومن الرواية الأخرى للحديث نفسه. والله أعلم.

وأما بقية الشهداء، فهم شهداء تسمية: إما باعتبار أن لهم كأجر الشهداء في سبيل الله تفضلا [1] ، أو لأن ملائكة شهداء المعركة تشهدهم [أو غير ذلك. لا حكما. بدليل أحكام شرعية افترق فيها القبيلان [2] ، كالغسل والصلاة [3] ومغفرة الذنب بأول قطرة من دم] [4] ، حتى الدّين يعفى له عنه على مقتضى حديث روي في ذلك [5] ، دون بقية الشهداء/ .

٦٦ش

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم ١٣/ ٦٣، وفتح الباري ٦/ ٤٣ـ٤٤.

(٢) القبيلان أو القتيلان: المقتول في سبيل الله ـ أي في الجهاد ـ والميت أو المقتول بغير ذلك ممن جاءت النصوص الشرعية بالاخبار بأنهم شهداء ويسمون شهداء الآخرة. أما المقتولون في حرب الكفار فهم شهداء الدنيا والآخرة.

(٣) المقتول في حرب الكفار هو الذي لا يصلى عليه ولا يغسل، فيدفن بثياب المعركة.

(٤) مابين المعكوفتين ساقط من (م).

(٥) ورد في صحيح مسلم في كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين، عدة روايات عن قتادة وعبدالله بن عمرو، أن من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين منها: قوله ﷺ:« القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين» ويشير المؤلف ـ رحمه الله ـ بقوله: "حديث روي في ذلك" إلى ما أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل غزو البحر. قال: حدثنا عبيد الله بن يوسف الجبيرى، ثنا قيس بن محمد الكندي، ثنا عفير بن معدان الشافعي، عن سليم بن عامر [الكلاعي] قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شهيد البحر مثل شهيدي البر، والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر، وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله. وإن الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الأرواح، إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبضَ أرواحهم، ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين، ولشهيد البحر الذنوب والدين" قلت: في سنده عفير بن معدان وهو ضعيف جدا ضعفه ابن حجر وغيره فيكون الحديث بهذا الإسناد ضعيفا وإن كان الألباني قال عنه: " موضوع بهذا التمام" [انظر سلسة الأحاديث الضعيفة للألباني ٢/ ٢٢٢] ولو صح هذا الحديث لخصص حديث مسلم في شهيد البحر. والله أعلم.

ومنهـا: حديث المعـراج والبراق [1] ، وما جـرى فيـه / من العجـائب، ١١٢٠أ
وخلاف النـاس في دخوله بيت المقـدس أم لا؟ وأن المعراج هل كـان بشخـصه أم بروحه مناما؟

قلت: حديث المعراج أجمع المسلمون على صحته. والمعتمد عليه منهم على أنه كان بروحـه مناما مرة، ثم كـان بشخصـه يقظة أخرى. وكانت الأولى تمهـيدا للثانية، وأنه عليه السلام دخل بيت المقدس [2].

---

(١) انظر صـحيح مـسلم كـتاب الإيمان، بـاب الإسراء برسـول الله ﷺ، إلى السـماوات وفـرض الصلوات. فقد روى ثـلاثة عشر حديثا فـيها وما جرى في الإسـراء. وصحيح البخـاري كتاب بدىء الخلق، الباب السـابع: "إذا قال أحدكم آمين. . . ". وكتـاب التوحيد باب ٣٧: "ماجاء في قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وغيرهما. وأحاديث الإسراء كـثيرة ورد الصحيح منها في صحيحي البخاري ومسلم والسنن وغيرها.

(٢) بناء على الروايات التي وردت فيها قـصة الإسراء، وما فيها مما يوهم الخلاف بينهـا، فقد اختلف العلماء: هل كانت الإسراء مناما أم يقظة؟ أوبروح النبي ﷺ دون جسده أم بجسده وروحه معا؟ على أربعة أقوال:

الأول: أنها كـانت بروحه وجسده مـعا من المسجد الحـرام إلى بيت المقدس ثم إلى السمـاء بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة مرة واحدة يقظة لا مناما.

الثاني: أنها كانت بروحه دون جسده. ونسب هذا إلى عائشة ومعاوية رضي الله عنهما.

الثالث: أنها كانت مناما وأنه رأى أنه عرج به إلى السماء.

الرابع: أنها كانت مرتين مرة مناما بروحه ومرة يقظة بروحه وجسده، وأن الأولى تمهيد للثانية.

وهذا ما سـار عليه المؤلف رحمـه الله تعالى وحجـتهم في ذلك الجمع بين حـديث شريك عند البخاري وفيه: " ثم استيقظت" وبين الروايات. ولكن الراجح القول الأول للأحاديث الصحيحة التي تشهـد بذلك، ولأن شريكاً رضي الله عنه قد غلط في الألفاظ وقـدم وأخر وزاد ونقص. كما قـال مسلم رحمه الله ـ. [انظر شرح الـعقيدة الطحاوية ص ٢٤٥ـ٢٤٩، وصـحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ. . . وفرض الصلوات].

وحديث المعراج، وما جرى فيه مما [1] يجب تسلمه عن[2] صاحب الشريعة إذ لا طريق إليه إلا من جهته، كما كان يخبر موسى بما يجري له مع ربه على الطور [3] ، وكما أخبر المسيح أنه يصعد إلى أبيه فيكون عن يمينه، وأنه في آخر الزمان يأتي في مجد أبيه والأملاك حوله [4].

ومنها: الآيات والأحاديث المتضمنة لذكر مافي الجنة من مأكول ومشروب ومنكوح. وذكر من الأحاديث ما هو صحيح وباطل وأنكر ذلك واستعظمه بناء على شبه:

إحداهن: ما نقل عن الإنجيل: أن المسيح قال في القيامة: "لا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون، ولكنهم مثل ملائكة الله في السموات" [5] وذكر عن جماعة من الأنبياء / أنهم سألوا الابتهاج بوجه الله ـ يعني فلا يكون بغيره. ٨٣م

الثانية: أن الطعام والشراب في الدنيا لضرورة بقاء الأبدان، لأنها بدونهما تلهك، وهناك يصيرون كالملائكة لا يخشى عليهم الهلاك، لأنها دار السعادة الكاملة.

---

(١) في (م): من ما.

(٢) في (ش): من.

(٣) ذكر في سفر الخروج الأصحاح الثالث. والطور: هو الجبل الذي كان عنده موسى عليه السلام عندما كلمه الله سبحانه، وأنزل عليه فيه التوراة، واختلف في معناه. فقيل: الطور: الجبل بالسريانية. وهو طور سيناء، وطور سينين على خلاف في معنى: سيناء، وسنين. [انظر تفسير القرطبي ١/٤٣٦، ١٢/١١٤ـ١١٥، ٢٠/١١٢، وزاد المسير١/٩٣، ٥/٤٦٦-٤٦٧، ومراصد الاطلاع ٢/٨٩٦].

(٤) ذكر ذلك في إنجيل متى الأصحاح الخامس والعشرين.

(٥) انظر إنجيل متى الأصحاح الثاني والعشرين.

الثالثة: ما ذكره أبو علي ابن سينا [1] في "التنبيهات" حيث تكلم في: "البهجة والسعادة" وحاصله: أن اللذة ليست منحصرة في الحسيات [2] بل الإنسان قد / يترك الحسيات [3] لتحصيل لذة الغلبة، ولو في أمر ما خسيس كالشطرنج، أو في تحصيل ذكر جميل بعده، يقتحم لأجله الأخطار، وليس ذلك من اللذات العقلية، فما ظنك بالعقلية؟" [4]. ١١٢١أ

هذا حاصل ما ذكره في هذا[5] السؤال، وان كان قد أسهب[6] فيه وأطال.

والجواب: أما اللذات الحسية من مأكل ومشرب ومنكح، وكل ما يشتهيه الإنسان من اللذات الممكنة التي لا تغذي فيها، فهو مجمع على حصوله في الآخرة بين المسلمين.

وأما شبه هذا الخصم على بطلان ذلك:

---

(١) الحسين بن عبدالله بن سيناء أبوعلي الفيلسوف الرئيس الطبيب المشهور بالفلسفة والمناظرات. تقلد الوزارة في همذان وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته فتوارى ثم صار إلى أصفهان، ورجع إلى همذان في آخر حياته فمرض في الطريق ومات بها سنة ٤٢٨هـ يقول عن نفسه: "أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم" أي من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا بخالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله، وكتبه تشهد بإلحاده.

[انظر الأعلام ٢/ ٢٤١ـ٢٤٢، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٢٦٦].

(٢) في (أ): في الحيات.

(٣) في (أ): الحيات.

(٤) انظر كتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا: القسمان الثالث والرابع ص ٧٤٩ـ٧٥١.

(٥) «هذا» ليست في (ش).

(٦) في (أ): "قد انتهب".

أما الأولى: فلا شك أنهم نقلوا في الإنجيل عن المسيح: أن الزنادقة المنكرين للقيامة سألوه عن سبعة إخوة تزوجوا امرأة واحدا بعد واحد، ويموتون عنها، فلمن تكون في الآخرة؟ [1] فأجابهم بما ذكر ههنا، وهو: أن الناس في الآخرة كالملائكة لا يأكلون ولا يتزوجون، لكن هذا ينافيه ما في الفصل التاسع والعشرين [2] من إنجيل مرقس: أن المسيح قال لرجل: "بع كلما لك واعطه للمساكين واكنزه في السماء" فصعب على الرجل، فقال له بطرس: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فقال يسوع: "الحق أقول لكم: إنه ليس أحد ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو بنين أو حقلا لأجلي ولأجل بشارتي [3] إلا وهو يأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان: منازل وإخوة وأخوات وأب وأم وبنين في الشدائد وفي الدهر الآتي في الحياة المؤبدة، أولون كثيرون يكونون آخرين، وآخرون أولين".

قلت: فهذا نص في أن الناس في نعيمهم في [4] الآخرة، كهم في الدنيا، / ٦٧ش
وصرح بذكر المرأة. وفائدتها: النكاح، وبالحقل. وفائدته: / الأكل، وكذا [5] قال ١١٢٢
في آخر الفصل التاسع والعشرين [6] من إنجيل مرقس: "من ترك شيئا لي أخذ أضعافه في الحياة الدائمة".

---

(١) انظر إنجيل متى الأصحاح الثاني والعشرين.

(٢) في التراجم الحديثة: الأصحاح العاشر.

(٣) في (أ): "ولأجل بشا إلا وهو".

(٤) (في) ليست في (ش).

(٥) في (أ): وكذى.

(٦) في التراجم الحديثة: الأصحاح العاشر. وانظر إنجيل متى آخر الأصحاح التاسع عشر، وإنجيل لوقا الأصحاح الثامن عشر.

وهو عام في كل ما ترك من الدنيا، فيتناول المطعم / والمشرب والمنكح [1]. ٨٤م
فهذا نص المسيح، على خلاف ما ذكرتم عنه في جواب الزنادقة، فأحد النصين كذب قطعا، وحينئذ يسقط الوثوق بالانجيل لوقوع الكذب فيه.

وأما جوابه للزنادقة بما ذكرتم، فإن صح فهو محمول على قيامة الموت لأن قيامة كل أحد موته، لأنه أول منازل القيامة فكأنه [2] يقول: إذا مات الشخص تجرّ [3] روحه من بدنه، فكان كالملائكة، حتى يبعث جسده يوم القيامة فيعطى أضعاف ما ترك لأجلي في الدنيا، جمعا بين نصيه، وإلا فالحكاية موضوعة مختلقة، ويدل على ذلك: أن سؤال الزنادقة له إنما هو على جهة الإيراد على دينه، والإلزام له على ما أشار إليه سياق الإنجيل ولا يتم لهم ذلك إلا بعد علمهم بأن من دين موسى والمسيح ثبوت النعيم الحسي في الآخرة، فجوابه لهم بما ذكرتم عنه يكون موافقة ومساعدة لهم.

وقد استوفيت الكلام على ذلك في: "التعليق على الإنجيل" [4].

---

(١) قلت: بل في الأناجيل التى بأيديهم إثبات للأكل والشرب في الآخرة منها ما في إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرين: "وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة - أي الخمر - هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي" ، وفي إنجيلهم أيضا أن المسيح قال لتلاميذه في وصية وصاهم بها: " لتطعمن ولتشربن في مائدتي في ملك الله" [انظر الإعلام بما في دين النصارى من الفساد. . . ص٤٣٥].

(٢) في (أ): مكانة وفي (ش): حكاية.

(٣) في (ش)، (أ): تجرد روحه.

(٤) أي في كتابه تعاليق على الأناجيل ص٢٩-٣٠ مخطوط. وكلام الطوفي هنا تلخيص لما قاله فيه.

[رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة]

وأما سؤال الأنبياء للابتهاج [1] بوجه الله سبحانه فلا يبقى ما يدعيه، لجواز أن تكون البهجة بالأمرين، أعني النظر إلى وجه الله، والتمتع باللذات الحسية، وهذا عين ما نقوله. وقد سأل النبي ﷺ في دعائه التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم [2]، وأجمع على جوازه ووجوبه المسلمون.

وفي القرآن الكريم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [3] وأجمع المفسرون / على أن المراد بالزيادة: النظر إلى وجه الله سبحانه [4]. ١١٢٣أ

وأما الثانية: فمثبتة على التي قبلها وقد بطلت، ثم لا نسلم: أن الطعام

---

(١) في (ش)، (م): الابتهاج.

(٢) أخرج النسائي في كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، من طريقين عن عمار بن ياسر... فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ "وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك..." والحديث صحيح.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٤) أخرج مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه. حديث ٢٩٧، والترمذي في كتاب الجنة، باب ماجاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، وفي تفسير سورة يونس، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٢, ٣٣٣) عن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: « تريدون شيئا أزيدكم» فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦] وهذا لفظ مسلم.

والشراب في الدنيا لضرورة بقاء الأبدان على الاطلاق، لأن ذلك إنما تصح دعواه فيما يقيم الرمق [1] ويحفظ البنية، فما قولك فيما زاد على ذلك كأنواع المآكل والمشارب من اللحوم والحلاوات وأنواع الأشربة، ولهذا من ترهب [2] من النصارى والمسلمين يقتصر على البلغة [3]، ويدع ما سواها مما يتناول للتنعم [4]. وإذا كانت الدنيا مع أنها دار فناء ونفاد، فيها هذا النعيم، فالدار الآخرة الباقية الدائمة المأمونة الزوال أولى بذلك. ثم هب أن المأكول والمشروب لضرورة بقاء البدن، فما تقول في النكاح مع أن البدن يبقى بدونه؟ فهو من باب النعيم لا محالة.

وأما الثالثة: فهي مبنية على رأي "أبي علي" [5] في أن المعاد لا يكون إلا روحانيا، فلا تتصور [6] اللذات الحسية. إذ شرط ادراكها / تعلق النفس بالبدن ٨٥م وحجته على ذلك [7]، ما حكاه الإمام فخر الدين [8] في المباحث المشرقية: "أن

---

(١) الرمق: بقية الحياة، وفي الصحاح: بقية الروح، وقيل آخر النفس. والعيش الرمق: أي الضيق. [انظر لسان العرب ١٠/ ١٢٥، ومنال الطالب ص٢٣].

(٢) في (أ): يذهب.

(٣) البلغة: الشيء اليسير، الذى يتوصل به إلى الغرض. [منال الطالب ص٣٦١].

(٤) في (ش)، (م): مما يتناول المتنعم.

(٥) ابن سينا. وتقدمت ترجمته.

(٦) في (أ): يتصور.

(٧) في (أ): " علي ذلك علي ما حكاه".

(٨) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص١٧٤.

البدن لو أعيد لكان إما أن يعاد في زمن ابتدائه، أو في غيره. فإن أعيد في زمن ابتدائه، لزم اتحاد الزمنين، مع ما بينهما من الفواصل الكثيرة والأزمنة المتعددة، وهو [1] محال. وإن أعيد في غيره لم يكن المعاد هو عين المبتدأ" [2].

قلت: وهذا وهم قبيح من مثل ذلك الفاضل العلامة. لأنه كأنه يوهم أن الزمان داخل في حقيقة البدن، أو أن اتحاد الزمن شرط في صحة الإعادة. وليس كذلك، ولا دليل عليه.

ومذهب المسلمين/ قاطبة: القول بالمعاد البدني، / وإدراك اللذات الحسية ١٢٤أ
والعقلية. ولذلك مناسبة حسنة، وهي: أن العالم على ثلاثة أضرب. عقل محض ٦٨ش
كالملائكة، وشهوة محضة كالبهائم، ومركب من الأمرين وهما الثقلان. فالطرفان لا مشقة عليهم. أما البهائم فلعدم التكليف وأما الملائكة فلعدم الشهوة المعارضة لعقولهم، والثقلان واسطة، عليها المشقة لتنازع العقل والشهوة في مراديهما. فيتعب[3] الإنسان بينهما كالمخلص بين متخاصمين. فلا جرم أن الملائكة لما عبدوا الله بالعقل المجرد الخالي عن معارضة الشهوة كانت لهم اللذة العقلية، والبهجة

---

(١) في (م): وهي محال.

(٢) الذي وجدته في المباحث المشرقية للرازي بمعنى هذا وهو: " إنه لو صح إعادة المعدوم لصح إعادة الوقت الذي وقع فيه ابتداء، فيصح أن يعاد هو في ذلك الوقت بعينه فيكون وقت إعادته هو بعينه وقت ابتدائه فيكون مبتدأ من حيث أنه معاد. هذا خلف" اهـ.

[المباحث المشرقية ١/٤٧-٤٨]

(٣) في (أ): فيبعث.

الروحانية. والبهائم لما خلت عن عقل تعبد الله به تمتعت باللذات الحسية الشهوانية مدة بقائها في استعمال المكلفين لها ثم يوم القيامة، تصير ترابا بعد أن يقتص لبعضها من بعض [1]، لأنه لا عبادة لها تستحق بها يوم القيامة لذة عقلية ولا حسية.

وعند مصيرها ترابا يقول الكافر: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾ [2] وبنو آدم لما تعبدوا فيما بين العقل والشهوة وجب بمقتضى هذه المناسبة أن يجمع لهم في الآخرة بين اللذتين العقلية بمقتضى العقل الذي عبدوا الله وعرفوه به، والحسية بمقتضى الشهوة التي صبروا على خلافها في طاعة الله ـ سبحانه ـ ولو في التوحيد وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [3] أي بما صبروا على الطاعات وعن الشهوات [4].

هذا آخر الجواب عما يستحق أن يجاب عنه من هذا السؤال من الآيات والأخبار الصحيحة، فأما ما ذكره من ضعيف الأخبار. وكلام "أبي حامد" [5] وغيره: فلا يلزمنا / الجواب عنه، ولا هو ممن يستحق ذلك". ١١٢٥أ

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٣٠/٢٦) من طرق عن عبدالله بن عمرو وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ من عدة طرق أحدهما مرفوع من طريق أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « يقضي الله بين خلقه الجن والانس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرنا، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: (كونوا ترابا) فعند ذلك يقول الكافر: ياليتني كنت ترابا". وفي سنده راو غير مصرح به. وذكر الشوكاني ـ رحمه الله ـ أن ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور: أخرجوه عن أبي هريرة.

[انظر تفسير الشوكاني ٥/ ٣٧١].

(٢) آخر سورة النبأ.

(٣) سورة الإنسان، آية: ١٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٩/ ٢١٣، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٣٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٥.

(٥) هكذا في النسخ الثلاث "أبي حامد" ولعل لأبي حامد الغزالي كلام نقله هذا النصراني فأشار إليه الطوفي بهذه الإشارة. ولو كان المقصود أبي علي ابن سينا. لكان الجواب عن كلامه حاصل أولا.

٨٦م [اعتراض النصراني على خلق السموات والأرض في ستة أيام]

قال: وفي سورة الأعراف [١]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ... ﴾.

وقال في سورة السجدة [٢]: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ... ﴿١٢﴾﴾ [٣].

فمقتضى هذه الآية الثانية أن السموات والأرض خلقتا [٤] في ثمانية أيام ألا ترى أنك لو قلت:

بنيت بيتا وأسسته في يومين، وأقمت حيطانه في أربعة أيام، وسقفته في يومين، لم يشك عاقل، يسمع قولك في [٥] أن مدة إقامتك البيت بجملته ثمانية أيام. ولهذا يلزم محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٦] إن كان صادق الإخبار في الآية [٧] الأولى فالثانية بالضرورة كاذبة. وبالعكس. وذلك مطلوبنا.

---

(١) الآية: ٥٤.

(٢) هي: حم السجدة، وهي: فصلت.

(٣) قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة فصلت: ٩-١٢].

(٤) في النسخ الثلاث: خلفت.

(٥) "في" ليست في (م).

(٦) جملة: صلى الله عليه وسلم: ليست في (م) و(ش).

(٧) كلمة "الآية" ليست في (أ).

قلت: الجواب عن هذا: أن الآيتين لا تناقض فيهما [1]، ولكن هذا الشخص لم تكن له معرفة بالقرآن ولا لغة العرب وتنزيل الألفاظ منازلها وجدير بمن يتكلم فيما لا يعلم أن يخطىء ويتلعثم.

وبيان ذلك: أن القرآن مصرح في أكثر من ستة مواضع بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام [2]. فهذه نصوص لا تحتمل التأويل. وهذه الآيات التي في سورة السجدة [3]. فيها نوع اجمال. والمراد بها ما في تلك النصوص، ولا يبين ذلك إلا بالتأويل، والتوفيق بين الكل، ومن قواعد الأصوليين حمل المجمل على المبين،/ والظاهر على النص، والمطلق على المقيد، والعام على الخاص ٦٩ش
فهذا مجمل، أو محتمل نحمله على ذلك النص الصريح.

وبيانه: أن اليومين المذكورين في قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ١١٢٦أ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ؟ داخلان في الأربعة المذكورة في قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ والدليل على ذلك من وجوه:

أحدها: أن الله سبحانه يقول في سجدة "الم" [4] وغيرها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴿٤﴾﴾ ثم ثبت بهذه الآية المتنازع فيها أنه خلق السموات في يومين، فتعين أنه خلق الأرض بما فيها من الجبال والشجر

---

(١) في (ش)، (أ): فيها.

(٢) ذكر الله ذلك في سبعة مواضع هي في سورة الأعراف الآية ٥٤، وفي يونس: ٣، وفي هود: ٧، وفي الفرقان: ٥٩، وفي السجدة: ٤، وفي ق: ٣٨، وفي الحديد: ٤.

(٣) هي سورة فصلت.

(٤) الآية: ٤.

والبحار والأقوات وغيرها في أربعة أيام، لأن هذه الأشياء إما من حقيقة [1] الأرض، أو مما بينها وبين السماء. فتعين بما ذكرناه أنها داخلة فيما خلق في أربعة أيام التي منها اليومان الأولان [2].

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿ **في أربعة أيام** ﴾ إما أن نعلقه بتقدير الأقوات فقط، أو به وبما قبله من خلق الأرض وجبالها، والبركة فيها. والأول باطل، لأنه يلزم[3] / أن يكون فعل ما قبل ذلك، لا في زمان، وهو محال. فتعين الثاني، ٨٧م
وهو أن أربعة الأيام متعلقة بجميع ما تقدم، من قوله: ﴿ **خلق الأرض** ﴾ إلى قوله: ﴿**أقواتها**﴾ [4] وعلى هذا اعتراض لا يخفى.

الوجه الثالث: أن محمداً ـ عليه السلام ـ لم يشك أحد في حكمته وفصاحته ولهذا نسبه الأعداء إلى أنه إنما أقام ناموسه بالحكمة والسيف. ومن يكون من الحكمة في هذه الرتبة لا يناقض ما صرح به في ستة مواضع بما يقوله في موضع، ولا يخفى عليه ذلك. فدل هذا على أنه أراد بما في هذه الآية ما في تلك الآيات. وذلك إنما يصح بجعل اليومين الأولين داخلين في الأربعة الثانية ويصير / ١١٢٧
هذا كما لو قلت: سرت من القاهرة[5] إلى بيت المقدس[6] في عشرة أيام، وإلى

---

(١) كلمة: "حقيقة" ليست في (م).

(٢) وهذا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره للآية ٤/ ٩٣، ولا اعتراض على هذا التفسير فهو الصحيح.

(٣) في (ش): لزم.

(٤) ذكر هذا بمعناه الإمام الطبري في تفسيره (٢٤/ ٩٥-٩٧).

(٥) القاهرة: مدينة بجنب الفسطاط يجمعها سور واحد، وهي اليوم المدينة الكبيرة التي تجمع عدة محافظات وهي عاصمة جمهورية مصر العربية، وتعرف قديما باسم القاهرة المعزية لأنها عمرت أيام المعز العلوي فصارت مدينة أعظم من مصر الذي أصبح معها مدينة واحدة الآن.
[انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٦٠].

(٦) من أسمائها: أورشليم، وايليا. انظر التعريف بها في هامش ص: ٣١٧ و ٤١٥ من هذا الكتاب.

دمشق [1] في عشرين [2]. فإن [3] العشرة داخلة في العشرين.

أما ما ذكرته من أن [4] قول القائل: بنيت بيتا فأسسته في يومين وأقمت حيطانه في أربعة أيام، وسقفته في يومين: يفيد أن الجملة ثمانية أيام. فجوابه أن فرضك لهذه الصورة مع تقدير تقدم النص من القائل بأنه [5] أقام جملة البيت في ستة أيام، أو مع عدم تقدير ذلك؟.

فإن قلت: مع [6] تقدير تقدم النص المذكور كان كمسئلتنا. فلا نسلم استفادة ثمانية أيام من القول المذكور [7]، بل ستة كالمنصوص. ويكون ذلك النص قرينة في هذا التأويل، أعني حمل الثمانية الظاهرة على الستة المنصوصة.

وإن قلت: مع عدم النص فليس ذلك مثل مسئلتنا، إذ لا نص معنا يكون قرينة نحمل بها الظاهر عليه، وحينئذ لا يلزم ما ذكره من كذب إحدى الآيتين ولا يحصل له مطلوب.

---

(١) دمشق: البلدة المشهورة. وهي قصبة الشام، ويقال لها قديما جنة الشام، لحسن عمارتها وبقعتها وكثرة أشجارها وفواكهها، ومياهها المتدفقة في مساكنها وأسواقها وجامعها ومدارسها. قيل: سميت بذلك: لأنهم دمشقوا في بنائها. أي: أسرعوا. وقيل: اسم واضعها دمشق بن كنعان. وقيل: غير ذلك. [انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٥٣٤].

(٢) من الأولى أن يقول في بداية المثال: "سافرت عشرين يوما، فسرت من القاهرة..." ليكون أكثر دقة.

(٣) في النسخ الثلاث: "في أن العشرة".

(٤) «أن» ليست في (ش).

(٥) في (ش): فإنه.

(٦) مع: ساقطة من (أ).

(٧) في (أ): المذكورة.

ومنهـا: مـا رواه مـالك [1] في "مـوطئـه" بسنـده إلى أبي بكر [2] في كـتـاب "الجنائز" قـال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: « مـا دفن نبي قط إلا في مكانه الذي توفي فيه » فحفر له فيه [3]. [مكان دفن الأنبياء]

قال: "وهذا افتراء وقول باطل. فإن "يعقوب" توفي بمصر، وحمل إلى [4] مقبرة أبيه إبراهيم" فدفن فيها [5]، وكذلك "إبراهيم" و "إسحاق" دفنا هناك ولم يدفنا في مكانيهما من داريهما، وكـذلك "داود" و "سليمان" / إلى غيرهما من الأنبياء ماتوا بأماكنهم، ودفنوا في غيرها. ٧٠ش

وبالجملة: مـا دفن نبي من الأنبيـاء في مكانه الذي توفي فيه، / فـضلا أن يكونوا أجمعون دفنوا حيث ماتوا". ٨٨م

قلت: الجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن مـا ذكره من دفن يعقوب فـي غير / موضع مـوته، مأثور عن التوراة، والتوراة فيـها من التحريف والتهافت والتناقض مـا يمنع الوثوق بها ـ كما سبق ـ . ١١٢٨أ

---

(١) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ١٠٦.

(٢) تقدمت ترجمته في قسم الدراسة ص: ٨٨.

(٣) أخرجه مـالك في الجنائز، باب ما جاء في دفن الميت، وهو من بلاغاته ـ رحمـه الله ـ وسيأتي بقية لتخريجه عند غير مالك.

(٤) إلى: سقطت من (أ).

(٥) في (م): بها.

الثاني: أنه [1] ذكر في التوراة أن يعقوب بقي بمصر يبكي عليه سبعين يوما [2]. ولو بقي ذلك القدر غير مدفون لأنتن وأراح [3] إذ هو بشر على كل حال وذلك إهانة للميت.

ولهذا جاء في شرعنا: أن من إكرام الميت أن يبادر بدفنه، فدل على أنهم دفنوه حتى انقضت مناحتهم [4]، ثم استخرجوه فنقلوه إلى آبائه. وحينئذ لا يكون نقله منافيا لدفنه حيث مات.

فإن قيل: لعلهم صبروه [5] حتى مكث تلك المدة ولم يحتج إلى دفن.

قلنا: هذا لم ينقل في التوراة ولا غيرها ومجرد احتماله لا يكفي في التصديق به. وما ذكر فيها من تحنيطه لا يدل على تصبيره، إذ كل الموتى يحنطون عند الإمكان [6].

---

(١) أنه: سقطت من (أ).

(٢) القصة في سفر التكوين آخر اصحاح منه حسب التراجم الحديثة، وفيها أنه بقي يبكي عليه أربعين يوما. وهذا دليل على تحريفهم التوراة بعد زمن المؤلف أيضا.

(٣) أراح: من راح: أي وجد ريحه. [انظر مختار الصحاح ص ٢٦٢].

(٤) المناحة: الاجتماع للحزن. [انظر لسان العرب ٢/ ٦٢٧، ومختار الصحاح ص ٦٨٤].

(٥) هو من التصبير: وهو وضع الصَّبر: أو الصِّبر، على جسد الميت لتجفيف الرطوبات وتنشيفها. والصِّبر: نبات كثير الماء في خضرته غبرة... ويقال: إن ثمود لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا بالأنطاع ـ نوع من الأدم ـ وتحنطوا بالصَّبر لئلا يجيفوا وينتنوا، وتضمد به العينان. [انظر لسان العرب ٤/ ٤٤٢، ٧/ ٢٧٨، وشرح صحيح مسلم ٨/ ١٢٤].

(٦) التحنيط: وضع الحنوط على جسد الميت: والحنوط: طيب يخلط للميت خاصة، وقيل: الكافور. استدل بعض العلماء على تحنيط الميت بمفهوم الحديث الذي أخرجه البخاري في الجنائز، باب الحنوط للميت، ومسلم في الحج حديث ٩٤ وغيرهما في قصة المحرم الذي سقط =

الثالث: أنك ناف ونحن مثبتون، والإثبات مقدم على النفي، إذا استوى المخبران، فكيف والمخبر بالإثبات ذو ناموس عظيم. وأنت فيلسوف علج.

الرابع: ـ وهو المختار عندي في الجواب ـ منع صحة الحديث [1]، فإني كشفت عنه في كتاب "الجنائز" من الموطأ فلم أجده [2]، ولم أعلم أحدا رواه إلا أحمد قال: ثنا عبدالرزاق [3] قال: أنا [4] ابن جريج [5]، قال: أخبرني أبي [6]:

= من فوق دابته فقال النبي ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا» وبصريح الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت حديث ١٤٦٢ "من غسل ميتا وكفنه وحنطه وحمله وصلى عليه ولم يفش عليه ما رأى خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه" وإسناده ضعيف.

[انظر فتح الباري ٣/ ١٣٦، وما قال صاحب الزوائد على سنن ابن ماجه في الموضع المتقدم].

(١) أرى أن درجة الحديث والاعتماد عليه أقوى من درجة ما يدعونه من التوراة والإنجيل. وأن صحة أو ضعف هذا الحديث لا يهمنا ما دام اعتمادهم على ما هو أضعف كما بينه المؤلف في الوجه الأول.

(٢) الحديث رواه مالك في الموضع المشار إليه والترمذي وابن ماجه كما سيأتي قريبا.

(٣) عبدالرزاق بن همام ثقة تقدمت ترجمته ص: ١٧٤ من قسم الدراسة.

(٤) في المسند: أخبرني.

(٥) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه المسجد الحرام، كان إمام أهل الحجاز في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الأصل، من موالي قريش، مكي المولد والوفاة. كان ثبتا لكنه يدلس ويرسل، روى له أصحاب الكتب الستة توفي سنة خمسين ومائة من الهجرة، وقد جاوز السبعين.

[انظر تقريب التهذيب ١/ ٥٢٠، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠-٤٠٧].

(٦) أبوه هو: عبدالعزيز بن جريج، مولى قريش، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: لم يسمع من عائشة. وقال الدارقطني: مجهول. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال ابن حجر: لين.

[انظر تهذيب التهذيب ٦/ ٣٣٣، والتقريب ١/ ٨٠٥، وتاريخ الثقات ص ٣٠٤].

أن أصحاب النبي ﷺ لم يدروا أين يقبروه؟ [1] حتى قال أبوبكر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت» [2] فأخروا فراشه [3] وحفروا له تحته» [4].

قلت: وفي هذا الحديث جهالة وإرسال، لأن أبا ابن جريج لا يعلم حاله في الرواية، وقد أرسله عن الصحابة، فلا نعلم هل سمعه منهم أو من غيرهم عنهم؟.

وهاتان / علتان لا يبنى [5] على ما كانتا فيه من الحديث فرع فضلا عن أن ١١٢٩أ نلتزم تسليمه، والجواب عنه فيما يقدح في أصل الشريعة.

ورواه ابن هشام [6] في السيرة من وجه لا يسكن إليه أيضا. وروى الترمذي من حديث عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه. فقال أبوبكر سمعت من [7] رسول الله ﷺ شيئا ما نسيته قال: "ما قبض الله نبيا إلا في

---

(١) في المسند: "أين يقبرون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى . . . .

(٢) في (أ): "الا خبث بموت" وهذا تصحيف.

(٣) في (م): فرشه.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٧) بسند منقطع. [انظر الفتح الرباني ٢١/ ٢٥٥].

(٥) في (أ): "لايبنا" بالممدودة.

(٦) انظر الجزء الأخير من سيرة ابن هشام بتحقيق السقا والأبياري وشلبي ص ٦٦٣، وقد تقدمت ترجمة ابن هشام في الدراسة ص: ١٧٨.

(٧) من: سقطت من (أ).

الموضع الذي يجب أن يدفن فيه" ادفنوه / في موضع فراشه [1]، وهو حديث ٨٩م
غريب. وفي إسناده عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي [2] وهو يضعف [3]. كيف وقد روى ابن مكة [4] في "أماليه" والسهيلي [5] في "الروض": أن النبي ﷺ لما مات قالوا له: كيف نصلي عليك؟ قال: «إذا وضعتموني على شفير قبري في بيتي فاخرجوا عني، فإن الملائكة تصلي عليّ أولا» [6]. وساق الحديث. فمع هذا النص كيف يكون الخلاف في موضع دفنه؟ فهذا مما يدل على ضعف ذلك الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز، باب ٣٣ حديث ١٠١٨.

(٢) في (ش): الملكي، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي ملكية المدني. ضعيف. [انظر تقريب التهذيب ١/ ٤٧٤].

(٣) قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وعبدالرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه. فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ أيضا" اهـ. قلت: أخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ من طريق ابن عباس عن أبي بكر. قال في الزوائد في نفس الموضع" وفي إسناده الحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس الهاشمي تركه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني والنسائي، وقال البخاري: "يقال: أنه كان يتهم بالزندقة" وقواه ابن عدي، وباقي رجال الإسناد ثقات" اهـ. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٢٩٢) من طرق منها ما هو موقوف على أبي بكر، وطريق مرفوع وفيه محمد بن عمر شيخ ابن سعد: متروك وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة: ضعيف.

قلت: ولعله بمجموع طرقه يكون حسنا لغيره. والله أعلم.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) انظر ص ١٧٨ من هذا البحث..

(٦) انظر الروض الأنف للسهيلي ٤/ ٢٧٤. وهو بنحو هذا اللفظ.